الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة السانية وهران

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

مشروع الفلسفات الانجلوسكسونية الحديثة والمعاصرة

إشكالية السلطة والتربية عند برتراند رسل

دراسة تحليلية نقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستيرفي الفلسفة

إعداد الطالب:

قريبي مشري

إشـراف الدكتور:

بوشيبة محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية
الرئيس	أ.د. سواريت بن عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة السانية وهران
المشرف	د. بوشيبة محمد	دكتور محاضر(أ)	جامعة السانية وهران
المناقش	أ.د. ملاح أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة السانية وهران
المناقش	أ.د. دراس شهرزاد	أستاذ التعليم العالي	جامعة السانية وهران

السنة الجامعية:2013-2014

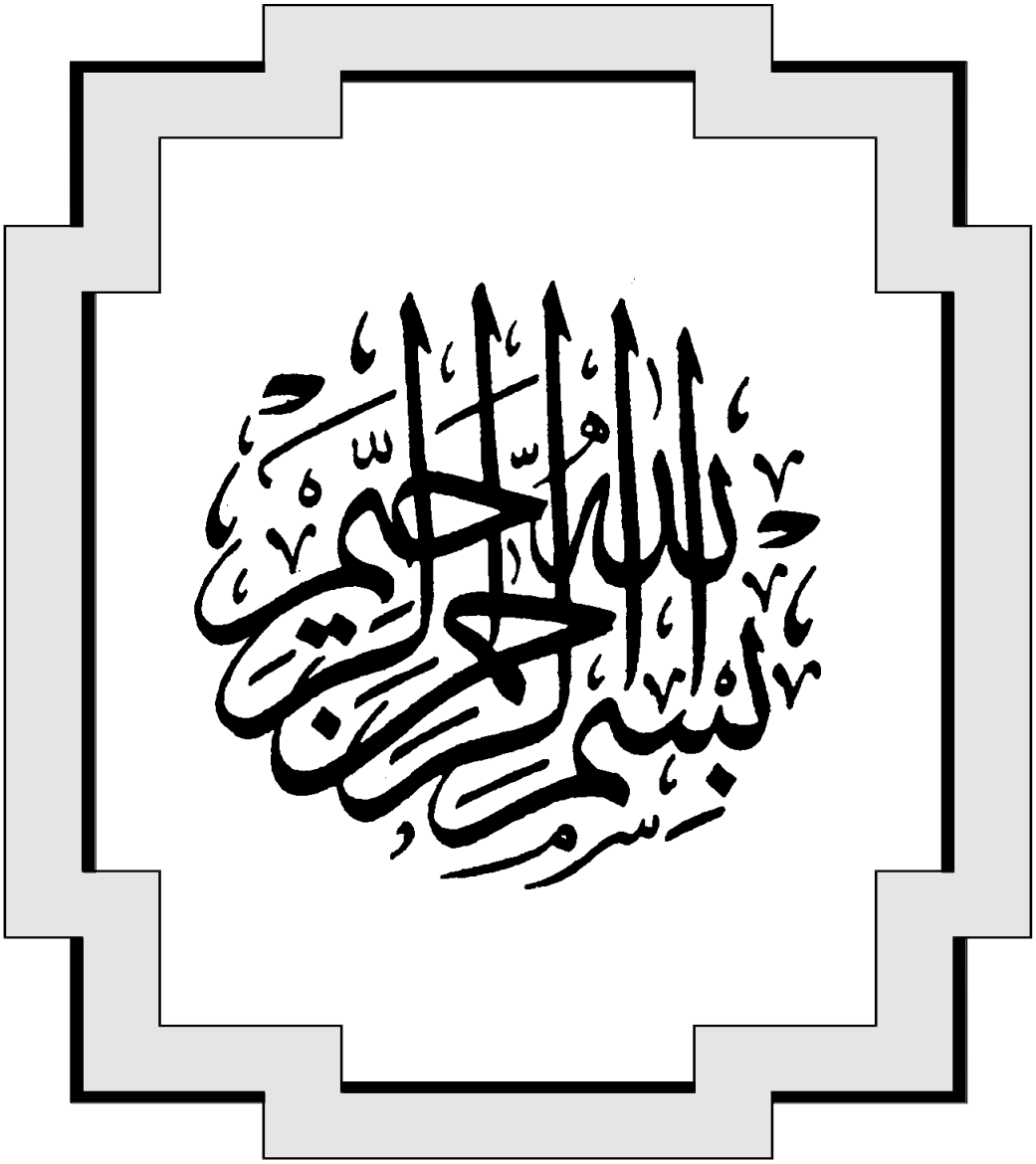
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أبي وأمي الحنون التي كانت لي نعم الصاحب في الصغر والكبر.

إلى الزوجة الكريمة التي شدت من أزري وشجعتني، إلى ولدي العزيز ياسين الذي شغلت عنه بهذا العمل، إلى بناتي الحبيبات: سمية، إيمان، وخلود، إلى الإخوة والأخوات، إلى زملائي طلبة الماجستير، وإلى أولائك الزملاء الذين تقاسمت معهم هموم التربية، إلى المعلم الفاضل "بلمواز بلقاسم"، وإلى كل من شجعني على هذا العمل. وإلى كل محب للمعرفة، وباحث عن السلام.

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي وفقني إلى هذا، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

لا يسعني في هذا المجال إلا أن أتقدم بالشكر الخالص إلى كل من شجعني وساعدني على انجاز هذا العمل، وأخص بالذكر السيد المشرف الدكتور "بوشيبة محمد" الذي جعل من الصعب سهلا، و الأستاذ الدكتور "سواريت بن عمر" الذي أكن له كل الاحترام والتقدير، وإلى كافة السادة الأساتذة الكرام الذين قاموا بالإشراف علينا ولم يبخلوا بالنصيحة أو التوجيه، وإلى كافة أساتذة قسم الفلسفة وعماله، خاصة عمال المكتبة،ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص إلى الدكتور "حسين بوداود" الذي شجعني وأمدني بالنصائح والمراجع، وإلى الأخ الفاضل الأستاذ "قروج بولفعة" الذي كان لي خير المعين في جمع المصادر والمراجع والتشجيع ،والشكر موصول إلى الأستاذ "زروقي ثامر" الذي لم يبخل علي بالنصيحة والتوجيه، وإلى الأستاذ "حفصي عيسى" الذي قام بالمراجعة اللغوية لهذا العمل.

مقدمـــــــــــــــة

مقدمة:

إن التجمعات البشرية أشبه ما تكون بتلك التجمعات الحيوانية التي يلتئم شملها من أجل الدفاع عن نفسها،والحفاظ على بقائها،وتتميز حياة الحيوان بالصراع الدائم وبسط النفوذ،والسيطرة على باقي القطيع،ولأجل ذلك كان لابد لها غريزيا أن تستخدم القوة.إلا أن الإنسان وإن كان فيه جانبا غريزيا إلا أنه يختلف عن هذه التجمعات، وذلك بما وضعه هو لنفسه من أهداف وغايات،ومن خلال سنه لقوانين تنظم هذه المجتمعات أو تلك،ومن خلال هذه القوانين بسط سلطته على غيره،سواء أكانت هذه السلطة استمدت من قوة متعالية- مثل تلك السلطة الالاهية التي تتمثل في سلطة الله على عباده،أو تلك التي استمدها الحاكم من مصدر متعال- أو سلطة الحاكم على رعيته، أو الآباء على أبنائهم،أو المعلم على تلاميذه،ولفرض السلطة كان لابد من وسائل لتحقيقها،هذه الوسائل تعددت وتغيرت حسب المجتمعات والحضارات، ومجمل هذه الوسائل تمثلت في العامل الديني، والعامل الأخلاقي والعامل التربوي الذي هو ركيزة هذه العوامل ومحركها كلها.

وتعتبر علاقة السلطة بالتربية،علاقة وطيدة من حيث الغايات والأهداف، والتي كانت محل اهتمام وجدل بين الفلاسفة عبر التاريخ، لما لها من أهمية في بناء المجتمعات أو تنظيمها،و ميلاد حضارات أو أفولها.الأمر الذي دفعنا لبحث إشكالية علاقة السلطة بالتربية عند الفيلسوف الانجليزي "برتراند رسل"، الذي كان بالإضافة إلى أبحاثه الرياضية والمنطقية رجل سياسة وأخلاق وتربية، بل إنه كان مؤرخا للفلسفة،ومعظم ما كتبه كان في هذه الميادين، هذا الفيلسوف الذي يعتبره الكثير من

دارسي الفلسفة المعاصرة أعظم فلاسفة القرن العشرين ولا عجب أن يسمى سقراط عصره،ليس فقط لإنتاجه الفلسفي في شتى المواضيع بل من خلال ممارسته ومعايشته لقضايا عصره،حتى أنه قد عانى الكثير من خلال مواقفه السياسية والأخلاقية خاصة في دفاعه عن حرية العلاقات الجنسية،وعن السلام العالمي، ومن خلال ثورته على القيم الجامدة،مركزا على مبدأ الحرية،ومنه فهو يعد نموذجا للفلسفات الانجلوسكسونية على العموم وللفلسفة التحليلية على الخصوص، والتي كان لها الأثر الكبير على العالم الغربي، وقد امتد تأثيرها حتى على العالم العربي.

ويتعلق البحث بإشكالية السلطة والتربية وجدلية الفرد والمواطن عند الفيلسوف الانجليزي"برتراندرسل"Bertrand Russell"،هذه الإشكالية التي نتجت عن تقاطع مبحث التربية بالسياسة،الأمر الذي يضع بحثنا ضمن فلسفة التربية من جهة والفلسفة السياسية من جهة ثانية،ولا يمكنهما أن يبتعدا عن فلسفة الأخلاق من جهة ثالثة.هذه المشكلة التي هي قديمة من حيث الطرح متجددة في القرن العشرين من حيث الغايات،فقد كانت التربية ولا تزال غاية الشعوب والأفراد،والفلسفات المتعددة، سواء منها السياسية أو الأخلاقية لكنها تختلف في تحقيق الغايات،فهناك من نظر إلى التربية باعتبارها تكريسوتجسيد المواطن الصالح الخاضع لنظام السلطة السياسية،والخادم لمصالحها،فلا يكاد الطفل يولد حتى يغمسه ذووه في نظام اجتماعي سيصبح عضوا فيه،يسلك وفقا لسلوكه ويعتقد باعتقاده،بغض النظر عن سلامة تلك العقائد أو السلوكات،وبالتالي فغاية التربية هي تحقيق ذلك التجانس بين الناشئ وبقية أفراد مجتمعه،ومنه يكون عمل التربية هي استغلال الطفولة العاجزة عن رقابة

نفسها. وبالمقابل هناك من نظر إلى التربية بأنها تكون الفرد الحر،المتجرد من كل أنواع الضغوطات،ويفعل وفقا لإرادته ورغبته.ويتعجب الإنسان مع رسل أن واقع العالم الذي تسود فيه الحرية السياسية،هو العالم الذي يعتمد على التعليم الإلزامي،حيث تلقن التربية المبادئ الخلقية ومتطلبات العالم الصناعي ومجموعة من المعارف تتناسب ومركزه الاجتماعي والتي كثيرا ما حققت أهدافها.وهذا يقودنا إلى طرح الإشكالية التالية:

هل علاقة السلطة بالتربية الغاية منها إعداد المواطن الصالح أم الفرد الحر؟ ما هي السلطة؟ وما التربية؟ وأين تكمن العلاقة بينهما؟ ثم هل تربية المواطن الصالح كافية لإيجاد نظام صالح؟ وهل تربية الفرد الحر كفيلة بذلك؟وما موقف رسل من مختلف النظم السياسية والتربوية التي تتصارع حول هذا الناشئ؟ ثم آلا يمكن أن نوفق في تربية الإنسان المواطن والفرد معا؟وإلى أي مدى يعتبر هذا الطرح سليما؟

يتمحور العمل في مجمله على مقدمة تمهيدية للموضوع، ومن ثلاثة فصول وكل فصل قسمناه إلى ثلاثة مباحث،وخاتمة،فالفصل الأول عنوناه بالسلطة والتربية المفهوم والعلاقة، حيث ضبطنا في المبحث الأول مفهوم كل من السلطة والتربية،مع التركيز على تحليل المفهوم ومناقشته، وفي المبحث الثاني حددنا مفهوم الفرد واختلافه عن مفهوم الشخص من جهة ،ومفهوم المواطن وما يتميز به عن كل من الرعية والتابع من جهة ثانية، ثم تبيان العلاقة بين السلطة والتربية ثالثا.أما المبحث الثالث فخصصناه إلى التعريف بالفيلسوف مع التركيز على أهم المحطات التي أثرت في فكره. وقد جاء الفصل الثاني تحت عنوان تاريخية علاقة السلطة بالتربية، يتناول

في المبحث الأول علاقة السلطة بالتربية في تكوين المواطن الصالح،وقد اخترنا لذلك نماذج نظن أنها تخدم الغرض،وهذا لا يعني أنها أفضل من غيرها في توضيح الفكرة، فركزنا في الفلسفة اليونانية على نموذج أفلاطون باعتباره صاحب نظرية تربوية وسياسية تخدم هذا الغرض،وفي النموذج المسيحي وقع اختيارنا على توما الأكويني من خلال تركيزه على القانون الإلهي الذي يؤسس فضائل المدنية،وفي النموذج الإسلامي اخترنا ابن خلدون كمنظر وممارس للسياسة والتربية وعلاقتهما بنشوء الحضارة،أما في العصر الحديث فمثلناه في هيغل من خلال نظرته إلى المواطن في ظل الدولة المطلقة،بالإضافة إلى نظرة الماركسية التي هي محور مناقشات رسل السياسية والتربوية. أما في المبحث الثاني فكان حول التربية والفرد الحر، بينا فيه النظرة الفردية إلى الإنسان تجلت في مواقف كل من السفسطائيين وعلى رأسهم بروتاغوراس والطبيعيين مع روسو ثم البراغماتيين وقد ركزنا فيه على موقف ديوي من التربية والسياسة، وقد أسقطنا من ذلك نموذج من الفلسفة الإسلامية لاعتقادنا أنه ضمن الدين لاتوجد تلك النظرة الفردية.وفي المبحث الثالث بينا موقف رسل من كل النظم السياسية والتربوية على رأسها النظام الشيوعي والليبرالي سياسيا، والنظرة التقليدية والسلبية تربويا.أما الفصل الثالث فكان حول جدلية علاقة السلطة بالتربية عند رسل، قسمناه إلى ثلاث مباحث، كان أولها حول الفردية والمواطنة مابين الحرية والتسلط،حيث بين فيها رسل مساوئ وحسنات كل من التسلط والحرية سياسيا وتربويا وعقائديا.أما المبحث الثاني فكان حول نظرة رسل إلى المشكلة وحلها إلى أنه يجب النظر إلى الإنسان كفرد ومواطن معا مع تقديم

الحل الذي يتجسد في الاهتمام بالفردية،وإنشاء الحكومة العالمية،وكان المبحث الثالث استنتاجي نقدي لفلسفة رسل على العموم وموقفه من المشكلة على الخصوص،وأنهينا البحث بخاتمة للمشكلة.

ونظرا لاتساع مجال الموضوع، وتشعباته فيما بين مجالات متعددة،فهو من جهة يدخل ضمن فلسفة التربية،وهذا يضطرنا إلى التبحر في النظريات التربوية حديثها وقديمها،ومن جهة ثانية تتناوله الفلسفة السياسية،وهذا يدفعنا إلى التقرب من النظريات والأنظمة السياسية،وهو ليس بعيدا عن الفلسفة الأخلاقية التي نبحث فيها عن غاية الشر والخير في تربية أو تسيير الناس ولذلك فنحن مضطرون إلى إتباع المنهجية التالية:

ففي البداية سنلجأ إلى أتباع المنهج الاسترادادي التاريخي لاستقصاء حياة الفيلسوف والظروف التي أثرت في فلسفته، وتلك النظريات التربوية التي كان لها الأثر في نشوء الحضارات،من خلال جانبها التنظيري والعملي،والأثر الذي ينتج عن ممارستها وخلال ذلك سنحاول الاعتماد على المنهج التحليلي وذلك لإبراز أهم الأفكار والنظريات مع مزاوجته بالمنهج المقارن لنقابل بين هذه الأفكار وتلك، ونبين ما بينها من تشابه واتصال أو اختلاف وانفصال،وهذا مع التركيز على المنهج الجدلي الذي تتطلبه الإشكالية المطروحة،حيث نحاول أن نعرض تلك القضية المتمثلة في إعداد المواطن الصالح،ثم نتبعها بنقيضها والتي تدعو إلى تكوين الفرد الحر الذي لا يخضع لأي قيود،ثم نحاول أن نركب بنظرية "رسل" في التربية التي تجمع ما بين

المواطن الصالح والمواطن الفرد الحر.

إن البؤس والتمزق الذي يعيشه العالم العربي،من خلال الصراعات التي تندلع هنا وهناك وما تخلفه من استبداد وقهر وتقييد للحريات مما تنشأ عنه كوارث إنسانية،تعبر عن نكوص الحضارة،وفي المقابل ما يعيشه الغرب من اتحاد وتقدم وعدالة وحرية،وتطور علمي كلها مظاهر حضارية تدل على أن البداية سليمة،هذه البداية كانت الاهتمام بالجيل الذي سيكون مواطنا أو فردا،صاحب سلطة أو تمارس عليه السلطة.إن هذا ما دفعنا إلى:

1. الكشف عن دور التربية في بناء المجتمعات أو تهديمها من جهة أو تطورها أو تخلفها من جهة ثانية من خلال هذا النموذج الانجلوسكسوني.
2. دور التربية في تكوين المواطن الصالح الحر الذي يبني ولا يهدم، والذي يبدع ولا يخنع، والذي يفكر ويعمل.
3. دعوة الشعوب العربية للنظر إلى هذه النماذج الغربية والتي كان لها الأثر البالغ في بناء الحضارات الإنسانية.
4. إثراء المكتبة العربية بهذا العمل المتواضع.
5. الميل الشخصي إلى مناقشة القضايا السياسية والاجتماعية والتربوية.

ومنهفإن الدراسات السابقة لفلسفة برتراند رسل قد ركزت جلها على الاهتمام بالجانب المنطقي والعلمي للفيلسوف،وقد تناولت بعض الدراسات رسل إما من زاوية سياسية مثل ما نجده عند نجاح محسن حول كتابها الحكومة العالمية عند برتراند رسل و الباحثة قدور نورة في مذكرتها حكومة السلام العالمي،أو من زاوية تربوية

أخلاقية مثل مذكرة الباحث حبيبي أحمد الفكر التربوي والأخلاقي عند رسل، إلا أنها لم تعط الموضوع حقه ولم تبين ما هي المرامي التي قصدها رسل، وعليه كان لزاما علينا أن نتناول جانب آخر من فكر رسل والمتمثل في علاقة السلطة بالتربية.ونبين أن هناك علاقة وطيدة بينهما تاريخيا، وأثرهما على حياة الشعوب والأفراد.إلآ أنه كثيرا ما تعترض الباحث صعوبات تتعلق بقلة المصادر،إلا أن البحث الذي نحن بصدده يختلف عن ذلك فالصعوبات التي قد تعترضنا هو اتساع الموضوع وتشعبه إلى أكثر من مجال،ولذلك يصعب حصره، ثم إن نظرية "برتراند رسل" لا يمكن استنتاجها من مصدر واحد أو اثنين بل إن الأمر يتعدى ذلك، وهذا ما يضطر الباحث إلى الاطلاع على كتب رسل السياسية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية نظرا لترابط هذه الموضوعات مع بعضها البعض،وما زاد في صعوبة التعامل مع رسل هو أنه يكرر الفكرة الواحدة في أكثر من كتاب،ثم أنه يمدح بعض الأفكار وينقدها تارة أخرى، وهذا ما يصعب تحديد موقف واضح له،ثم إننا وجدنا غموضا في كتبه المترجمة التي بحوزتنا مما يستدعي أن نعود إلى أصلها باللغة الانجليزية، ولذلك فنحن نستعمل في البحث النسخة الانجليزية والمترجمة معا .

وعليه فإن هدفنا من هذا البحث هو الاطلاع على هذا النموذج الانجلوسكسوني والمتمثل في علم من أعلام الفلسفة التحليلية،ولنبين بأن رسل الفيلسوف السياسي والتربوي والأخلاقي لا يقل قيمة عن رسل الرياضي والمنطقي، ولعل خير ما يؤكد هذا هو نيله لجائزة نوبل في الآداب وليس في مجال آخر،ثم إنه صاحب نظرية في الحضارة ولاعيب في أن نجعل منه مثال يقتدى به في بناء حضارتنا، فالحكمة ضالة

المؤمن أين ما وجدها فهو أحق بها.وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا على الأقل لتقديم صورة ولو ضئيلة من الفكر الغربي الأنجلوسكسوني لنبين فكر حضارة استطاعت أن تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وليست حضارة قوة أو استبداد عسكري كما يظهر للعيان،ويمكن أن نعتبر نظرة رسل دعوة للتعايش الحضاري بين الشعوب.

الفـــصـــــل الأول:

السلطة والتربية المفهوم والعلاقة.

- المبحث الأول:شبكة المفاهيم.
- المبحث الثاني:بين المواطنة والفردية.
- المبحث الثالث:الجذور التاريخية والفكرية لبرتراند رسل.

المبحث الأول:

شبكة المفاهيم

الفصل الأول: السلطة والتربية المفهوم والعلاقة:

أولا: مفهوم السلطة(Authority):

1-المفهوم اللغوي:

جاء في المعاجم الأجنبية أن كلمة سلطة(autorité) مشتقة من اللاتينية(auctoritas) من كلمة (auctor) أو(auteur)، وهي تعني:«الفاعل الذي له حق القيادة وفرض الطاعة»[1]،كما قد تعني الذي ينصح ويملك ويساعد ويتصرف وجاء في الموسوعة الفرنسية على أنها: «هي قوة التحكم،والقدرة على إجبار الآخرين»[2]. وقد جاء في بعض المعاجم اللغوية العربية أن السلطة هي القهر والتسلط،ففي لسان العرب يعرفها ابن منظور:«السلاطة:القهر،وقد سلطه الله فتسلط عليهم.والسلطان الحجة والبرهان،وقد جاء في قوله تعالى:"ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين"أي وحجة بينة،والسلطان إنما سمي سلطان لأنه حجة الله في أرضه،والسلطان الولي»[3].ويعرفها جميل صليبا في معجمه على أنها:«القدرة والقوة على الشيء والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره»[4]،وليس بعيدا عن هذا ما أورده مراد وهبة في معجمه بأنها«قدرة على إصدار الأمر والتنفيذ»[5].

إن عدم خروج مفهوم السلطة عن التسلط والقهر في المعاجم العربية نابعا أولا من واقعنا العربي الخاضع للتسلط عبر تاريخه،وثانيا من التأثير التربوي الممارس على الأشخاص الذين يعيشون في هذا العالم سواء أكانوا أطفالا أو راشدين،والكاتب حال لسان بيئته لا يستطيع أن يعبر إلا على واقعه،وإن حدث غير ذلك فانه ينحى نحو المثالية من خلال أحلام اليقظة،ويعبر"علي أسعد وطفة"عن ذلك قائلا:«إن المعاجم والموسوعات العربية لم تخرج بمفهوم السلطة عن دلالات التسلط التي تتبدى في

[1]-Robert paul,Petit robert1,Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française,Dirigée par A.Rey et J.Rey-Debove,Société Du Nouveau Littré,1979,p137

[2]- Fouquet Emmanuel et Héloise neefs,dictionnaire Hachette encyclopédique,Direction Christian Travers,imp en France clerc s.a-st-amand,1997,p142

[3]- ابن منظور ابن الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب،دار صادر بيروت، المجلد7،د(ط س)،ص ص 320-321.

[4] - صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت (لبنان)،ج1،دط،1982،ص670.

[5] - وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة(مصر)،ط2007،5،ص351 .

العقوبات وتتجلى في غائيات الطاعة والخضوع والامتثال لقوة قادرة قاهرة،وهذا يعني بصورة عامة أن مفهوم السلطة مازال في اللغة العربية مشحونا بطابع العنف والقوة والسلبية»[1].

ومنه فإن المفهوم في المعاجم الأجنبية لا يختلف عن المعاجم العربية في ذلك فكلاهما يعتبرها المقدرة وقوة التحكم،إن هذا المفهوم يركز على أن السلطة تتمثل في القدرة والقوة،فالتحكم في الشيء لا يكون إلا عن طريق المقدرة،وهذه الأخيرة لا تكون إلا على أساس القوة،والقوة تتعدد:فإما أن تكون قوة جسمية فردية تمكن القوي من السيطرة على الضعيف،وإما أن تكون اقتصادية كسيطرة أصحاب المال على غيرهم،مما يؤدي إلى التبعية الاقتصادية،وقد تكون عسكرية من خلال قوة العتاد العسكري وتعداد الجيوش كسيطرة الشعوب المستعمِرة على الشعوب المستعمَرة،أو كسيطرة الأنظمة الديكتاتورية على شعوبها،وقد تكون هذه القدرة عن طريق التأثير،وذلك بواسطة الغلبة،وخاصة غلبة العلم مما يجعل الشعوب الأقل تحضرا أو الفاقدة للحضارة في تبعية للشعوب المتحضرة في ثقافتها وفي سلوكها وحتى في قيمها.

2-المفهوم الاصطلاحي:

يذهب أندري لالاند"André Lalande" إلى أن:«السلطة هي تفوّق أو صعود شخصيَّان بموجبهما يُصدَّق المرء،يُطاع،يحترم،فيفرض حكمه على إرادة الأخر ومشاعره»[2]،وقد عرفها إبراهيم مدكور في معجمه بأنها:« كل ما يحدد سلوكا أو رأيا لاعتبارات خارجة عن القيمة الذاتية للأمر أو القضية المعروضة»[3].كما يمكن أن تطلق على الأشخاص فهي:«كل من يصبح مصدرا يعول عليه في رأي أو علم مثل

[1]- علي أسعد وطفة ،بين السلطة والتسلط،مجلة الفكر السياسي، العدد3،المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات دمشق،1998، ص126.

[2]- لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية،ترجمة أحمد خليل،دار عويدات للنشر والطباعة بيروت(لبنان)، المجلد1،ط1،2008 ، ص122.

[3]- مدكور إبراهيم ، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون الطابع الأميرية، القاهرة(مصر)،دط،1983 ،ص98.

حجة الإسلام "أبي حامد الغزالي»[1].فهي عادة ما تتمثل في تفوق شخص تفوقا عقليا أو بدنيا تسمح له هذه الملكة من أن يفرض سلطته على الآخرين،وكأنها طبيعية.

ويذهب دينكن ميتشيل "Duncan Mitchell" إلى أن:«السلطة نوع من أنواع القوة تنظم جهود وواجبات الآخرين من خلال الأوامر التي تصدرها لهم إذ تعتبر هذه فعالة لكونها صادرة من أشخاص شرعيين حسب اعتقاد الأشخاص الخاضعين لمشيئتها»[2]،فهذا المفهوم وإن كان يركز على القوة إلا أنها شرعية كونها خاضعة للقانون ومقبولة من طرف من تمارس عليهم السلطة،وذلك عن طريق العقد الذي يربط بين الحاكم والمحكوم والمتمثل في القبول والرضا من الطرفين.ويؤكد"أحمد زكي بدوي"على أن هذه القدرة تكون مقبولة من المجتمع ما دامت شرعية،فيقول:«القوة الطبيعية أو الحق الشرعي في التصرف أو إصدار الأوامر في مجتمع معين،ويرتبط هذا الشكل من القوة بمركز اجتماعي يقبله أعضاء المجتمع بوصفه شرعيا ومن ثم يخضعون لتوجيهاته وأوامره وقراراته»[3].إن الأساس هنا في القوة أنها خاضعة لشرعية القانون،ومقبولة من طرف المجتمع.سواء بالطريقة المباشرة أو عن طريق التأثير.

وكثيرا ما تتداخل السلطة مع بعض المفاهيم،كما ترتبط بالبعض الآخر ومن بين هذه المفاهيم،مفهوم القوة إلا أن هناك اختلافا بينًا بينهما حيث يرى"جاك ماريتان" "Jacque Maritain":« إن السلطة والقوة أمران مختلفان: فالقوة هي التي بواسطتها تستطيع أن تجبر الآخرين على طاعتك ،في حين أن السلطة هي الحق في أن توجه الآخرين أو أن تأمرهم بالاستماع إليك وطاعتك،والسلطة تتطلب قوة،غير أن القوة بلا سلطة ظلم واستبداد»[4]. ويذهب جميل صليبا إلى القول:« إن صاحب السلطة الشرعية يوحي بالاحترام والثقة على حين صاحب القوة يوحي بالخوف

[1]- المرجع السابق،ص98.
[2]- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة بيروت،ط1981،1،ص28.
[3]- بدوي أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان بيروت،ط1982،2،ص31.
[4]- ماريتان جاك ، نقلا عن علي أسعد وطفة ،بين السلطة والتسلط،مجلة الفكر السياسي ،(م س)،ص128.

والحذر»[1]،وهذا ما يؤكده رسل أن:« ما ينقص أولئك الذين يدعون إلى بناء أنظمة حديدية وآلية هو احترام الآخرين»[2]،ومنه فإن القوة متغيرة،فالقوي اليوم ضعيفا غدا،وبالتالي إذا ارتبطت السلطة بالقوة فإنها ستزول بمجرد زوال القوة،ثم إن القوة تبنى على الخوف بينما السلطة على الاحترام المتبادل.كما تختلف السلطة عن السيطرة القسرية والجبر والإلزام،وهذا ما ذهب إليه "دينكن" إلى أن السيطرة:«تلزم الأفراد على التكيف لمشيئتها من خلال مقدرتها على فرض العقاب أو تقديم المكافأة»[3].كما تختلف السلطة عن التسلط الذي هو ممارسة السلطة عن طريق القوة والإكراه والعدوان،وتختلف عن العنف الذي هو معاملة بالشدة واستغلال الأشخاص استغلالا جسمانيا ونفسيا فهو كما يقول عنه روبرت.ف.لتكه"Robert.F.Litke":«هو الاعتداء بطريق استخدام القوة المادية الشديدة»[4]. وتختلف السلطة عن القمع الذي هو حسب نجاح محمد:«بأنه كل ظاهرة دونية لأي إنسان، وكل تعصب قبلي،أو ديني أو قومي أو طائفي أو منهجي أو سياسي وكل تزوير وتضليل في كل الميادين الحياتية،وكل نقد تجريبي غير موضوعي وكل رفض للحوار والتعاون والتنسيق والتوحيد وكل استهتار بالأخلاق والقوانين»[5].

ويبين "دينكن" أن الاهتمام بدراسة السلطة قد بدأ عندما ظهر كتاب الشخصية السلطية (Authoritarian Personality) في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 وقد حللت السلطة آنذاك إلى تسعة متغيرات متقاربة:[6]

- **السلطة العرفية**:والتي تعني الالتزام بالعرف والقيم والعادات والتقاليد التزاما شديدا.
- **الخضوع السلطوي**:أي عدم انتقاد السلطة الأخلاقية للجماعة التي ينتمي إليها الفرد.

[1]- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي،ج1،ص670
[2]- رسل برتراند، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، تر،إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت(لبنان)،ط1987،1،ص117.
[3]- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة بيروت،ط1، 1981،ص29.
[4]- روبرت ف لتكه، نقلا عن مجلة الفكر السياسي،(م س) ص131.
[5]- نجاح محمد، العقل العربي والقمع، نقلا عن علي أسعد وطفة، بين السلطة والتسلط ،مجلة الفكر السياسي،(م س)، ص134.
[6]- دينكن ميتشل،(م س)،ص ص28-29.

- **العداء السلطي**:فرض العقاب على الشخص الذي يتحدى السلطة والقيم العرفية للمجتمع.
- **ضد الذاتية**:الوقوف ضد الأفكار الشخصية والتصورية.
- **القوة الشدة:** فكر الفرد بطريقة متطرفة تدفعه إلى تقسيم الأشخاص إلى قسمين حاكم ومحكوم.
- **التدمير**:الميل إلى إلحاق الأذى بالشخص الضعيف غير الملتزم من قبل السلطة.
- **الإسقاط**:الاعتقاد بأن العالم مليء بالأشياء المتوحشة والخطرة.
- **الجنس**:المبالغة بضبط الدافع الجنسي والاعتقاد بأن الجنس هو شيء خطير يهدد سلامة المجتمع.

وتتعدد السلطة بتعدد مجالاتها،وقد قسمتها معظم المعاجم إلى ثلاثة أنواع من السلطة:

1- **السلطة النفسية**:ويعرفها جميل صليبا أنها:«ما يطلق عليه السلطان الشخصي،أعني قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين،لقوة شخصيته»[1]،كتأثير المتكلم أو الخطيب على غيره،أو من خلال سلوكه كتأثير المربي على الناشئ .

2- **السلطة الشرعية**:وهي السلطة المعترف بها في القانون،ويمكن تقسيمها إلى:

أ) السلطة التربوية:وهي تلك السلطة التي يمارسها المربي على الناشئ،سواء أكانت هذه السلطة أبوية مصدرها الوالدين،أو كانت مدرسية تمارس من طرف المعلمين،وهي تتمثل في الأوامر والنواهي،سواء أكانت متشددة من خلال الإكراه والعقاب والاستبداد،أو كانت متساهلة من خلال العطف والحنان والحوار،وهي تلعب دورا أساسيا في بناء وتكوين شخصية الطفل،فيكون من خلالها سويا أو غير سوي،خاضعا أو متمردا.

[1]- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي،ج1، ص670.

ب) السلطة السياسية:تمثل علاقة الحاكم بالمحكوم،سواء أكانت هذه السلطة عن طريق الرضا مستمدة من الشعب،مبنية على الاحترام والثقة بين الحاكم والمحكوم،أو كانت هذه السلطة أساسها القوة والاستبداد.

3- **السلطة الدينية**:والمتمثلة في الالتزام بالقواعد والأسس الدينية التزاما تاما،غير ناقص متمثلا في الإيمان الراسخ والاعتقاد الجازم دون الرفض والاعتراض،وهي تشمل كل ما أنزله الله من كتب مقدسة،وما سنه الأنبياء والرسل،وما اجتهد فيه العلماء،وفي المجامع المقدسة،بالإضافة إلى السلطة الأخلاقية والمتمثلة في المبادئ والأسس والعادات والتقاليد والأعراف.

وقد قسم العالم الألماني ماكس فيبر"M.C.E.Weber" شرعية السلطة إلى ثلاثة أقسام[1]:

1- **السلطة التقليدية**(Traditional Authority):وهي التي تطيع فيها الجماعة أوامر سلطتها بسبب شرعيتها التاريخية،وتقوم على أساس من العادات والتقاليد وأشهرها السلطة التي يمارسها الأب أو شيخ القبيلة على الأسرة أو القبيلة.

2- **السلطة الشرعية**(Legal Authority):وهي السلطة القانونية والرشيدة التي تتم بالطرق والأحكام القانونية العامة،ترجع طاعة الأفراد فيها إلى إيمانهم بأن هناك بعض الإجراءات والقواعد الملائمة والتي تحظى بقبول الحكام والأفراد.

3- **السلطة الكارزمية** (Charismatic Authority):وهي تلك السلطة التي يتمتع بها القائد ببعض الصفات والقدرات النادرة،أو الخارقة للطبيعة،فهو ملهم ومزود ببعض القوى المقدسة والخارق للطبيعة،فقد يكون نبيا،أو زعيما،أو بطلا في المعارك الحربية،أو فيلسوفا،وقد يستطيع أن يحصل على ولاء وإذعان الآخرين.

[1]- أنظر دينكن ميتشل ،معجم علم الاجتماع،ص ص30-31.

3-مفهوم السلطة عند رسل:"B.russell"

يذهب رسل إلى أن السلطة غريزة في الإنسان،فهو يمتلك غرائزا ورغبات لا حدود لها،يختلف فيها عن الحيوان الذي تتوقف رغباته عند وجوده وتوالده،بينما تتطلب عند الإنسان التعاون مع الآخر،مما ينشأ عنه التنافس،ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى أيجاد سلطة،لحل المشاكل من جهة،وكبح الاعتداء من جهة ثانية،ويعبر رسل عن ذلك:«إنه من الرغبات اللامحدودة للإنسان رغبة الحصول على السلطة والمجد،...ومع ذلك فإن أسهل طريقة للحصول على المجد هو الحصول على السلطة»[1]،ويعتبر رسل السلطة بمثابة الطاقة في علم الطبيعة التي هي المحرك الحقيقي للظواهر الطبيعية،فكذلك السلطة هي الجوهر الأساسي في ميدان العلوم الاجتماعية،ويذهب إلى تعريف السلطة على أنها:« إنتاج للآثار المقصودة،فهي مفهوم كمي... فيمكن القول إن (أ) أكثر سلطة من (ب) إذا كان (أ) يحقق أثارا أكثر من(ب)»[2].وهذا التأثير يكون إما عن طريق سلطة الجيش والشرطة التي تمارس سلطة قسرية على الجسم،كالسجن والقتل،وإما بطريق الثواب والعقاب كمغريات وزواجر،كحالة تأمين العمل للفرد أو حرمانه منه،وإما أن تحدث عن طريق الدعاية التي تمارس في المدارس والكنائس والأحزاب السياسية.ويبين أن لحافز السلطة مظهرين:واضح موجود عند القادة،وخفي يوجد عند الأتباع،ويعبر رسل عن ذلك:« فعندما يتبع الناس زعيما لهم،إنما يفعلون ذلك بغية الحصول على السلطة...فهم يشعرون أن كل انتصاراته هي انتصار لهم، فمعظمهم لا يشعر بأن له الكفاءة المطلوبة لقيادة تلك المجموعة إلى النصر، ولذلك يبحثون عن قائد يمتلك الحكمة والشجاعة لتحقيق التفوق »[3].ومنه فإن الرغبة في السلطة عادة ما تنشأ من الخوف السائد لدى معظم الناس،وتزيد قوتها عندما تندلع الحروب،فنجد الناس يلتفون حول السلطة ويدعمونها. وبالتالي فهي كالإدمان من طرف الذين يتعشقونها، حتى قال رسل:«إن حب السلطة يلحق أضرار أكبر من الأضرار التي يلحقها شرب

[1] -Russell, Bertrand Power Anew Social analysis ,Routlege classic Landon and newyork,2004,p3 .
[2] -Ibid ,p23.
[3] - Ibid,p9.

المسكرات»[1]. ويتميز صاحب السلطة بالثقة بالنفس والحسم في اتخاذ القرارات والبراعة في اختيارها، وهذا ما تميز به القادة من أمثال(كروموبل، نابليون، ولينين).

ويبين رسل في كتابه السلطان (The Power) أشكال السلطة ومصادرها:

أشكال السلطة:تتخذ السلطة أشكالا عدة:

- **السلطة التقليدية**(traditionaly power):وهي سلطة الكهنوت(Priestly Power)، وسلطة الملوك (Kingly Power)، وتتمثل في جملة التقاليد والأعراف والعادات، وعرف هذا النوع من السلطة قديما في القبائل البدائية والتي عادة ما يتولاها الساحر أو الكاهن،كما عرفت في الحضارات الرفيعة،وقد عبر رسل عن ذلك:«كان "أوغسطس"(Augustus)في روما يمثل الحبر الأعظم،بينما في المقاطعات الرومانية فكان يمثل الإله،وقد كان الخليفة يمثل الرئيس الديني والدنيوي للدولة المحمدية، وللميكادو(*Mikado) في حاضرنا نفس المكانة في ديانة الشنتو (**Shinto)»[2]. ويضيف رسل إلى أن المحكمة العليا في أمريكا اليوم تمثل هذه السلطة.
- **السلطة العارية** (Naked Power):هي تلك السلطة التي تكون غير مقبولة من الرعية،كالسلطة العسكرية على الشعوب المقهورة،أو سلطة الكنيسة على الهراطقة أي الزنادقة "Heretic"،وبالتالي تكون سلطة الدولة على رعاياها تقليدية أما على الثائرين فعار،وتمر السلطة بمراحل ثلاث:مرحلة العقيدة المتعصبة،ثم مرحلة الإذعان إلى السلطة الجديدة التي تتحول بسرعة إلى النوع التقليدي،ثم مرحلة استخدام السلطة ضد من يأبون الخضوع للتقاليد وهي تتحول نحو العراء ثانية.«إن فترة السلطة العارية عادة ما تكون

[1]- وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته، ترجمة رمسيس عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (مصر) ،دط ،1998، ص 237.

*- امبراطور اليابان.

**- ديانة ظهرت وتطورت في اليابان،ليس لها مؤسس معروف ولا كتاب مقدس، تعتمد عقيدتها على أنه لا أحد يدعي الصواب المطلق ولا الخطأ المطلق،والإنسان غير معصوم وهو خير والشرور تلحقه من تدخل الأرواح الشريرة، وترتكز عقيدتها على تنقية النفس، ليس فيها توحيد ولا حياة بعد الموت، كما تركز على:التطهير والاغتسال، تقديم القرابين،الصلاة، الوليمة الرمزية.

[2] - Russell, Bertrand Power Anew Social analysis ,Routlege classic Landon and newyork,2004,p35.

قصيرة،فنهايتها كقاعدة عامة تتمثل في ثلاث طرق،أولها الغزو الأجنبي مثلما حدث في اليونان وإيطاليا،وثانيهما إنشاء ديكتاتورية مستقرة التي سرعان ما تتحول إلى تقليدين وأبرز مثل على ذلك إمبراطورية"أوغسطس"بعد فترة الحرب الأهلية،وثالثهما ظهور دين جديد بمعناه الأوسع وخير مثال على ذلك الطريقة التي وحد بها محمد قبائل الجزيرة العربية التي كانت متحاربة »[1].

- **السلطة الثورية** (Revolutionary Power):عندما تتمكن عقيدة من بسط سيطرتها على الناس،وتصل إلى درجة من القوة،وتتحول بدورها إلى سلطة تقليدية،مثل الإصلاح الديني في أوربا، أو الثورة الفرنسية،والروسية، وإذا ما اصطرعت عقيدتان، إحداهما ثورية والأخرى تقليدية تغدو المهزومة سلطة عارية.
- **السلطة الاقتصادية** (Economic Power): تستمد قوتها من القانون،والرأي العام،فهو كما يقول رسل:« يستطيع أن يؤثر على القانون عن طريق الفساد،أو الرأي العام عن طريق الدعاية،كما يمكنه وضع السياسيين تحت التزامات تتعارض مع حريتهم،ويستطيع أن يهدد بإيجاد أزمة مالية»[2].
- **سلطة الرأي** (Power Over Opinion): يعتبرها رسل المحرك الرئيسي لأي نوع من السلطة فيقول:«كثيرا ما أثبت الرأي الديني أنه أقوى من الدولة،فإذا كان في أي بلد أغلبية عظمى تؤيد الاشتراكية،فإن الرأسمالية ستصبح غير قابلة للتطبيق...مما يجعل الرأي هو السلطة المطلقة في الشؤون الاجتماعية»[3]،وعليه فالسلطة تستند إلى أساسين هما الرأي العام والعادات والتقاليد،وتتم بطريقتين،إما بالإقناع الذي يؤدي إلى الإيمان بعقيدة ما،وإما بالقوة عن طريق السلطة العسكرية والاقتصادية.وعليه وبعد أن حلل رسل السلطة وبين أشكالها فما هي السلطة التي ينشدها؟

[1] -op.cit,p74.
[2]- Ibid,p99.
[3] - Ibid,p109.

إن السلطة التي ينشدها رسل هي تلك السلطة التي يكون فيها الأفراد خاضعين لها باختيارهم دون أي ضغط أو قهر،كخضوع فريق كرة القدم إلى القائد دون قهر بل عن طيب خاطر،ويبين ذلك:«ليس لأحد أن يتعلم كيف يطيع وليس لأحد أن يحاول أن يأمر،ولست أعني بالطبع أنه لا ينبغي أن يكون هناك قادة حين تشترك الجماعات في عمل،وإنما أعني أن سلطان هؤلاء القادة يجب أن يكون كسلطان رئيس فرقة كرة القدم الذي يخضع له الأفراد مختارين لتحقيق غرض مشترك.ينبغي أن تكون أغراضنا لنا ومنا،لا مفروضة علينا من غيرنا،وينبغي ألا نفرض أغراضنا قط على غيرنا بالقوة»[1].

ثانيا:مفهوم التربية(Education):

تعد التربية عاملا أساسيا من عوامل تكوين الشعوب وبناء الحضارات المتعددة،عبر تاريخ البشرية،كما تعد الدعامة الأساسية للمجتمع،سواء أكان هذا المجتمع متحضرا أم بدائيا،ولذلك قد كان من الأهمية بمكان أن نتعرف على هذا المفهوم.

1-المفهوم اللغوي:

يتعدد مفهوم التربية بتعدد استخداماتها وأهدافها، فقد عرفت التربية في اليونان القديمة ب"Paideia" التي تعني تربية الطفل[2]،وقد جاء في معجم المصطلحات الفلسفية،إن كلمة تربية مشتقة من الكلمة اليونانية "kalos kai agatos" ولها عدة معاني،فيفهم منها الصحيح والحسن،وتعني المستقيم والحسن،كما يقصد بها الجميل والحسن[3]، ومنه فالتربية تهتم بجملة من الفضائل،فهي تقود إلى الحقيقة ومعرفة الحكمة،ومعرفة الخير والشر،كما تهتم بالجانب الجمالي،وفضيلة الاستقامة والاعتدال،وعلى هذا الأساس أسس المنهج السقراطي الذي يبحث عن فضائل الخير

[1]- رسل برتراند،في التربية، ترجمة سمير عبده،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان،دط،دس،ص51.

[2] -www.fr.wikipedia.org/wiki/paideia,14December,2013.

[3] - Lannone A.paplo,dictionary of world philosophy,routledge taylor and francis group,1stp,2001,p405.

والحكمة والمعرفة،والبحث عن الحقيقة.وقد اهتمت المعاجم بالتربية فتعددت مفاهيمها بتعدد استخدامها فهي تعني:

- النماء و الجمع والزيادة:« فالسحاب يرُبُ المطر أي يجمعه وينميه»[1]، فالتربية تعنى بجميع جوانب الناشئ من تنمية قدراته الجسمية،العقلية، الخلقية، المهنية والاجتماعية، والاعتناء بها والمحافظة عليها إلى أن تبلغ غايتها، وقد جاء في قوله تعالى:(وَتَرَى اَلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا اَلْمَاءَ اَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)[2]. وقد جاء في المعجم الفلسفي لإبراهيم مدكور:«بأنها تنمية الوظائف الجسمية والعقلية كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف»[3].
- الإصلاح: أي إصلاح الاعوجاج وتصحيح أخطاء الناشئ حتى يصبح مستقيما. «فربى الشيء إذا أصلحه».[4]
- السياسة والسلطة:«فربيت القوم أي سستهم وكنت فوقهم،فقال أبو سفيان غلبت والله هوازن،فأجابه صفوان وقال:لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن»[5].فهي تعني القدرة على التحكم في الأخر بواسطة قوة مسيطرة وغالبة،كسيطرة الأب على الابن،والمعلم على المتعلم،والقائد على الجند،والحاكم على المحكوم،وما على المتعلم في هذه الحالة إلا الإتباع والخنوع سواء بالإكراه أو بالتأثير،فالمغلوب مولع بتقليد الغالب كما ورد عن ابن خلدون:« ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها وسائر أحواله،وأنظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك إلا اعتقادهم الكمال فيهم،وانظر إلى كل قطر من

[1] - ابن منظور ابن الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب،دار صادر بيروت(لبنان)، المجلد1،د(ط س)، ص 402.
[2] - سورة الحج، الآية 5.
[3] - مدكور إبراهيم ،(م س) ص42.
[4] - لسان العرب، المجلد1،(م س)،ص 401.
[5] - المرجع نفسه،ص 400.

الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم»[1].

- التهذيب:وهي التنقية«وهذب الشيء أي نقاه،ورجل مهذب أي مطهر الأخلاق[2]. فالتربية تهذب الخلق وتعتني بالحس الجمالي للمتعلم من خلال تهذيب جانبه المعرفي والسلوكي،وتلقينه جملة من المعارف،وإرشاده إلى سلوكات حضارية في تعامله مع الناس في كلامه وهندامه،في مشيته واستراحته،في ابتسامته وحزنه.
- التنشئة (sociolization):وهي «عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدربا على أشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي»[3]،وتطلق التنشئة على التربية كما تطلق على الإنتاج الزراعي،فنقول تنشئة الحيوانات والنبات أو تربيتهما.وجاء في لسان العرب «أحسن القيام عليه،ووليه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن.»[4].

2-المفهوم الاصطلاحي:

إن ما هو مصطلح عليه بصفة عامة أن التربية هي فعل يركز على تنمية القدرات لدى المتعلم (الإنسان)،حيث يذهب "إبراهيم مدكور" إلى :«أنها علم يبحث في أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى»[5].فهي علم قائم بذاته يبحث في ما مدى تنمية القدرات لدى المتعلم،كما تبحث في المناهج التي تنمي هذه القدرات،والوسائل التي تساعد على ذلك،والأهداف المبتغاة من وراء هذه التنمية،فعلى سبيل المثال كما ذكرنا أسس المنهج السقراطي على الصيغة التالية:«أي

[1] - ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة،مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع الجزائر،دط،دس،ص144.
[2] - الحازمي خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، عالم الكتب السعودية،ط1،سنة2000،ص24.
[3] - دينكن ميتشيل،(م س)،ص225.
[4]- لسان العرب،المجلد1،(م س)،ص 401.
[5] - مدكور إبراهيم ، (م س)،ص.42

خير أو فضيلة أو حكمة تقود إلى معرفة الحقيقة.وعلى هذا المنهج أسس أفلاطون جمهوريته»[1].

كما يعتبرها "لالاند" بأنها وسيلة تدريب وتطوير للوظائف المتعددة للمتعلم،لكن هذا التدريب والتطوير لا يحدث دفعة واحدة،وإنما عن طريق التدرج فهي عنده:«مسار يقوم على تطور وظيفة أو عدة وظائف تطورا تدريجيا بالدربة وعلى تجويدها وإتقانها»[2].إن العمل التربوي ليس فعلا آنيا يتم دفعة واحدة،وإنما هو مجهودا طويلا يقوم به المربي اتجاه الناشئ مع مراعاة عملية التدرج والجودة والإتقان،وكأن عملية التربية شبيهة بالعمل الزراعي،فكما يعتني الفلاح بزرع الأرض ورعاية النبات للحصول على منتوج جيد فكذلك المربي يتم عمله من خلال الرعاية والاهتمام،جاء في موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية للفكر العربي أن :«معنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه»[3] ،كما يرتبط مفهوم التربية بمفهوم الثقافة من جهة والتنشئة من جهة ثانية،فهذا المصطلح الأخير عادة ما يستخدم في مجال الزراعة،خاصة تنشئة الحيوانات والنباتات.

ويعتبر سقراط التربية متصلة بالفلسفة،فهما يبحثان في الإنسان من جهة أخلاقه وتقاليده وأحواله الاجتماعية:« فغاية الفلسفة في نظره هي صياغة النفس الإنسانية وطبعها على الحق والخير والجمال،وتحقيق مجتمع أفضل،والوسيلة التي تعتمد عليها الفلسفة في تحقيق غايتها هي التربية»[4]،ويذهب أفلاطون إلى اعتبارها تدريبا أخلاقيا من أجل تحقيق الدولة وتنمية المواطنة،ولذلك يعتبر التربية:«هي المجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم لنقل العادات الطيبة للحياة ونقل حكمة الكبار التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الجديد»[5]،أما أرسطو فيركز على تربية أكثر واقعية،فهو يعتقد أن

[1] - Lannone A.paplo ,dictionary of world philosophy ,routledge taylor and francis group ,1stp ,2001, p405.

[2] - موسوعة لالاند الفلسفية،المجلد1،(م س)،ص322.

[3]- سميح دغيم،موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية للفكر العربي، مكتبة لبنان ثائرون(لبنان)،ط2000،1،ص263.

[4]- الأهواني أحمد فؤاد،جون ديوي، نقلا عن عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية،دار الثقافة بيروت،ط2 ،1975 ،ص31.

[5]- المرجع نفسه،ص33.

التربية الصالحة:«يجب أن تشمل تربية القوى الثلاث،فيجب أن تشمل أولا تربية الجسم عن طريق الألعاب الرياضية،وثانيا تربية النفس غير العاقلة،أي تهذيب الرغبات والدوافع والشهوات،وهذه تكون عن طريق الموسيقى والأدب،أو التربية الخلقية،وثالثا تربية النفس الناطقة،وهذه تكون بدراسة الفلسفة والرياضة والهندسة»[1]،و في الحضارة الرومانية كانت التربية تعني إعداد الناشئ للحياة العملية النفعية،وقد عبر"وهيب إبراهيم سمعان"عن ذلك قائلا:«أما المقياس الروماني فكان مقياسا نفعيا مستمدا من تقدير منفعة الشيء بالنظر إلى علاقته بنظام الحياة القائم»[2].

3-مفهوم التربية عند رسل:

يعود اهتمام رسل بالتربية إلى عودته من الصين،بعدما ولد له ولدان،ويظهر ذلك في قوله:«وخلال السنوات التي أعقبت عودتي من الصين ولد لي الولدان الأولان،فكان سببا في اهتمامي بالتربية في المراحل الأولى،ولبثت فترة أختص التربية بمعظم جهدي»[3]،وليس اهتمامه بها اهتمام المنظر التربوي فقط إنما هو اهتمام الوالد الفيلسوف المفكر الذي يحمل هموم الإنسانية ككل،فما بالك بهموم الوالد على أولاده،في ظل هذه المؤسسات التي تتقاذفه يمينا وشمالا،وقد عبر عن ذلك:«تسيطر المؤسسات المهددة بالانهيار،عندما تكون في أوج سطوتها،على آلة التعليم وتغرس في عقول النشء القابلة للانطباع بسهولة احتراما لامتيازاتهم»[4]. فهموم رسل ليست هموم فيلسوف فقط حائر على مستقبل الناشئة إنما هي كذلك هموم الأب الذي تجاوز عطفه على أبنائه إلى عطفه على الإنسانية جمعاء«هناك الكثير من الآباء في الدنيا أمثالي،لهم أولاد صغار يجاهدون لتربيتهم التربية الحسنة،لكنهم ينفرون من تعريضهم إلى سيئات معظم المعاهد التربوية القائمة،والصعوبات التي يتلقاها هؤلاء الآباء لا يحلها أي مجهود فردي»[5]،وبعد أن يطرح رسل المشاكل التي تعترض تربية الأبناء من خلال تهافت الإيديولوجيات إلى ضم أنصار جدد من خلال

[1]- بول مونرو،المرجع في تاريخ التربية، نقلا عن المرجع السابق،ص35.
[2]- وهيب إبراهيم سمعان، الثقافة والتربية في العصور القديمة،نقلا عن المرجع نفسه،ص37.
[3]- رسل نقلا عن زكي نجيب محمود، نوابغ الفكر الغربي"برتراند رسل"،دار المعارف القاهرة (مصر)،ط2،دس،ص30.
[4]- أسس لإعادة البناء الاجتماعي،(م س)،ص117.
[5]- في التربية،(م س)،ص13.

التربية،يحاول أن يحدد الأهداف والغايات التي تهدف إليها التربية فيقول:«فالتربية التي ننشدها لأطفالنا لابد أن تتوقف على مثلنا العليا للخلق الإنساني،وعلى الدور الذي نرجو أن يكون لأطفالنا في المجتمع إذا كبروا.فالمؤمن بالسلم لن يبتغي لأولاده نفس التربية التي يستجديها المؤمن بالحرب،والأفكار التربوية للشيوعي لن تكون نفس نظرة القائل بحقوق الفرد»[1]،ويفرق رسل بين المربي الذي له هموم أبوية،وبين ذلك الذي ليس له أبناء،حيث تقتضي عند الصنف الأول المحافظة على الطفل ولو استدعى الأمر مخالفة العاطفة واستخدام الذكاء في حين أن الذين ليس لهم أطفال يكونون أكثر عاطفية من غيرهم،ولذلك لاحظنا أفلاطون يدعو إلى القضاء على الأطفال المشوهين رحمة بهم وبالمجتمع،أو مثل ما ذهب إليه روسو في ترك الطفل بحرية ليتعلم من الطبيعة،وقد عبر رسل عن ذلك:« فالوالد أو الوالدة التي تحب طفلها ترغب أن يعيش ولو استدعى الأمر استخدام الذكاء ومخالفة العاطفة،لذلك نجد غلبة العاطفة أقوى ما يكون بين الناس الذين لا أطفال لهم،وبين الذين يميلون مثل روسو إلى إيداع أطفالهم ملاجئ اللقطاء»[2]،ويؤكد على أن السنوات الخمس الأولى لها أهمية في حياة الطفل،هذا ما يؤدي إلى زيادة اهتمام الوالدين بأطفالهم،لأن آراء الوالدين على جانب عظيم من الأهمية وينصح الآباء في تربيتهم لأبنائهم من تجنب المسائل الجدلية ما أمكن إلى ذلك سبيلا،ثم يبين المنهجية التي يتبعها في عمله:«والخطة التي أنوي السير عليها هي أن أنظر أولا في أغراض التربية من حيث نوع الفرد،ونوع المجتمع اللذين يصح أن نتطلع بحق إلى أن تصوغهما لنا التربية من المادة الخام الموجودة في الوقت الحاضر»[3]،ويميز رسل بين نوعين من التربية: تربية الخلق، والتربية لتحصيل المعرفة.

- **تربية الخلق**: هي تهذيب الخلق التي لها الأهمية العظمى خاصة في السنوات الأولى من العمر،وهنا يتحول رسل إلى محلل نفساني واجتماعي ليس بالمعنى الفرويدي ولكن بمعنى التحليل الواقعي،فيبين بأن هذه التربية تتميز بتعويد

[1]- المصدر السابق ،ص14.
[2]- المصدر نفسه ،ص65.
[3]- المصدر نفسه،ص15.

الطفل عادات وتجنيبه عادات أخرى،فمن الواجب تجنيبه الخوف والخجل وتدريبه على الشجاعة،ويعتبر اللعب والتوهم حاجة حيوية للطفل وجب أن تهيأ الفرصة لها إذا أريد للطفل أن يصبح سعيدا،كما يجب تدريبه على الاحترام والعدل،ومنعه من أن يطغى على أقرانه،حتى يكتسبها كعادة في ممارسة سلطته كراشد،ووجب تعليمه الصدق في الكلام وفي الفكر حتى يحترم ويحترم،مع تدريبه على المحبة وتجنب العقاب ما أمكن ذلك سبيلا،ولا يمكن إبعاده عن محيط أقرانه حتى يندمج ويطلع ويكتسب مناعة.

- **التربية الفكرية**:يجب تدريب الطفل على الفضائل الفكرية أهمها:حب الاطلاع، وانفتاح العقل والصبر والجد،والدقة والرغبة في القيام بالعمل الصعب.

وعليه فالتربية مؤسسة سياسية تهدف إلى تكوين عادات تساهم في بناء الفرد وتخدمه في حياته،إن«التربية هي في جوهرها بنائية وتتطلب فكرة ايجابية لما يكون حياة جيدة»[1].

[1]- أسس لإعادة البناء الاجتماعي،(م س)،ص119.

المبحث الثاني:

بين المواطنة والفردية

بين المواطنة والفردية:

كثيرا ما يتداول الناس بعض المفاهيم دون أن يدركوا معانيها وأبعادها الفلسفية والسياسية والنفسية،ومن أهم هذه المفاهيم: مفهومي الفرد والمواطن، فما هو مفهومهما؟

أولا:مفهوم الفرد(Individual):

1-المفهوم اللغوي:

يذهب"لالاند إلى أن:«الفرد ترجمة للكلمة اليونانية (ατομον)=individuum والتي تعني شيئا لا يمكن تقسيمه ماديا مثل ذرة "ديمقريطس" أو عرضا فكريا بلا أجزاء مثل الوحدة»[1]. وحسب تعريف كاتانيو"Cataneo" أن:« الفرد من الزاوية الفيزيولوجية هو كل كائن يعيش بذاته ويتسم بمثل هذا التمركز والتناسق الوظائفي بحيث لا يمكن تقسيمه دون تحطيمه»[2]،وقد جاء في تعريف المعجم الفرنسي" le robert" أن كلمة فرد(individu) مشتقة من الكلمة اللاتينية (individuum) والتي تعني كل كائن يكون وحدة معينة في تصنيف معين[3]،وقد جاء في معجم المصطلحات الاجتماعية أن:«الفردية كل ما يفرق بين الناس ويميز بعضهم عن بعض»[4]،أي أنها متمثلة في تلك الصفات التي تميز شخص عن شخص أخر سواء من الناحية الفيزيولوجية أو السيكولوجية،وكأن الفردية هنا تعطى بمعنى الشخصية،وقد جاء هذا المفهوم عند كل من المعجم الفلسفي لإبراهيم مدكور،ومراد وهبة بأنها ما لا يمكن تسمية أجزائه باسم الكل،فالرجل فرد،لأن قطعة منه لا تسمى رجلا،والجنس ليس

[1]- لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية،ترجمة أحمد خليل،دار عويدات للنشر والطباعة بيروت، المجلد2،ط2008،1 ،ص653.

[2]- المرجع نفسه، ص657.

[3]- Robert paul,Petit robert1,Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française,Dirigée par A.Rey et J.Rey-Debove,Société Du Nouveau Littré,1979,p991.

[4]- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،(م س)، ص212.

فرد[1]،فالفردية هنا شبيهة بتلك الذرة التي لا يمكن أن تقسم إلى أجزاء،أما الجرجاني فيعتبره مقابل للزوج وهو ما يتناول شيئا واحدا دون غيره[2].

2-المفهوم الاصطلاحي:يتعدد مفهوم الفرد بتعدد استخدامه:

ففي اصطلاح الفلاسفة"هو كل موضوع معين يفيد الشخص،وتؤلف أجزاؤه كلا واحدا[3]،وليس بعيد عن ذلك ما اعتبره "إبراهيم مدكور":«بأنه وحدة الذات بما فيها من وجدان وفكر وإرادة وحرية واختيار»[4].إن ما يلاحظ في هذه المفاهيم المعجمية أن كلمة فرد(individu) كثيرا ما تتداخل و مفهوم الشخص(personne) إلا أن المحدثين يفرقون بين المصطلحين،إذ يقول صليبا :«إن الفردية هي مجموع الصفات التي يتميز بها الفرد عن أفراد نوعه أو مجتمعه،على حين أن الشخصية هي مجموع الصفات التي تجعل الفرد صالحا للحياة في مجتمع روحي معلوم»[5]،بينما المعاجم الفرنسية[6] تعتبر الأول عبارة عن وحدة معينة سواء أكانت حيوانا أو نباتا والتي لا يمكن تقسيمها دون أن تفقد خصوصيتها،بينما الشخص فتطلق على الإنسان الذي يعي ذاته،ويذهب صليبا إلى أن:«الفردية تطلق على مجموع صفات الكائن الواعي كما هي في الواقع وأن الشخصية تطلق على مجموع صفاته كما يجب أن تكون بالنسبة إلى مثل أعلى متصور»[7]،وبالتالي فكل شخص فرد وليس كل فرد شخص.

منطقيا :يعرف بأنه خلاف الجنس أو النوع الذي هو كلي يقال على عدد غير محدود من الأفراد،ومنه فالفرد منطقيا هو ما اندرج تحت النوع السافل الذي ليس تحته نوع وإنما تحته أجزاء،فالإنسان في ترتيب شجرة"فورفوريوس"هو النوع السافل الذي تقع تحته أفراد والفرد في المنطق لا يعرف وإنما يوصف لأنه لا يمكن حصره،والتعريف ممكنا لمن كان حصره.يقول"الالاند":«يقال فرد للكائن الممثل

[1]- انظر كل من المعجم الفسلفي إبراهيم مدكور ومراد وهبة مادة فرد.
[2]- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ج1،(م س)،ص138.
[3]- المرجع نفسه ،ص139.
[4]- مدكور إبراهيم المعجم الفلسفي،(م س)،ص101.
[5] صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني بيروت(لبنان)، ج2،دط،1982، ص140.
[6] -voir,hachatte et le robert
[7]-المرجع الأسبق،ص140.

بالطرف الأدنى لهذه السلسلة التي لم تعد تدل على مفهوم عام ولم تعد تتضمن تقسيما منطقيا»[1].

في علم النفس:«الفردية مرادفة للشخص الطبيعي من جهة ماهو متميز عن الآخرين بهويته ووحدته أو من جهة ماهو ذو صفات خاصة مختلفة عن الصفات المشتركة بينه وبين أبناء جنسه»[2]،وهنا يكون المفهوم بمعنى الشخصية التي تميز فرد عن فرد من خلال الخصائص الفيزيولوجية والسيكولوجية والسوسيولوجية والعقدية،ويتبين ذلك من خلال الفروق الفردية التي تميز الأشخاص بعضهم عن بعض،بأسباب وراثية أو بيئية.

في علم الاجتماع:يمثل الفرد «وحدة من الوحدات التي يتألف منها المجتمع كالمواطن في الدولة،أو النحلة في الخلية،أو النملة في القرية فهي آحاد حقيقية يتألف منها الجسم الاجتماعي»[3]،وكأن الفرد هو الوحدة الأساسية التي تكون المجتمع أو هو بمثابة النواة التي يبنى عليها المجتمع،هذه النواة إن صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع كله،إنه اللبنة الأساسية في التركيبة الاجتماعية،وهذا ما جعل الفلسفات تهتم به ربما كفرد قبل أن تهتم به كجماعة.

سياسيا: تعتبر الفردية(Individualism) «اتجاه يرى في الفرد أساس الواقع والقيم،وأن المثل الأعلى للحكومة الصالحة هو تنمية الحرية الشخصية والحد من سلطان الدولة على الأفراد«[4].وبالتالي اهتم هذا المذهب بتنمية الحرية الشخصية من خلال تفضيل وتقديم رفاهية الفرد على رفاهية الجماعة،والفردية كما يعبر عنها ميتشل دينكن" «مصطلح حديث ظهر لأول مرة مع العالم "تايكوفيلي" في كتابه"الديمقراطية في أمريكا"الذي نشره سنة1840،إلا أن فكرة الفردية فكرة قديمة

[1]- موسوعة لالاند الفلسفية ،المجلد2،(م س)،ص653.
[2]- صليبا جميل، ج2 ،(م س)،ص ص138-139.
[3]-المرجع نفسه، ص139.
[4]- مدكور إبراهيم ،(م س)،ص135.

تطغى عليها العواطف السلبية،إذ كانت تثير سخط الناس وغضبهم قبل فترة الإصلاح الديني»[1].

وعليه نخلص إلى أن الفرد يمثل تلك الذرة التي يتألف منها مجموع المجتمع والتي لولاها لما أمكن له أن يكون،فالمصطلح عندما يطلق بدون إضافة فإنه لا يعني بالضرورة الإنسان،فالفرد تعني أي شيء،وعندما نطلقها على الإنسان نكون بذلك نتكلم عن الإنسان الشخص الذي يتميز في فرديته عن غير من الأشخاص من خلال وعيه،ولذلك حصر "السفسطائيون"الحقيقة فيه من خلال تفرده عن غيره بوعيه فاعتبروا أن الإنسان مقياس كل شيء بما هو فرداني،فهذا الفرد الذي يتجلى في الشخص قد كان سببا في بناء الحضارة،والتي جاءت من أجل الاهتمام به كفرد متميز من خلال محافظته على حقوقه التي تمتع بها في الحياة الطبيعية،وقد كانت غاية الأنظمة السياسية والتربوية والاجتماعية بصفة عامة هي الاعتناء بالفرد الذي هو ذلك الشخص الواعي الذي يتمتع بحقوق وواجبات داخل النظام السياسي،ذلك الفرد الذي يتمتع بحرية الرأي وإصدار الأحكام، العاقل الذي يستخدم جهده في بناء حضارته ومن أجل الصالح العام،صاحب الوجدان الذي يشعر بأفراح ومآسي غيره،وليس ذلك الفرد الجامد الخانع والذي يمثل عدد في نظام الدولة إنه فرد وليس بشخص.

ثانيا:مفهوم المواطن: (Citizen)

من المفاهيم الأساسية في المجال السياسي،مصطلح المواطن،الذي ارتبط وجوده،بوجود الدولة وعلاقتها بالفرد،ويعتبر هذا المفهوم قديم قدم الدولة إلا أنه تطور بتطور النظريات السياسية،خاصة في القرن السابع عشر مع ظهور نظريات العقد الاجتماعي.

[1]- دينكن ميتشيل ،معجم علم الاجتماع، (م س)،ص123.

1-المفهوم اللغوي:

يعود أصل كلمة مواطن(Citizen) بالإنجليزية أو(Citoyen) بالفرنسية إلى الفلسفة اليونانية التي هي مشتقة من المدينة(City).التي هي مدينة المواطنة(Citizenship) وتعني مهذب أو مدني (Civil)،فهو حسب تعبير"ماكس فيبر"«ابتكار فريد من صنع المدينة الغربية،التي اعتبرت سكان المدينة مدنيين أو مواطنين، ومن يعيش خارج المدينة رعايا»[1]. وقد جاء في المعجم الفرنسي"Hachatte"أن كلمة مواطن تعني «عضو في المدينة،أو أحد سكان الدولة الحرة الذي يتمتع بحقوقه السياسية»[2]،وقد عرفه جميل صليبا في معجمه الفلسفي بأن:« واطن القوم عاش معهم في وطن واحد ومنه فالمواطن هو الذي يتمتع بالحقوق التي يتمتع بها أبناء دولته أو مدينته»[3]،ويعرفه"مصلح الصالح"في قاموسه الشامل بأن:« المواطن عضو في دولة له حقوق وامتيازات يكفلها الدستور في تلك الدولة الذي يتساوى فيها جميع الأشخاص وكذلك الحال بالنسبة للواجبات»[4]،ونفس المفهوم يعطيه لنا"أحمد زكي بدوي" بأنه:«عضو في دولة فيها ما لأي شخص أخر من الحقوق والامتيازات التي يكفلها دستورها،وعليه ما على أي شخص آخر من الواجبات التي يفرضها ذلك الدستور»[5]،ومنه فالمواطن،هو ذلك الفرد الذي ينتمي إلى وطن معين يتمتع فيه بحقوق وعليه واجبات. ويقتضي هذا الانتماء نوع من الولاء للوطن.

2-المفهوم الاصطلاحي:

إن المواطن هو ذلك الفرد الذي يتمتع بالمواطنة داخل الدولة والتي يعبر عنها في القاموس الشامل بأنها:« مكانة أو علاقة اجتماعية بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي،يقدم فيها الطرف الأول من خلال هذه العلاقة الولاء،ويقدم الطرف الثاني

[1]- رايلي كافين ،الغرب والعالم،تر،عبد الوهاب محمد المسيري، مراجعة فؤاد زكرياء،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد90، 1985،ص214.

[2] - Fouquet Emmanuel et Héloise neefs,dictionnaire Hachette encyclopédique,Direction Christian Travers,imp en France clerc s.a-st-amand,1997,p372 .

[3]- صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ج2،(م س)،ص439.

[4]- الصالح مصلح ، الشامل في قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض(السعودية) ط1، 1999،ص88.

[5]- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (م س)،ص60.

الحماية،ويحدد هذه العلاقة القانون»[1]،فالمواطن بمجرد انتمائه إلى الدولة يعتبر عنصرا من عناصرها ويتمتع بحقوقه فيها وعليه واجبات،فهي حسب عبد الجليل أبو المجد:«مفهوم قانوني في المقام الأول مرتبط بالمواطن ككائن اجتماعي له حقوق وعليه واجبات تفرضها طبيعة انتمائه إلى وطن معين،مع الالتزام بالواجبات العامة مثل دفع الضرائب والحفاظ على الملك العمومي،والدفاع عن الأرض والوطن»[2]. ويوضح "خالد محمد خالد":« أن الفرد كلما أحس أن وطنه يحتاجه ويعتمد عليه،وأنه بذاته يمثل ضرورة حية لأمته،وأن مكانه في الصف مهما يكن محدود فإنه يسد ثغرة ويحمي كيانا،وبذلك ينمو في الأفراد واجب الاهتمام ببلادهم وقضاياها،فيصبحون مواطنين بالحقيقة لا بالمجاز»[3].وعليه يجب التفريق بين المواطن (Citizen) والرعية (Subject) من جهة والتابع (Ressortissant) من جهة ثانية،فالمواطن هو الفرد الذي يتمتع بكامل حقوقه السياسية داخل نظام الدولة،كما له الحق في ممارسة السلطة.أما الرعية فهو فرد ينتمي إلى الدولة دون أن يتمتع بحقوقه السياسية داخلها،ويعبر عنه في الدولة الإسلامية بالذمي الذي له حق الحماية والأمن وليس له حق المشاركة في السلطة ولا حتى إبداء الرأي فيها،كما يختلف المواطن عن التابع الذي هو ذلك الفرد المنتمي إلى دولة تكون هي الأخرى خاضعة لنظام الحماية أو الوصاية،ويعبر "أحمد زكي بدوي" في معجمه عن ذلك أن:«المواطن هو الذي يتمتع بكامل الحقوق السياسية المدنية في الدولة التي ينتمي إليها،أما الرعية فهو وطني ناقص الحقوق،والتابع يدل على الوطني التابع لدولة تخضع لدولة تخضع لنظام الحماية أو الوصاية أو الانتداب»[4]،ومنه فواقع النظم السياسية المعاصرة،تنتج لنا إما مواطنا في ظل الدول الديمقراطية،وإما رعايا في ظل تلك التي لا زالت تمارس النظام الرعوي.

وقد ظهر مفهوم المواطنة مع الفلسفة اليونانية الذي حصرته في الأثينيين وأن غيرهم ليسوا مواطنين،حيث يرى أرسطو أن:« المواطن هو الذي يشارك في العمل

[1]- الشامل في قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ،ص88.
[2]- أبو المجد عبد الجليل ،مفهوم المواطنة في الفكر العربي الإسلامي،أفريقيا الشرق المغرب،2010،ص13.
[3]- خالد محمد خالد،البدء كان الكلمة، نقلا عن حامد خليل،الفرد والسلطة في الفكر العربي الحديث، مجلة الفكر السياسي،(م س)،ص95.
[4]- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،(م س)،ص60.

السياسي،في حين يتولى غير المواطنين(النساء والعبيد والأجانب) العمل اليدوي المنتج»[1]،فالمواطن عنده هو من يشارك في الوظائف العامة،والذي يتمتع بحقوق المواطنة،وتعتبر نظريات العقد الاجتماعي المواطن هو ذلك الفرد الذي تنازل عن حقوقه للسلطة من أجل أن تقوم هي بحمايتها،و يعتبر هيغل"Hegel"أن المواطن هو ذلك الفرد الذي يعمل من أجل مصلحة الدولة،أما الماركسية فإن المواطنة لديها لا تتحقق إلا في ظل المجتمع الاشتراكي الذي تذوب فيه الطبقية بين أفراد المجتمع الواحد.

وتعني المواطنة في الشريعة الإسلامية كلمة مسلم،فالمسلم هو المواطن،والذمي هو الرعية أو التابع.

ثالثا:علاقة السلطة بالتربية:

1-التربية سلطة:

تعد مشكلة علاقة السلطة بالتربية من القضايا الأساسية التي تناولتها الفلسفات التربوية والسياسية وحتى العلوم الاجتماعية.فهذه العلاقة حتى وإن كانت تظهر للعيان على أنها علاقة مواجهة،فهذا لا يعني عدم وجود تبادل وتكامل،فعلى المستوى الأسري يتولى الوالدان تربية الأبناء على الالتزام بالركائز العقائدية والمبادئ الأخلاقية والأطر الاجتماعية،إما في تربية مؤسسة على الحوار والتوجيه،أو على الإكراه والإلزام،فالأولى يمارس فيها الأبوان السلطة التحررية الديمقراطية،المبنية على الاهتمام بالفرد كعنصر حساس وفعال في الأسرة وفي المجتمع،أما الثانية فتقوم على أساس القمع والعنف والاستبداد،يتم فيها اللجوء كما يعبر عن ذلك"علي أسعد وطفة":«إلى أساليب القمع والازدراء والاحتقار والتهكم والامتهان والتبخيس وأحكام الدونية والتخويف والحرمان والعقاب الجسدي،وهناك غياب كامل لعلاقات الحب والحنان والتساند والتعاطف»[2].وهكذا وكأن أشكال الحكم تبدأ من الأسرة،في نمط

[1]- المرجع السابق،ص22.
[2]- علي اسعد وطفة،بين السلطة والتسلط، مجلة الفكر السياسي،(م س)ص135.

فردي أو جماعي،وهذا الطفل الذي سيكون مواطنا صالحا في المستقبل لا يخرج عن إطار تربيته،فإن تربى على الإلزام تمثل في سلوكه سواء في بيته أو عمله أو حتى في تعامله مع غيره.وعلى المستوى المدرسي هناك علاقة اعتراف بين طرفين: المعلم والمتعلم،تتمثل في قبول المتعلم لمعلمه فيما يقدمه إليه من معرفة،فهذا المعلم الذي يمثل السلطة يساعد المتعلم الذي تمارس عليه السلطة على المقدرة والتكوين العقلي والنفسي للارتقاء به إلى أن يصبح مواطنا صالحا،مستخدما في ذلك كل الوسائل المتاحة لتحقيق أهدافه بما فيها الإكراه والإرغام والتسلط ولذلك يذهب ميالاريه غاستون"Mialaret Gaston" إلى القول:« السلطة تشكل جانبا حيويا في العملية التربوية فلا يوجد هناك أبدا فعل تربوي من غير سلطة معترف بها من قبل المتربي،فالمربي يمارس السلطة على المتربي،ولكن هذه السلطة يمكن أن يمارسها بطرق مختلفة تتنوع بتنوع شخصيات المربين»[1]،كما يخضع كل من المعلم والمتعلم لقرارات وأوامر المجتمع،المتمثلة في القوانين التربوية حتى وإن كانت لا تتفق وطبيعة المتعلم،فهما يخضعان لسلطة المجتمع التي هي في الحقيقة سلطة غير مدونة في الدساتير،في لغتهما وعاداتهما،وسلوكاتهما،وفي تاريخ مجتمعهما سواء أكان هذا التاريخ صحيحا أو مغلوطا،وفي المعارف والعلوم المختلفة خاصة العلوم الإنسانية.

وتلعب إيديولوجية المجتمع الدور الأساسي في إلزام المجتمع بصفة عامة والمدرسة بصفة خاصة بهذه السلطة والتي يعبر عنها بيير بورديو" .Pierre Bourdieu" بالسلطة الرمزية، فالمدرسة كأنها سجينة الإيديولوجيات المختلفة،فهي تتجاوب مع المجتمع الاشتراكي في ظل الاشتراكية،وتنسجم مع المجتمع الليبرالي في ظل الليبرالية وكذا في كل إيديولوجية، يقول"بيير بورديو":«إن السلطة الرمزية من حيث هي قدرة على تكوين المعطى عن طريق العبارات اللفظية،ومن حيث هي قدرة على الإبانة والإقناع وإقرار رؤية عن العالم أو تحويلها،ومن ثمة قدرة على تحويل التأثير في العالم،وبالتالي تحويل العالم ذاته...إن هذه السلطة لا تعمل عملها إلا إذا اعترف بها...وهذا يعني أن السلطة الرمزية لا تتجلى في المنظومات الرمزية وإنما

[1]- ميالاريه غاستون، مفردات التربية نقلا عن المرجع السابق، ص129.

في كونها تتحدد بفضل علاقة معينة تربط من يمارس السلطة بمن يخضع لها»[1]،ويعبر"علي سعد وطفة"عن ذلك بأن السلطة الرمزية تأخذ مجالها الحيوي في مجال المؤسسة التربوية ولاسيما في مجال المدرسة التي تتحول إلى ساحة للصراع الرمزي بين مختلف القوى الاجتماعية الفاعلة داخل المجتمع[2].

2-السلطة تربية:

هذا من جهة ومن جهة ثانية تشكل السلطة في حد ذاتها تربية للمواطن،فكما لا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عن التربية،فكذلك لا يمكنه أن يستغني عن السلطة،.والسلطة التي هي نظام تربوي سواء أكانت مؤسسة على الحرية والحوار أم على القوة والجبروت والاستبداد، تنتج مواطنا إما متحررا من القيود أو مواطنا خانعا قابلا للانقياد ونستطيع أن نلاحظ ذلك في الأنظمة السياسية،ففي النظام الليبرالي الذي يؤسس على الحرية الفردية،نجد العدالة والمساواة فيه،مما يؤدي إلى المبادرة والإبداع سواء في المجال الفكري أو السياسي وحتى التربوي والثقافي،في حين أن الأنظمة المغلقة سياسيا سواء أكانت ديكتاتورية أو استبدادية أو حتى ديمقراطية شكلية تنتج مواطنا مذلولا خاضعا وقابلا للانقياد وذلك بسبب التسلط والإرهاب والقهر الذي يمارس عليه،مما يؤدي إلى الانغلاق والعنف وكراهية السلطة التي كثيرا ما يعبر عنها عن طريق الثورات وما واقع العالم العربي ببعيد ويعبر"على أسعد وطفة"عن ذلك بقوله:«تأخذ العلاقة التسلطية صورة العنف بأشكاله النفسية والفيزيائية والجسدية.حيث لا يسمح للأفراد الذين يخضعون لعلاقة التسلط بإبداء أرائهم أو توجيه انتقاداتهم،وإن حدث ذلك فإن هذه الآراء والانتقادات قد تكون عقابا لهم»[3]،ومنه نخلص إلى أن التربية سلطة،فأن تُربي فإنك تمارس سلطة على الأفراد،سلطة العلم والتوجيه والقيادة،كما أن السلطة هي تربية،فأن تمارس السلطة

[1]- بورديو بيير ،الرمز والسلطة، تر،عبد السلام بنعبد العالي،دار توبقال للنشر المغرب،ط2007،3،ص56.
[2]- علي اسعد وطفة،بين السلطة والتسلط، مجلة الفكر السياسي، (م س)، ص133.
[3]- المرجع نفسه،ص139.

فإنك تربي الأفراد على نوع من السلوكات سواء أكانت عن طريق القانون أو عن طريق القوة،وبالتالي فالسلطة تربية والتربية سلطة.

ومنه نخلص إلى أن علاقة السلطة بالتربية علاقة وطيدة في إعداد إما مواطنا صالحا يقوم على خدمة مجتمعه ويخضع خضوعا تاما إلى قراراته،فما يراه مجتمعه خير فهو خير،وما يراه شر فهو شر،وإما إلى إعداد فرد صالح يتمتع بحريته في اتخاذ قراراته،ويعتمد على نفسه،ويقوم بالمبادرات الفردية التي تفيده كفرد وتعود على مجتمعه بالفائدة وما دور المجتمع بالنسبة له إلا التوجيه والإشراف،إن هذه العملية تكون إما في إطار سلطوي في طابع تربوي أو العكس في إطار تربوي ذات طابع سلطوي.

المبحث الثالث:

الجذور التاريخية والفكرية لبرتراند رسل

الجذور التاريخية والفكرية لبرتراند رسل:

إن الرجل ليقف حائرا وهو يتتبع أثر الأشخاص فما بالك عندما يكون بصدد التنقيب عن شخصيات فكرية ،لها أثرها على الفكر والحضارة، مثل ما هو حالنا أمام برتراند رسل. فمن هو هذا الرجل؟ وما هي أبرز محطات حياته وفكره ومنابعه؟

أولا:رسل وبيئته الأسرية

ولد السير برتراند آرثر وليم رسل في 18 ماي سنة1872 في"منزل مجاور لضفاف الراي،ووصفه الطبيب مستر"أودلاند"بأنه طفل بديع للغاية"[1] ينتمي لأسرة أرستقراطية من أرفع طبقات المجتمع الانجليزي،وتصفه "بياتريس ويب":«كان مسلكه ومظهره الخارجي أشد ما يكون حرصا على التأنق شديد المراعاة لقواعد الذوق واللباقة التقليدية،جم الأدب يدقق في إتباع الرسميات التي يقتضيها هذا الأدب.وكان أثناء الكلام يخرج الألفاظ بوضوح يكاد أن يكون مفتعلا،ويعبر عن نفسه بطريقة محددة،وهو"بيوريتاني"[*]"puritan " متشددا من الناحية الأخلاقية،ويكاد أن يصل إلى حد التقشف في عاداته الشخصية،اللهم إلا إيمانه بأنه يعيش من أجل الكفاءة جعله يتطلع إلى الاحتفاظ بنفسه في أفضل حالة جسمية»[2].وقد تولي جده"جون رسل"رئاسة الوزارة أكثر من مرة،وبعد وفاة والديه تعهدت جدته بتربيته ولم يذهب إلى المدارس النظامية،فلقد مات والده اللورد أمبرلي"Amberly"،ووالدته كيت أمبرلي"K.L.Amberly "وشقيقته راشيل"Rachel.R" وهو لا يزال صغيرا ،وقد وصفهما رسل في سيرته الذاتية،حيث يقول عن والدته بأنها :«كانت قوية البنية، تفيض حيوية، لماحة،جادة، قادرة على الابتكار،لا يتطرق إليها الخوف»[3]،أما والده فيقول عنه:«كان يميل إلى الفلسفة والدرس،عزوفا عن الدنيويات. سوداوي

[1]- وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته، (م س)،ص13.

[*]- البيوريتانية أو التطهيرية(puritan-puratanism) مذهب مسيحي بروتستانتي،يجمع خليطا من الأفكار الاجتماعية والسياسية واللاهوتية والأخلاقية، ظهر في عهد الملكة "إلزابيت الأولى"، إزدهر في القرنين16-17، يستند على الكتاب المقدس دون الأخذ بأقوال رجال الكنيسة،وعلى الإيمان بالقضاء والقدر،لا يركز في العبادة على المناسبات وإنما في كل الحياة،تأثر بالبروتستانتية والكلفينية(كالفن)،انتشر في انجلترا وخاض صراع عنيف مع العرش الإنجليزي،كما انتشر في شرق الولايات المتحدة الأمريكية، وظهرت منه طوائف أهمها جماعة المتقين في ألمانيا، والحركة المنهجية في انجلترا، والكويكرز في أمريكا(نقلا عن الموسوعة الحرة).

[2]- وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته، (م س)،ص50.

[3]- رسل برتراند ،سيرتي الذاتية،،ترجمة عبد الله عبد الحافظ وشفيق مجلى وفائز اسكندر وآمين العيوطي،مراجعة شوقي السكري، دار المعارف مصر،ج1،د(ط س)، ص12.

المزاج،متزمتا»[1]، فقد كان والده متحرر الفكر،فهو يقول:«وكان والدي من مريدي الفيلسوف جون استوارت ميل"J.S.Mill"،كما كان صديقا له،ومن هنا كان تشيعه لتحديد النسل ولحق المرأة في التصويت مما أدى إلى فقده مقعده في البرلمان»[2]،أما عن جده فلم يعش معه طويلا إلا أنه لم تكن له أهمية عنده،لكن الأمر كان عكس ذلك بالنسبة لجدته فقد:«كانت أهم شخص بالنسبة لي خلال طفولتي،كانت أستكتلندية الأصل،تعتنق المذهب الكنسي المشيخي*،كما كانت ليبرالية في معتقداتها السياسية والدينية ثم أصبحت تؤمن بالوحدانية في سن السبعين،غير أنها كانت غاية في الصرامة في كل ما يتعلق بالأخلاق»[3]،وكانت تتكلم الفرنسية والألمانية والايطالية دون خطأ و تعرف الأعمال الأدبية التي كتبت بهذه اللغات.وقد كان هذا عاملا من عوامل سعة اطلاعه على الفلسفة الألمانية والايطالية وحتى الفرنسية،إلا أن جدته لم يكن لها اطلاع على علم النفس الحديث،فيقول عنها:«كانت خالية الذهن تماما من علم النفس بمعناه الحديث.وكل ما كانت تعرفه هو أن هناك دوافع معينة للسلوك الإنساني،فحب الوطن وروح الخدمة العامة،وحب المرء لأطفاله،كلها دوافع محمودة. أما حب المال وحب السلطة والغرور فكلها دوافع ذميمة»[4]، كما أيدت الحكم الذاتي في ايرلندا،واعترضت على الحروب الاستعمارية البريطانية،فالبيئة التي عاش فيها رسل وبالرغم من طابعها الارستقراطي إلا أنها كانت تمتزج بالقسوة والحنان،كما كانت مليئة بالأحداث،ويعبرآلان وود"Alain wood"على ذلك«وهكذا شب الولدان-مع أخوه فرانك-في ظل نظام حنون،ولكنه صارم يجمع بين البيوريتانية التي عفا عليها الزمن والليبرالية التقدمية...بالإضافة إلى سلسلة من المربيات الألمانيات والسويسريات يغذين العقل بالتنوير الراديكالي الثائر»[5].كما تربى رسل ونهل جانبا من المعرفة على يد عمته أجاتا "Agatha.R" وعمه روللو"Rollo" فهو يقول:«لعب عمي"روللو"دورا هاما في سن الأولي حيث كان يحدثني كثيرا عن أمور

[1]- المصدر السابق،ص12.
[2]- المصدر نفسه،ص12.
*- مذهب الكنيسة آل بريسبيتارية،ظهر في القرن السادس عشر،وهي واحدة من أشكال الحكم في الهيئات الكنسية التي تمثل ملامح البروتستانتية، وهو اسم مشتق من الكلمة اليونانية(Presbuteros) أو الأكبر،وهي تستخدم شيخ بدل مطران.
[3]- المصدر نفسه،ص19.
[4]- المصدر نفسه،ص22.
[5]- وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته،(م س)،ص16.

علمية،وكان يعرف الكثير عن العلم»[1]،فقد كان بمثابة المعلم الذي دفعه إلى التفكير في الأشياء تفكيرا علميا،فيقول "آلان وود"عن هذا:«فقد كان"روللو" يكتب مزامير عصرية في مدح الله،يستخدم فيها نفس الأوزان التي تستخدمها المزامير في الكتاب المقدس،ولكنه كان يدخل فيها إشارات علمية إلى الضغط الجوي،و الذرات المتصارعة،وأثير القرن التاسع عشر الذي يحمل الرسائل من المادة إلى كافة الخلية»[2]،أما عمته "أجاتا" فقد ساعدته على تعلم القراءة ،وعلمته تاريخ تطور الحركة الديمقراطية في انجلترا،وقد كانت في معظم الأوقات تتحدث حديثا عاطفيا،حيث تتكلم عن طيبة بعض الأشخاص وسفالة البعض الأخر ولقد كانت ضحية تزمت جدته،وكان لرسل أخ يكبره بسبع سنين،امتزجت عاطفته نحوه بنوع من الحب والخوف،فقد كان كما يقول عنه رسل:«طاغي الشخصية،ولقد شعرت بعد أن قضيت معه بعض الوقت،وكأنني لا أستطيع أن أتنفس.وظللت طوال حياته أشعر نحوه بمزيج من الحب والخوف.وكان هو يفتقد من أعماقه حب الناس له ويتمناه.ولكنه لم يستطع أن يبقي على حب أحد له لفرط غلظته»[3]،وقد لعب الخدم دورا هاما في حياته أهم من دور أفراد الأسرة.

أما عن جدته من أمه فقد كانت سليطة اللسان حيث يقول:« كان الخجل يتملكني في حضرتها.وكان هذا يضايقها لأنه لم يكن هناك في أسرة ستانلي-آل أم رسل- إنسان خجول.وكنت أبذل جهد المستميت كي أثير إعجابها...لقد كانت عقليتها من طراز العقلية الإنجليزية في القرن الثامن عشر،فكانت عقلانية يعوزها الخيال،تؤمن بحركة التنوير وتحتقر التزمت الفيكتوري الذي ليس له ما يبرره»[4]،وقد كانت لها عائلة مكونة من عدة أبناء يختلفون فكرا وعقيدة،فقد كان ابنها الأكبر"هنري"Henry.S" مسلما،وكان الثاني ليولف "Lyulph.S" متحررا في تفكيره،أما الثالث "الجرنون"Algernon.S" فقد كان قسا كاثوليكيا. وعلى العموم فأفراد العائلة تتشعب إيديولوجياتهم حيث كان منهم من ينتمي إلى الكنيسة الرسمية، ومنهم من يمثل الفلسفة

[1]- سيرتي الذاتية،(م س)،ص25.
[2]- وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته، (م س)،ص17.
[3]- سيرتي الذاتية،(م س)،ص29.
[4]- المصدر نفسه،ص39.

الوضعية، ومنهم من يؤمن بالتوحيد وينكر التثليث، وقد كان الجدل يصل في بعض الأحيان إلى درجة من العنف، ويصف رسل ذلك:« وكانت لعبة خالي"ليولف"المفضلة أثناء تناول غداء الأحد هي أن يسأل:من منكم يؤمن بالمعنى الحرفي لقصة آدم وحواء؟ وكان هدفه من توجيه هذا السؤال هو أن يرغم المسلم والقس على أن يتفقا معا وهو الشيء الذي كانا يكرهانه»[1]،ولذلك فقد نهل رسل معرفته وتكوين شخصيته من بيئته الأسرية التي كان يعيشها: بين أسرة أبيه آل رسل وبين أسرة أمه آل ستانلي، ويعبر رسل عن ذلك:« فانا مدين بخجلي، وحساسيتي، وحبي للميتافيزيقا لآل رسل.ومدين لأسرة ستانلي بطاقتي،وصحتي الجيدة وروحي المعنوية العالية»[2].

ثانيا: رسل وقضايا عصره

1- رسل الرياضي:

تلقى رسل معظم تعليمه في البيت،وقد كان اهتمامه بالرياضيات منذ طفولته،وقد كان حبه لها لا يضاهيه شيء وكأنها هي التي دفعته للإقبال على الحياة،فرغبته الملحة لمعرفة المزيد عن الرياضيات هي التي منعته من الانتحار في سن المراهقة،كما كانت له رغبة بأن يقدم عمل عظيم في مجال الرياضيات عندما يكبر،وقد ظهر نبوغه في الرياضيات وهو في سن الحادية عشر عندما كان يتلقى دروسه على يد أخيه الأكبر في الحساب والهندسة حين شك في بديهيات أقليدس"Euclide"،فلما كلمه عن البديهيات قال له أما هذه فلا يمكن البرهنة عليها،ولكن يجب التسليم بها قبل كل برهان فنظر إلى أخيه بنوع من الغيظ وقال له ولكن لماذا أسلم بهذه الأشياء إذا كانت لا تبرهن؟«ورفضت في أول الأمر أن أقبل بديهياته ما لم يقدم أخي لي الأسباب التي تدعوني لقبولها ولكنه قال:إذا لم تقبلها فلن تستطيع الاستمرار، ولما كنت أرغب في الاستمرار فقد قبلتها مؤقتا على

[1]- المصدر السابق،ص41.
[2]- المصدر نفسه،ص43.

مضض»[1].حتى أنه قد جعل من كياناتها واقعية عبر عنها بقصة طريفة تدور حول حلم تراءى لعالم رياضيات،كانت الأرقام فيه كائنات تنبض بالحياة،الأعداد الفردية مذكرة والزوجية مؤنثة كلها تتراقص وتنشد:«نحن الأعداد المتناهية،خامة هذا الكون،تفعل الفوضى ماشاءت،ونحن نحيل الأرض بسيطة،ونبجل أستاذنا فيثاغورث،ونعمنا بتكريم الخالد أفلاطون،نكره الحمقى والأفاقين، ويعرف كل الناس أنا نبغ الحكمة»[2].

وقد ظل رسل متشككا في الرياضيات،ووجد صعوبة في الجبر وهو يرجعها إلى طريقة التدريس،وبقي هكذا بين الشك واليقين في كل ما يعتريه من مشاكل،وفي سنة 1890 التحق بجامعة كمبريدج "Cambridge.U"لدراسة الرياضيات،ولقد صادف وجوده هناك بأن ضمت الجامعة مجموعة هائلة من الفلاسفة،اهتموا بالعلم والرياضيات مما أهلها للريادة الفكرية على حساب جامعة أوكسفورد"Oxford.U".وقد درس رسل الرياضيات في كمبردج ثلاث سنوات،وفي عام1893 كان ترتيبه السابع من بين المتفوقين،وقد بلغ تشككه في الرياضيات إلى حد أنه اعتبر التمرينات الرياضية بأنها عديمة الجدوى ليس لها علاقة بفلسفة الرياضة، كما اعتبر أن حساب التكامل والتفاضل مليء بالأغلاط،وقد بلغ به التشكك إلى بيع كتبه الرياضية وهجرانها إلى الفلسفة،وهناك تعرف على أصدقاء كان لهم الأثر الكبير على فلسفته،أهمهم ألفرد نورث هوايتهد"A.N.Whitehead"الذي كان صديقا له وقد ألفا معا كتاب"مبادئ الرياضيات"ما بين(1910-1913)والذي أعاد الحياة إلى المشكلات المنطقية القديمة،والميتافيزيقية وذلك بواسطة المنطق الرياضي.كما تعرف على أستاذه ماكتاجرت "J.M.E.Mctaggart"،الذي كان من أتباع"هيغل"وقد كان له تأثير كبير على فيلسوفنا لمدة من الزمن إلا أنه سرعان ما زال هذا التأثير،يقول رسل في ذلك:«وبرغم أنني لم أعد أتقبل فلسفة"ماكتاجرت"بعد عام1898 إلا أنني ظللت متعلقا به إلى أن كف عن دعوتي لزيارته خلال الحرب

[1]- المصدر السابق،ص44.

[1]- برتراند رسل نقلا عن مونى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، عدد 264، سنة2000،ص270.

العالمية الأولى لأنه كان يضيق بآرائي،وتبعا لذلك لعب دورا رئيسا في طردي من التدريس بالجامعة»[1]،كما تعرف على الفيلسوف جورج ادوارد مور"G.E.Moor"الذي كان من أتباع "هيغل"إلى فترة معينة ولكنه سرعان ما تخلص منه،وقد كان له هو الأخر تأثيرا على"رسل"،وهو يعبر عن ذلك:«وكانت مناقشاتي معه هي التي دفعتني إلى الإعراض عن كانط "kant " وهيغل معا.وبرغم أنه كان يصغرني بعامين إلا أنه أثر في نظرتي الفلسفية تأثيرا عظيما»[2].

غادر رسل كمبردج عام 1894 واشغل ملحقا شرفيا في السفارة البريطانية بباريس وكانت وظيفته هي نسخ الرسائل،يقول في ذلك:«حيث كان من واجبي هو نسخ الرسائل المطولة لإقناع الحكومة الفرنسية بأن جراد البحر(اللوبستير) ليس من فصيلة السمك»[3].ولكنه سرعان ما تخلى عن هذا المنصب السياسي لعدم رغبته فيه«بيد أن عملي في الميدان الدبلوماسي كان قصيرا الأمد ليس فيه ما يدعو للفخر»[4] وقد تزوج في نفس السنة من أليس بيرسال سميث"Alys.P.S" الأمريكية،وهي تكبره بخمسة أعوام،وتزوجها بالرغم من معارضة عائلته و لم ينجب منها أطفال،وأثناء تواجده في عائلتها تعرف على"سيدني وزوجته بياتريس ويب" Sidney and his wife Beatrice Webb"*وهذا ما جعل رسل يزاول دراسته الاقتصاد والديمقراطية الاشتراكية بألمانيا،وقد زار مع زوجته أمريكا1896،ولعل هذه الرحلة قد أخرجته من النظرة الإقليمية التي تأثر بها في كمبردج،وفي هذه الأثناء انتقل رسل من الرياضيات إلى الفلسفة وتقدم برسالة لنيل درجة الزمالة في الجامعة كان موضوعها"أسس الهندسة"سنة1898،وقرأ كتاب "هيغل" "المنطق الأكبر" فوجد فيه أن ما قاله عن الرياضة كلام فارغ،وبعدها رفض براهين برادلي"F.Bradley" في نفيه للتكثر،كما رفض الأسس المنطقية للمذهب الواحدي،وقد ساعده في ذلك زميله"ج. ا. مور"لأنه كان الثائر الأول عن المثالية،يقول رسل عن ذلك:«لقد

[1]- سيرتي الذاتية،(م س)،ص87.
[2]- المصدر نفسه،ص89.
[3]- نجيب محمود زكي ، برتراند رسل، دار المعارف مصر،ط2،دس، ص20.
[4]- سيرتي الذاتية ،(م س)،ص123.
*- ساهما في إرساء الاشتراكية البريطانية،و يدينان بالاشتراكية الفابية، ومتسامحان أكثر مما ينبغي مع "موسيليني" و"هتلر"، كما مجدا الحكومة السوفياتية في كتابهما "الشيوعية السوفياتية حضارة جديدة".

قال"برادلي"عن كل شيء يؤمن به الذوق الفطري عند الناس،إنه ليس سوى ظواهر،فجئنا نحن وعكسنا الوضع من طرف إلى طرف إذ قلنا أن كل من يعترض الذوق الفطري عندنا بأنه حق فهو حق،مادام ذلك الذوق الفطري في إدراكه للشيء لم يتأثر بفلسفة أو لاهوت،وهكذا طفقنا وفي أنفسنا شعور الهارب من السجن،نؤمن بصدق الذوق الفطري فيما ندركه فاستجبنا لأنفسنا أن نصف العشب بأنه أخضر،وأن نقول عن الشمس إنها موجودة حتى لو لم يكن هناك العقل الذي يعي وجودها»[1].

2- رسل والدين:

لقد نشأ رسل في أسرة محافظة تهتم بالدين وتقدسه،سواء من جانب أمه أو من جانب أبيه،ولذلك كان اهتمامه في بداية حياته اهتماما كبيرا بالدين،فقد كان يصطحب يوم الأحد إلى الكنيسة ويقول عن ذلك:«وكان جدي لأبي من أتباع الكنيسة الأنجليكانية (كنيسة انجلترا) في حين كان جدي لأمي من أتباع الكنيسة الاسكتلندية،ولكنه انتهى تدريجيا إلى مذهب التوحيد،وكانوا يصحبونني يوم الأحد،إلى الكنيسة الأسقفية الخاصة بالأبروشية في بيترشام أسبوعا،ثم يصحبونني في الأسبوع التالي للكنيسة المشيخية في ريتشموند،في حين كانوا يلقنونني في البيت مذهب التوحيد،وقد آمنت به حتى سن الخامسة عشرة تقريبا»[2]. وقد كان رسل كثير التأمل مؤمنا بتعاليم الكنيسة،إلا أنه كثيرا ما كانت تنتابه الشكوك حول قضايا الإيمان،ولكنه كان يكتمها خوفا من الإيذاء أو مس مشاعر الأسرة،إلا أنه سرعان ما حاول أن يتخلى عنها في الخامس عشر من عمره،ويعبر عن ذلك قائلا:«وكان أول ما تخليت عنه هو الاعتقاد في حرية الإرادة،ففي سن الخامسة عشرة أصبحت مقتنعا بأن حركة المادة،سواء أكانت هذه المادة حية أم ميتة،تتبع تبعية تامة قوانين الديناميكا،ومن ثم لا يمكن أن يكون للإرادة من أثر على الجسم»[3]،كما أنكر وجود حياة بعد الموت،لكن بقي إيمانه بوجود الله،وأنه هو العلة الأولى،إلا أن إثبات وجود

[1]- نجيب محمود زكي ، برتراند رسل، (م س)،ص22.
[2]- سيرتي الذاتية ،(م س)،ص ص51 -52.
[3]- المصدر نفسه،ص52.

الله بطريقته يؤدي إلى إنكار المعجزات،وكأنه قد تأثر "بسبينوزا"P. Spinoza" كما تأثر في ذلك بالفيلسوف"جون استوارت ميل"بعد أن قرأ سيرته الذاتية والتي أصبح بعدها ملحدا،فيقول:«وصرفني هذا عن حكاية العلة الأولى وأصبحت بعدها ملحدا،ولكني في أثناء تلك الفترة من الشكوك الدينية كان ينتابني الشعور بالشقاء والتعاسة لأني كنت أتخلى تدريجيا عن عقيدتي،غير أن هذه العملية ما كادت تتم وتصل إلى قرار حتى وجدت لفرط دهشتي أنني مسرورا جدا لأنني تخلصت من الموضوع برمته».[1]ولم يفصح رسل عن ذلك إلا بعد أن بلغ سن الحادية والعشرون، أي بعد الانفلات من قبضة الأسرة،ومن عوامل هذا تلك التربية المتزمتة الممارسة عليه من طرف الأهل،والمتعددة الاتجاهات من جهة ومن خلال التحدث مع بعض من تولوا تعليمه من جهة أخرى، فهو يذكر أن أحدهم كان من أنصار المذهب اللاأدري الذي كان يسمح له بالتجادل معه،ومن جهة أخرى فقد اعتنق أخوه البوذية،ولكثرة ما كلمه عن الروح فقد وجد رسل أن غرائب البوذية لم تقدم شيئا ذا فائدة.ونتيجة لمواقفه الرافضة للدين والأخلاق والسياسة فقد تعرض رسل إلى المضايقة سواء من كلية "ترينيتيTrinity"،أو من عائلته وحتى من بعض أصدقائه،وكانت نتيجتها أنه نبذ من طرف الأمريكان،حيث احتج أساقفة الكنيسة الأنجليكانية على تعيينه كأستاذ للفلسفة في جامعة نيويورك سنة1941 بحجة أنه ضد الدين والأخلاق،ودفاعه عن الزنا والإباحية الجنسية،وتهديم الأخلاق والتبجح بالإلحاد، كما تعرضت جامعة هارفارد للضغط لإلقاء دعوة رسل للمحاضرة،إلا أن أساتذتها وقفوا ضد هذه الدعوة وعلى رأسهم جون ديوي"J.Dewey"الذي يكن له رسل كل الاحترام.

3- رسل والسياسة:

أما عن حياته السياسية فرسل هو سليل أسرة سياسية،فقد تقلد جده رئاسة الوزراء عدة مرات،وقد كان يحضر المناقشات التي تجري في البيت بين الساسة،كما أن

[1]- المصدر السابق،ص ص52-53.

أسرته كانت تريده أن يكون سياسيا.إن رسل وبالرغم من انصرافه عن السياسة إلى الفلسفة،إلا أن حياته كانت كلها نضالا سياسيا،فلقد درس الديمقراطية الاشتراكية الألمانية وأحبها لمناهضتها للقيصر،وكرهها لأنها تمثل الماركسية،وقد كان لمحيط الأصدقاء دورا كبيرا في مواقفه،خاصة"سيدني ويب" في ميله إلى النزعة الاستعمارية،إلا أنه سرعان ما أقلع عنها،فهو من جهة يعارض استخدام القوة في العلاقات البشرية،كما يسمح بها بعض الأحيان،وقد ناصر رسل حرية المرأة ودافع عنها متأثرا في ذلك بمواقف والده من جهة ومواقف "جون استوارت ميل"من جهة ثانية،فهو يقول:«كان لي نصيب فعال في الحركة التي أرادت للمرأة حق الانتخاب،ولما فرغت من كتابي أسس الرياضة سنة1910 رغبت في دخول البرلمان،وكنت وشيك تحقيق هذه الرغبة،لولا أن علمت لجنة الترشيح عن حرية التفكير فأعرضت»[1].وكأن حرية التفكير كانت في عهده جريمة لا تغتفر،وربما هذا الذي صنع لنا رسل الثائر والمتمرد والباحث عن السلام.فرسل كان من معارضي الحرب ومن معارضي دخول بريطانيا إليها،فالحرب ترجع في نظره إلى الآراء الجامدة والعقائد الموروثة،فالأفكار المسيطرة على عقول الجند بعظمة الإمبراطورية وروح المواطنة كثيرا ما تكون الدافع الأساسي لذلك،وقد كان أمله أن تكون معاهدة "فرساي" بعد الحرب العالمية الأولى معاهدة سلام تقضي على هذا التنازع والصراع من أجل أفكار زائفة لكن هذه المعاهدة فرضت سلطة المنتصر مما ستؤدي إلى حرب أخرى،وقد كره رسل الحرب كرها شديدا،خاصة عندما لاحظ أن الناس تغمرهم الفرحة باندلاعها،حتى قال:«إن الحياة في هذه الأيام هي الجحيم بعينه كم وددت أن أموت قبل1914»[2].ومن بين الاتهامات التي تعرض إليها أنه عارض الحرب العالمية الأولى بينما أيد الثانية،وقد كان رده في ذلك:«إن الحرب أسوأ من أن نلقى هزيمتنا على يد القيصر،ولكن أن يهزمنا هتلر فذلك أسوأ من الحرب»[3].ودافع رسل عن السلام،وأنظم إلى لجنة مناهضة التجنيد،ومثل جانبها الفكري خاصة في

[1]- نجيب محمود زكي ، برتراند رسل، (م س)،ص29.
[2]- وود آلان ، برتراند رسل سيرة حياته،ص120.
[3]- المرجع نفسه،ص121.

كتاباته في جريدة"الزعامة العالمية"وقد تعرض إلى المضايقة من طرف الحكومة خاصة فيما نشره في جريدة "منظمة مناهضة التجنيد"،والتي يدافع فيها عن جندي حكم عليه لعصيانه أوامر التجنيد،كما كتب مقال في مجلة "ذي تربيونا" يهاجم فيه الحكومة الأمريكية وقمعها للإضرابات،بالإضافة إلى مهاجمته لبريطانيا وفرنسا ونتيجة لذلك حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر في سجن بريكستون سنة1918،وفي السجن أنتج مجموعة من الكتب والمقالات أهمها"مقدمة الفلسفة الرياضية"و"مقالات في المنطق التجريبي".إلا أن رسل اعتبر أن السلام يكون مستحيلا طالما أن هناك أنظمة للتعليم تشحذ الناس بالنوازع اللاشعورية للقتال والحرب،وقد توجه رسل في كتاباته إلى السعادة الإنسانية.و تحول إلى الاشتراكية،وذلك لأن الليبرالية هي سبب الحروب،وكثيرا ما كان يميل إلى الفوضوية حتى أنه وصف سلطة الدولة أنها من الأسباب الرئيسية للشقاء الإنساني.ومن ثم فقد زار روسيا سنة1920 إلا أن نظرته تغيرت حولها،فلم يجد شيئا جديرا بمحبتها والإعجاب بها،وذلك لما شاهده من بؤس في المجتمع السوفياتي،وقد وصف البلاشفة بأنهم يشبهون البيوريتانيين المتزمتين في أحلامهم،والشيوعية شبيهة بالعقيدة المسيحية في تبرير الاضطهاد.وقد دعي إلى الصين ومكث فيها عام مع زوجته الثانية"دورا بلاك"Dora.b"،وأحب أهلها وأعجب بثقافتها يقول في ذلك:«وعلى كل حال فقد أفادتني الصين فائدة كبيرة،وهي فائدة لابد أن يفيدها الشرق لكل من يدرسونه من الأوربيين دراسة فيها عطف وحساسية،وذلك أن الصين قد علمتني كيف أفكر تفكيرا يمتد ليشمل مسافات بعيدة من الزمن وألا أدع الحاضر بسيئاته باعثا على اليأس،ولولا هذا الدرس الذي تعلمته في الصين لما احتملت عشرين العام الماضية بما فيها من مآس على نحو ما احتملتها»[1].حتى أن زيارته للصين قد غيرت من حياته ومن نظرته لأوربا والعالم فيقول:«لقد أيقنت أن ليس للجنس الأبيض من الأهمية ما كنت أعتقد،فلو فنيت أوروبا وأمريكا في الحرب لما أستتبع هذا بالضرورة فناء النوع البشري ولا انتهاء المدنية،بل يبقى بعدئذ في الصين عدد عديد،والصين أعظم ما رأيت من الأمم في الكثير من النواحي فليست

[1]- نجيب محمود زكي ، برتراند رسل، (م س)،ص29.

أعظمها من الوجهة العددية والثقافية فحسب،بل هي عندي أعظمها من الوجهة العقلية »[1].وعند عودته من الصين أنجب رسل مع"دورا" طفليهما وافتتحا مدرسة خاصة 1927 خارجة عن التقاليد وأحدثت ضجة إعلامية وانتقادات صارمة،وقد كان اهتمام رسل بالتربية منذ الحرب العالمية،فغاية مدرسته هي توفير الحرية للناشئ،إلا أن هذا المشروع فشل وتخلى رسل عن إدارة المدرسة، وفي سنة1935 طلق دورا وتزوج باتريشيا سبنس"Patricia.p.s" سنة1936 وأنجب منهاطفلا.وفي عام 1948 قدم محاضرات في الإذاعة البريطانية،تناول فيها موضوع السلطة والفرد،وفي 1950 منح وسام الاستحقاق كما نال جائزة نوبل للآداب في نفس السنة،وقد قام برحلة إلى أستراليا ووصفهم بأنهم أسعد حالا من الأمريكان، وفي عام 1952 تزوج من أديث فنيش"Edith.F"،ولم يتوقف عن العمل فهو يقول:«أود أن أموت وأنا أعمل لأني أعلم أن آخرين سيواصلون ما لم أستطع انجازه،يغمرني الرضا عندما أفكر أن ما كان ممكنا قد تم انجازه»[2].وفي سن الثمانين حاول أن يكتب قصصا منها"مغامرة الأنسة من الكورسيكية"و"الشيطان في الضواحي" كما كرس حياته للدعوة للسلام وكثيرا ما تظهر من خلال أحاديثه الإذاعية فقد قال:« إنني أناشدكم بصفتي إنسانا يتوجه إلى غيره من البشر،تذكروا إنسانيتكم وانسوا ما عدا ذلك إذا فعلتم ذلك فإن طريقكم إلى جنة جديدة مفتوح أما إذا أخفقتم،فليس أمامكم سوى الموت الشامل»[3].

دافع عن قضايا السلام ونزع السلاح النووي وإنهاء الاستعمار والدفاع عن الحرية في كل مكان وأصدر البيان العالمي المندد للتسلح رفقة مائة عالم،كما شارك في إنشاء محكمة مجريمي الحرب شكلية يرأسها "جان بول سارتر"،وكان أخر ما كتيه قبل وفاته بيومين رسالة إلى المؤتمر البرلماني العالمي الذي كان منعقدا في القاهرة في شهر فبراير عام 1970 يندد فيها بإسرائيل يطالب بانسحابها من الأراضي العربية التي احتلتها عام1967 محذرا إياها بأن« الغارات في عمق

[1]- نجيب محمود زكي ، أحمد أمين، قصة الفلسفة،د (ط س)، ص395.
[2]- وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته،(م س)،ص302.
[3]- المرجع نفسه، ص308.

الأراضي المصرية لن تقنع المدنيين بالاستسلام،بل ستعزز تصميمهم على المقاومة»[1]. توفي رسل في اليوم الثاني من شهر فبراير من عام 1970م.

ثالثا: فلسفة رسل ومنهجه الفكري:

1- فلسفته:

إن الحياة الطويلة لرسل واهتماماته المتعددة تجعل من فلسفته متعددة ومتشعبة،فقد كتب في كل شيء في المنطق والرياضيات ،في الأخلاق والسياسة والتربية، في الحرب والسلام،في الحب والزواج،في الأدب وفي المعرفة،ولقد بدأت حياة رسل الفلسفية مثالية كانطية هيغلية متأثرا في ذلك بأساتذته أهمهم"ماكتاجرت"الذي كان هيغليا،لكنه ما لبث أن انقلب عن المثالية إلى الواقعية وقد كان ذلك بسبب:

- إطلاعه على كتاب هيغل (المنطق الأكبر) الذي وجد فيه أن ما يقوله عبارة عن لغو.
- استخلف أستاذه "ماكتاجرت"عندما سافر عام 1898 إلى"نيوزيلندا" لزيارة أسرته في كمبريدج لتدريس ليبنتز"G.W. Leibniz "إلا أنه سرعان ما أكتشف أن أساس فلسفتة أو الميتافيزيقا المثالية هو المنطق الأرسطي الذي يركز على فكرة الجوهر وأعراضه وأن علاقاته داخلية متماسكة،يعجز في التعبير عن العلاقات الخارجية المتعددة،ولذلك شن حملة ضده في كتابه"عرض نقدي لفلسفة ليبنتز عام1900"وكانت نتيجته اكتشاف منطق العلاقات وتعدد العالم، بدلا من النظرة الواحدية التي طالما آسرته،حتى أنه يرى أن الأمطار تأتي من ايرلندا وتأتي الفلسفة من ألمانيا،فقد انقلب رسل عن المثالية إلى الواقعية حتى سميت واقعيته بالساذجة فأقر بالوجود الواقعي لكل شيء حتى الأسماء الكلية والأعداد .

[1]-مهران محمد ، فلسفة برتراند رسل، دار المعارف مصر، ط1، 1976 ،ص6.

ويمكن أن نلخص فلسفة رسل كما يرويه هو عن نفسه في سيرته الذاتية:« تحكمت في حياتي انفعالات ثلاثة بسيطة بيد أنها متناهية في القوة:الحنين إلى الحب،والبحث عن المعرفة،والإشفاق الشديد على الذين يقاسون ويتعذبون.ولقد تقاذفتني هذه الانفعالات كالرياح العاتية في طريق غير مستقيم فوق بحر عميق من العذاب إلى حافة اليأس ذاتها»[1]. فحياة رسل كانت كلها حب سواء الحب الغريزي وهو الذي تزوج كذا من مرة،أو حبه للمعرفة والبحث عنها بكل الوسائل،أو حبه للناس، والدفاع عن حقوقهم،ولذلك يقول:« تلمست الحب،أولا لأنه يجلب النشوة،وهي نشوة بلغت من العمق حدا كان يمكن معه أن أضحي بما تبقى من الحياة من أجل بضع ساعات من هذه السعادة.ثم تلمسته ثانيا،لأنه يخفف الوحدة..ثم تلمسته أخيرا في الرؤية التي تتمثل للشعراء والقديسين حينما ينظرون بعين الخيال إلى الفردوس،وذلك عن طريق الحب الذي يربط بين قلبين ربطا كاملا،فيستشعران تجاوب العشاق الإلهيين.هذا هو ما سعيت إليه.»[2] وقد حاول تأسيس المعرفة،وفهم الإنسان والتأمل في الكون خاصة من باب علم الرياضيات،ويعبر عن ذلك بقوله:«وبنفس الدافع سعيت إلى المعرفة.كنت أرغب في فهم قلوب الناس،ومعرفة السبب الذي يجعل النجوم تضيء. كما حاولت أن أتبين القوة التي قال بها "فيثاغورس"والتي بمقتضاها يسيطر بها العدد على فيض الكائنات.وقد حققت شيئا من ذلك ولكني لم أصل إلى الكثير».[3]

ونتيجة لأن رسل رجلا مصلحا وصاحب حس مرهف،فإنه كان يشعر بالأسى والبؤس الذي يعانيه الإنسان على يد أخيه الإنسان،وهذا البؤس والظلم ذاق هو نفسه مرارته ويعبر عن ذلك بقوله:«إن صرخات الألم تتردد أصداؤها في قلبي.إن وجود أطفال يتضورون جوعا وضحايا يتعذبون على أيدي الطغاة،وشيوخ عاجزين قد أصبحوا عبئا مقيتا على أبنائهم- إن وجود عالم من الوحدة والبؤس والألم لمما يحيل الحياة الإنسانية كما ينبغي أن تكون- إلى سخرية للساخرين. إنني أتوق إلى تخفيف

[1]- رسل برتراند ، سيرتي الذاتية، ج1،(م س)، ص7.
[2]- المصدر نفسه،ص7.
[3]-المصدر نفسه،ص7.

وطأة الشر،ولكنني لا أستطيع فإنني أعاني منه أنا الأخر»[1]. ويمكن أن نستنتج بعض المحطات في فلسفة برتراند رسل:

- اهتمامه المتزايد بالرياضيات منذ الصغر يظهر ذلك في موقفه من الرياضيات الكلاسيكية عندما كان يدرس على يد أخيه،إن هذا الشك المبكر هو الذي جعل من"برتراند رسل"فيلسوف الرياضيات وأهم كتاب عبر عن ذلك"مبادئ الرياضيات" الذي ألفه راسل بالاشتراك مع هوايتهد(1910-1913)الذي أعاد الحياة إلى المشكلات المنطقية القديمة(الثالث المرفوع،وضوح البديهيات) والميتافيزيقية وذلك بواسطة المنطق الرياضي.
- تأثره بالفلسفة المثالية والتي بدت له ساحرة وقابلة للبرهان خاصة فلسفة "هيغل"و"كانط" لكنه سرعان ما وجدها غامضة ومضطربة لاسيما في نظرتها إلى الرياضيات وعجزها في فهم نظرية العلاقات في القضايا المنطقية.
- ثورته على المثالية وتحوله إلى الواقعية خاصة بعد تأليف "جورج مور" لكتابه "تفنيد المثالية"،ثم حضوره المؤتمر الرياضي في باريس سنة1900 والذي حضره أستاذه هوايتهد والتقى به بالرياضي بيانو"Giuseppe.P" وقد كانت ثمرته تأليف كتاب "مبادئ الرياضيات مع هوايتهد وتم رفض المثالية على أساس أنها تنكر على الرياضيات أي صدق موضوعي،وأن أحكام العلاقات تجريدات باطلة وتم من خلالها رد الرياضيات إلى المنطق،فازداد المنطق نحو الصبغة الرياضية و تحولت الرياضيات إلى الصبغة المنطقية.
- نظرية المعرفة:في كتابه"مشكلات فلسفية "ميز رسل بين المعرفة الوصفية والمعرفة بالاتصال المباشر:فالأولى تعرف عن طريق الوصف وحده وتحتمل الشك،بينما الثانية فهي المعطيات الحسية الخاصة بالفرد المدرك وأفكاره ومشاعره الخاصة في كل من الماضي والحاضر وهذه لا تقبل الشك.

[1]- المصدر السابق،ص8.

- الذرية المنطقية:هذا المفهوم وضعه مع تلميذه وصديقه فتجنشتين"L.Wittgenstein" ومؤداه أن العالم يتألف من وقائع ذرية، هذه الوقائع يميزها أنها تقابل قضايا أولية تقابلا مباشرا كما لو كانت صور فوتغرافية، وتقوم على التشابه القائم بين تركيب اللغة وتركيب العالم، فهي ذرية لأنها ترى أن العالم قوامه كثرة من الأشياء عكس المثالية التي تجعل العالم كلا واحدا متسق الأجزاء، وهي ذرية منطقية لأن الأجزاء التي تنتهي إليها بعد التحليل ذرات عقلية يضرب رسل مثلا لذلك فيقول:« إن قولنا عن ذرة بأنها موجودة هو بالضبط كقولنا إن نغمة موسيقية موجودة،فإن كانت النغمة تتطلب خمس دقائق لعزفها،فنحن لا نقول إنها شيء معين فرد موجود كله طول الدقائق الخمس،بل نتصورها سلسلة نبرات متصل بعضها ببعض في تعاقب بحيث يتكون من خيطها نغمة واحدة،وهكذا تكون الذرة سلسلة من حادثات،متعاقبة يتكون من خيطها حقيقة واحدة»[1].
- نصل أوكام*أو التقليل من عدد الكائنات في العالم:إن القاعدة الأساسية في نصل أوكام وهي لا ينبغي أن تتكاثر الكائنات بدون ضرورة،وقد استخدم رسل هذه القاعدة كما أشرنا سابقا ليخفف من عدد الكائنات التي لا فائدة من وجودها بحيث لا يبقي إلا على الكائنات الحقيقية التي لا يمكن الاستغناء عنها وهذه القاعدة تجسدت في كامل فلسفته.
- الواحدية المحايدة:الأحداث محايدة فلا هي عقل ولا هي مادة بل مختلفة عن كليهما وأسبق منهما،فهي تقضي على الثنائية الديكارتية وتختلف عن الواحدية المثالية التي تقر بجوهر المادة فقط.

[1]- كامل فؤاد ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر،دار الجيل بيروت،ط1، 1993،ص ص31 -32.

*- يطلق على هذه القاعدة نصل أوكام نسبة إلى وليم الأوكامي فيلسوف إنجليزي عاش في العصر المدرسي في النصف الأول من القرن الرابع عشر ،وقد كان لاهوتيا يهتم بوجود الله وصفاته.

2- منهجه:

إن المنهج الأساسي الذي يركز عليه رسل هو منهج التحليل، لكنه لم يحدد مفهوما دقيقا للتحليل،وإنما الذي بينه أن التحليل هو منهج وأداة توضح ماهو غامض، وذلك بحل المركبات إلى أجزائها،فهو يقابل بين التحليل والتركيب،حيث يرى أن منهج التحليل يناسب الفلسفات التجريبية ،بينما يناسب التركيب الفلسفات المثالية، ولذلك لم تحرز هذه الفلسفات أي تقدم، لأن الفيلسوف المثالي يتناول كل المشكلات وكأنها مشكلة واحدة، وهنا يأتي فضل الفلسفة التحليلية في تقسيم المشكلات إلى عدد من المشكلات الجزئية،ذلك يظهر في قوله:«إن منهجي على الدوام هو أنني أبدأ بشيء غامض ولكنه محير،شيء يبدو عرضة للشك إلا أنني لا أستطيع التميز عنه على أي نحو دقيق،فأمضي في عملية شبيهة بعملية رؤيتنا لشيء بالعين المجردة أولا ثم فحصه بعد ذلك من خلال مجهر،فأجد أنه بتركيز الانتباه تظهر تقسيمات وتمييزات لم يكن أي منها ظاهرا من قبل،تماما كما يمكنك من خلال مجهر أن ترى الباسيليات في الماء العكر،وهذا ما لا يمكن إدراكه من دون المجهر».[1] ويذهب رسل في دفاعه عن منهجه التحليلي،في أن تحليل الكل إلى أجزائه قد كانت محل اعتراض من طرف الكثير من الفلاسفة من أقدم العصور لأن هذه العملية حسب رأيهم إبطال للمعنى وإفساد للحقيقة،فالكل عندهم ليس مؤلف من أجزاء وإنما هو وحدة عضوية،فالكون كله واحد يستحيل عليه التكثر والتجزئة،ويظهر ذلك في قوله:«منذ زمن بعيد،أعترض العديد من الفلاسفة على التحليل،فقد أصروا على أن التحليل تزييف وأن الكل ليس بالفعل مكونا من أجزاء مرتبة بطريقة مناسبة،وأنه إذا ذكرنا أي جزء بمفرده فإن عملية الفصل تغيره،بحيث إن ما قمنا بذكره ليس هو الجزء العضوي من الكل»[2]. ويذهب رسل إلى أنه ما دامت الحقيقة واحدة فكيف يمكن أن نعبر عنها ونصفها بقطع مجزأة،فالعبارات اللفظية والألفاظ التي تتألف منها كل عبارة،والجمل مؤلفة من كلمات،والكلمات من أحرف وهكذا فالذين يرفضون هذا التصور مجبرين

[1]- رسل برتراند : فلسفتي كيف تطورت، نقلا عن محمد مهران، فلسفة برتراند رسل، دار المعارف مصر،دط،1976، ص318.
[2]- رسل برتراند :ما وراء المعنى والحقيقة، ترجمة محمد قدري عمارة، مراجعة إلهامي جلال عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط2005،1، ص311 .

على قبوله وذلك يظهر في قوله:« الذين ينكرون شرعية التحليل مرغمون على الإصرار على أن هناك معرفة لا يمكن التعبير عنها بكلمات.وحيث أنه من الصعب إنكار إن الجمل مكونة من كلمات،فبالتالي يمكن تحليل الجمل إلى سلسلة من المنطوقات اللفظية.لو تم إنكار ذلك فمن الضروري إنكار أن الجملة سلسلة من الكلمات،وفي هذه الحالة تصبح شيئا غير منطوق»[1]. فالتحليلية تقوم على تحليل الأشياء المركبة إلى جملة من الأجزاء والعلاقات الكائنة بينها والتي لا نكون على معرفة مباشرة بها وتحليل الرموز المركبة ومنه تكون جميع الألفاظ الكلية رموزا مركبة لابد من تحليلها إلى أشياء جزئية حتى نتوقف عن ذكر هذه الألفاظ المركبة وهذا لا يتم إلا بواسطة "نصل أوكام".أما كتب رسل فمتعددة تتناول شتى المجالات.[2]

[1]- المصدر السابق،ص ص311 -312.

[2]- أهم مؤلفاته:الديمقراطية الاجتماعية الألمانية1896،بحث في أسس الهندسة 1897، عرض نقدي لفلسفة ليبنتز1900،أصول الرياضة1903،الأصول الرياضية بالاشتراك مع هوايتهد في ثلاثة مجلدات من 1910 إلى 1912،مقالات فلسفية 1910، مشكلات الفلسفة 1912، معرفتنا بالعالم 1914،مبادئ الإصلاح الاجتماعي 1916،مثل عليا سياسية1917،الطريق إلى الحرية،الاشتراكية،الفوضوية،النقابية 1918،التصوف والمنطق ومقالات أخرى 1918،مدخل إلى الفلسفة الرياضية 1919،فلسفة الذرية المنطقية 1919،تحليل العقل 1921،ألف باء النسبية1925،عقيدتي1925)،تحليل المادة1927، النظرة العلمية1931، التربية والنظام الاجتماعي1933، السلطان1938،بحث في المعنى والحقيقة1940، تاريخ الفلسفة الغربية1946،السلطة والفرد1949)،أثر العلم على المجتمع 1951،المجتمع الإنساني في الأخلاق والسياسة1954، المنطق والمعرفة1956، فلسفتي كيف تطورت1959، سيرتي الذاتية 1968.

الفصل الثاني:

تاريخية علاقة السلطة بالتربية.

- المبحث الأول:التربية والمواطن الصالح.
- المبحث الثاني: التربية والفرد الحر.
- المبحث الثالث:موقف رسل من النظم السياسية والتربوية.

المبحث الأول:

التربية والمواطن الصالح

الفصل الثاني: تاريخية علاقة السلطة بالتربية

التربية والمواطن الصالح:

إن علاقة السلطة بالتربية قديمة قدم الإنسان ذاته،فقد ظهرت مع الحضارات القديمة واختلفت غاياتها باختلاف تلك الحضارات والفلسفات.فقد كانت التربية القديمة تهدف إلى تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته. فالتربية الشرقية على العموم تميزت بروح المحافظة والحد من حرية الفرد،ففي الحضارة الصينية مثلا سعت التربية إلى نقل الأفكار والمعلومات نقلا مباشرا من السلف إلى الخلف دون الاهتمام بالفرد وتكوينه،فللأب سلطة مطلقة في تلقين أبنائه جملة من القيم والعادات تلقينا كاملا تتميز بالصرامة والشدة، فهو الذي يحدد الطقوس ونوع العبادة...الخ. وتظهر هذه العلاقة بين التربية والحياة الاجتماعية في عبارة "كونفشيوس":«الطبيعة هي ما منحتنا إياه الآلهة،والسير بمقتضى شروط الطبيعة هو السير في صراط الواجب،وإدارة الصراط وتنظيمه هو القصد من التربية والتعليم»[1].وفي الحضارة الفارسية كانت التربية تهدف إلى تكوين خدم نافعين للدولة،فالدين عندهم ضروري بما يقدمه من خدمات في ترويض وإعداد المواطن الصالح،أما في الحضارة المصرية فقد اهتمت التربية فيها بإعداد المواطن إعدادا دينيا وخلقيا ومهنيا وذلك من خلال حرصها على خضوع الأفراد لسيطرة الحكام ورجال الدين.أما التربية اليونانية فقد كان هدفها يختلف من مدينة إلى أخرى،فالتربية في اسبرطة تختلف عنها في أثينا،فقد كانت التربية الاسبرطية تهدف إلى انسجام الناشئ مع النظام الاجتماعي وخدمة أغراض الدولة فالفرد فيها ملزم بنظام الدولة حتى لا يجرد من المواطنة،ولا يتم ذلك إلا بتكوين جنود غلاظ يقومون بحماية دولتهم.وقد عبر عبد الغني عبود عن ذلك قائلا:« كان نظام التعليم في اسبرطة خاضعا لنظام الدولة،التي فرضت على المتعلمين مناهج عسكرية،لم يكن فيها اهتمام حتى بالقراءة والكتابة،وأما الموسيقى والأدب فكانت موسيقى حماسية عسكرية،وأدبا وطنيا يدعو إلى الحماس،ويوقظ

[1]- التل سعيد وآخرون، المرجع في مبادئ التربية،دار الشروق للنشر والتوزيع،ط1، 1993،ص15.

الهمم،ويثير الحمية،ويدعو إلى التضحية والبذل في سبيل الوطن»[1]،أما في أثينا فقد كانت التربية تهدف إلى تكوين المواطن الكامل جسما وعقلا وخلقا وجمالا.لكن كيف تصورت الفلسفات الإنسان المواطن؟ وما النتائج المترتبة على ذلك؟ وما أثرها على الفرد والجماعة؟

أولا:عند اليونانين: أفلاطون"Platon"(427-347) ق م.

كان أفلاطون رجلا أرستقراطيا،مما أدى به إلى التقليل من شأن العامة من الناس وتقديره واحترامه للصفوة المثقفة،كما كان من أبرز تلامذة سقراط الذي استفاض في الحديث عنه من خلال محاوراته،كما أن ثورته على بعض الأنظمة كان بسبب موت معلمه سقراط،فقد ثار على النظام الديمقراطي وأعتبره أسوأ أنظمة الحكم،واعتبر أن الحكومة الأفضل هي حكومة الرجل المستنير،ومن خلال ذلك يؤكد على أن المدينة لابد أن يحكمها الرجل المختص وضرب لنا مثلا على ذلك في صناعة الأحذية: إذ أننا نعتمد على المختص في صناعة الأحذية إذا احتجنا إلى أحذية،كما نلجأ إلى الطبيب إذا أصيب أحدنا بالمرض فما بالك بالدولة إذا أصابها المرض؟ ألا نلجأ فيها إلى الرجل الحكيم الذي يستطيع أن يدير شؤونها؟ وبذلك تصور أفلاطون دولة مثالية في كتابه الجمهورية،معترضا فيها على الحكومات الفاسدة ويصرح فيها:«إن السلطة لا يجوز إسنادها إلى القوة الوحشية الطامعة،وإنما يجب إسنادها إلى القوة المصحوبة بالتعقل والعلم بالسياسة،والمهارة التي تمكن صاحبها من تحقيق المدينة الفاضلة»[2]،ويعتبر أفلاطون الفرد صورة مصغرة من الدولة ولذلك يذهب إلى أن:«الاجتماع ظاهرة طبيعية في حياة الناس فهو وليد شعور الفرد بالحاجة إلى الآخرين لتأمين ما يحتاج إليه من غذاء ومسكن»[3]،ويؤكد على أن غاية الدولة هي تهيئة الظروف لتحقيق القصد حيث يقول:« إن الدولة تنشأ حينما يشعر الناس بأن الواحد منهم لا يستطيع أن يكفي نفسه في إشباع حاجاته،فيجتمع الناس بعضهم مع بعض لكي يستطيع الواحد منهم أن يكمل الأخر ويحقق له من المنافع مالا يستطيع هو

[1]- عبود عبد الغني ،الأيديولوجيا والتربية،دار الفكر العربي،ط3، 1980،ص37.
[2]- مرحبا محمد عبد الرحمن ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط1983،3،ص142.
[3]-المرجع نفسه،ص143.

وحده أن يحققه»[1]،وبما أن غاية الدولة هي الفضيلة والفضيلة لا تحصل إلا بالعلم،والعلم لا يحصل إلا بالتربية،والتربية لا يمكن أن تترك للفرد وحده بل لابد أن تقوم الدولة على ذلك لأن غايتها هي تكوين أفرادا خاضعين لها بل على الفرد أن يفعل كل شيء من أجلها« إن الفرد للدولة ولا يوجد خارج الدولة ولا يعمل ضد الدولة ولتحقيق هذا يجب أن يفصل من ميلاده عن والديه ويسلم إلى الدولة»[2].

و لا سبيل إلى حكومة فاضلة إلا بإنشاء نظاما تربويا تقوم الدولة بالسهر عليه،ولا يتأتى ذلك إلا بمشاعية الجنس وتكفل الدولة بتربية الأطفال،فحين يولد الطفل يسلم إلى ملاجئ تحت وصاية الدولة وتحدد مراحل التربية عند أفلاطون كما يلي:

ففي المرحلة الأولى تبدأ تربية الطفل منذ الولادة وحتى سن السادسة يهتم فيها بتغذية الطفل ورعايته وإبعاده عن التخويف،كما يتعلم اللعب والاستماع إلى القصص الخيالية ويجوز أن يخضع للعقاب.و تبدأ المرحلة الثانية من سن السادسة إلى غاية الثالثة عشر، حيث يفصل فيها البنين عن البنات وتتم دراسة الدين والأخلاق والموسيقى والرياضيات،ويركز فيها على التدريبات الرياضية والعسكرية.أما المرحلة الثالثة فتبدأ من سن الثالثة عشر إلى غاية سن العشرين،حيث يتعلم الطفل في البداية الموسيقى والألعاب الرياضية والتدريبات العسكرية،ثم في سن العشرين يوجه لدراسة المواد العقلية لإعدادهم فلاسفة وحكاما وذلك لمدة عشر سنوات،وبعد سن الخامسة والثلاثون يوجهون لدراسة الجدل والفلسفة،ونظم الحكم والقوانين ثم بعد ذلك يقومون بخدمة الدولة في مرافقها المختلفة ثم يوضعون موضع الاختبار لإعدادهم إلى الحكم.

وعلى هذا الأساس قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث طبقات اجتماعية يرى فيها أن هذا التقسيم خاضع لإرادة الآلهة،فالطبقة الأولى هي طبقة الحكام الفلاسفة وهؤلاء هم الذين تلقوا نصيبا من العلم والحكمة والتدريب على تسيير شؤون الناس زاد عن

[1]- بدوي عبد الرحمن ،موسوعة الفلسفة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت(لبنان)،ج1،ط1984،1،ص182.
[2]- المرجع السابق،ص184.

الخمسين سنة،فهم الأفضل علميا وفلسفيا ولهم المقدرة والاختصاص على إدارة شؤون الناس وقد بين مميزات هؤلاء من حيث أن لهم الحق في الحكم لكن ليس لهم الحق في الملكية ولا في الزواج لأن ذلك يفسد طباعهم ويشغلهم عن وظيفتهم الأساسية،«ويحولهم إلى مدبري منازل ومزارعين لا حكاما وحراسا للبلاد،ويتحولون إلى أعداء وطغاة ضد الشعوب،ويصبحون كارهين ومكروهين متآمرين ومتآمر عليهم وتكون ساعة الدمار لهم وللدولة أقرب إليهم من أيديهم»[1].ويركز أفلاطون على أن الحكام لابد لهم أن يعيشوا عيشة بسيطة، يركزون فيها على ضروريات الحياة،ويعيشون سويا في حياة اجتماعية أشبه ما تكون بمعسكرات الجنود،ولم يحرم أفلاطون النساء من حق التربية والتعليم والعمل.

أما الطبقة الثانية فهي طبقة الحراس أو الجنود وظيفتها الأساسية هي حماية الدولة وخدمة طبقة الحكام،أما الطبقة الثالثة،وهي طبقة الفلاحين والصناع وهي محرومة من كل تربية،بل وظيفتها هي تعلم مهنة من المهن،فهو لا يحفل بهذه الطبقة ولا يهتم بأمرها وإنما عليهم كما يقول:«أن يتبعوا الأخلاق الشعبية والأوضاع التقليدية فكلما علا مقام المرء كثرت واجباته وقل متاعه»[2].

وهنا يذهب بعض الدارسين لأفلاطون على أنه لا يقيم حواجز بين طبقات المجتمع،فقد ذهب عبد الله عبد الدائم في كتابه التربية عبر التاريخ إلى أنه :«إذا أظهر طفل من الطبقة الدنيا كفاءات ممتازة ينبغي أن يقبل في الطبقة التي فوقها،وبالمثل إذا أظهر ابن المحارب أو الحاكم قصورا وعجزا وجب أن يهبط إلى طبقة الصناع والفلاحين»[3]،كما يذهب ول ديورانت"W.J.Durant"في كتابه قصة الفلسفة على أنه لا يوجد نظام طبقي أو مميزات أو عقبات في فلسفة أفلاطون فيقول:«يبدأ ابن الحاكم دراسته على قدم المساواة والمعاملة مع ابن ماسح الأحذية وغاسل الصحون،فإن كان ابن الحاكم غبيا فإنه سيسقط في دراسته في الامتحان الأول وإذا أثبت ابن ماسح الأحذية أوغاسل الصحون مقدرة فإن الطريق مفتوح أمامه فيصبح حاكما في

[1]- مرسي محمد منير ،تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب القاهرة،دط،1992،ص117.
[2]- مرحبا محمد عبد الرحمن،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، (م س)،ص146.
[3]- عبد الدايم عبد الله ، التربية عبر التاريخ،دار العلم للملايين بيروت(لبنان)،ط1984،5،ص66.

الدولة،وتكون الوظائف مفتوحة أمام المواهب أينما وجدت وولدت»[1].كما يذهب محمد منير مرسي في كتابه تاريخ التربية في الشرق والغرب على أن التعليم هو أساس الحراك الاجتماعي مستندا في ذلك على قول أفلاطون:«بأن الأبوين الذين ينتميان إلى طبقة الذهب قد ينتجان ولدا يؤول أمره إلى أن يصبح من طبقة الفضة إذا لم يثبت جدارة.والعكس صحيح بالنسبة لابن طبقة الفضة قد يصبح من طبقة الذهب إذا أثبت قدرة وكفاءة في التعليم،وقد يقفز آخرون من طبقة العمال إلى طبقة الحكام وهكذا»[2].

فأقوال أفلاطون عن نظام الطبقات قد يفهم منها أنه يعترف بالحركية الاجتماعية، حيث يذهب ادوارد بارنت تيلور"E.B.Tylor"إلى:«أن أفلاطون لا يقول بنظام الطبقات المقفلة الذي يقضي بأن يظل الفرد ملتزما نفس الطبقة التي ولد فيها»[3].إلا أن هذا الطرح يبدو نوعا ما غريبا عن فلسفة أفلاطون الأرستقراطية وذلك ما يوضحه الأستاذ فؤاد زكريا من خلال دراسته للجمهورية،حيث يتساءل عن الوسيلة العملية التي يمكن أن تحقق هذه الحركية،ثم إن الدولة كلها ستتحول إلى جهاز رقابة.ثم ماهو المقياس الذي نقيس على أساسه انتقال الفرد من طبقة إلى أخرى؟ويؤكد على أن هناك بعض النصوص التي تثبت أن ما قاله أفلاطون لم يكن يعني به ذلك« فأفلاطون حين قال بإمكان انتقال الفرد من طبقة إلى طبقة أخرى لم يكن يعني هذا الانتقال جديا وإنما كان يؤمن بأن الصفات الشخصية تورث من الآباء إلى الأبناء،أي أن أبناء الطبقات الدنيا يظلون في الأغلب مثل أبائهم،وأبناء الملوك يظلون أيضا ذوي طبيعة ملكية»[4]،كما أن أفلاطون أرستقراطي التفكير والنشأة يحتقر العمل اليدوي فكيف له أن يقول بالمساواة في الكفاءة؟ كما يؤكد فؤاد زكريا:« أن المبدأ السائد في تنشئة عامة الناس،هو مبدأ التخصص الدقيق،فالنجار ينبغي أن يظل نجارا فقط والتاجر تاجرا وهكذا الأمر في كل المهن الأخرى وأية محاولة للخروج عن نطاق التخصص تؤدي إلى بعث الاضطراب في المجتمع،أما إذا كانت هذه المحاولة تجاوز الفرد

[1]- ديورانت ول ، قصة الفلسفة، تر، فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف بيروت(لبنان)،ط1988،6،ص45.
[2]- مرسي محمد منير، تاريخ التربية في الشرق والغرب،(م س)،ص121.
[3]- زكريا فؤاد ،جمهورية أفلاطون، الهيئة المصرية العامة للكتاب،دط،1985،ص84.
[4]- المرجع نفسه،ص85.

لطبقته الاجتماعية وتطلعه إلى أعمال طبقة تعلو عليه فعندئذ يختل نظام الدولة أشد الاختلال»[1].وبذلك يختل التوازن ويضيع الاستقرار،إن هذا الرأي ينطبق تماما على شعوب العالم الثالث التي تختلط فيها الصلاحيات بحيث يلعب الجاهل دور العالم،والحارس دور الحاكم،والعامل دور مديره،فتربية المواطن من هذا النوع يخلط الصلاحيات،ويختل فيها التوازن،وتضيع فيها الإمكانيات،ويتولى فيها الغوغاء زمام الأمور.

ويذهب أفلاطون إلى تجاهل الفردية وذلك من خلال دعوته إلى ترك المرضى والضعفاء يموتون بل إنه يدعو إلى قتلهم فهو يقول:«إن من الواجب أن يعنى الأطباء والقضاة بالمواطنين من ذوي الطبائع الجسمية والنفسية السليمة أما من عداهم فسندع منهم أولئك الذين أعتل جسمهم يموتون وسيقضي المواطنون ذاتهم على أولئك الذين اعوجت نفوسهم وانحرفت طبائعهم»[2]،ومعنى ذلك أن حق الحياة الذي هو حق طبيعي لا يكون كذلك إلا بقدر ما يكون في صالح المجتمع.فهو يعتبر أن الجماهير بمثابة القطعان تحتاج دوما إلى من يوجهها ويرشدها،وبذلك فإنه يجسد السلطة الرعوية التي سيتكلم عنها فيما بعد ميشال فوكو"M.Foucault"،ومن خلال فلسفة أفلاطون التربوية، ونظرته السياسية لتحقيق العدالة المبنية على التقسيم الثلاثي للمجتمع، ومن خلال أداء كل طبقة لوظيفتها فإنه قد يستنتج فيها بأن الفرد لا يستطيع أن يحقق ذاتيته إلا في إطار الخطة العامة المرسومة للمجتمع، ومما دل على ذلك تنازل الطبقة الحاكمة عن كل مصالحها من أجل مصالح الدولة، ويذهب ييجر"W.Jaeger"إلى القول:« أن التنظيم الذي وضعه أفلاطون يؤدي إلى القضاء على أخر بقايا الفردية،أعني ذلك الحق الذي لم تجرؤ دولة أخرى على المساس به وهو حق الفرد في جسمه،ذلك أن أفلاطون عندما يصف حالة الحراس الذين عدموا الملكية بقوله أنهم بالفعل لا يملكون إلا أجسامهم... وكل ما يمكن أن يكون قد قصده هم أنهم يملكون أجسامهم،لا أنهم يستطيعون استخدامها بحرية»[3].إلا أنه لا يمكن

[1]- المرجع السابق،ص126.
[2]- المرجع نفسه،ص114.
[3]- نقلا عن المرجع نفسه، ص114.

تجاهل أراء أفلاطون التربوية والسياسية، فكثير من النظريات التربوية الحديثة تتفق والمنهج الأفلاطوني في ذلك وقد عبر جان جاك روسو يصف جمهورية أفلاطون:«بأنها أجمل ما كتب في التربية»[1]،بالرغم من اعتبارها يوتوبيا من طرف البعض.

ثانيا:عند المسيحيين: توما الأكويني"Thomas Aquinas"(1225 -1274م).

عاش توما الأكويني"T.Aquinas" في القرن الثالث عشر من النصف الثاني من العصر الكنسي*،في ظل التربية المسيحية التي تؤكد على ترسيخ الإيمان وجعله فوق العقل، حيث كان الاهتمام منصبا على معرفة الرب والحجر على العقل، من خلال التعاليم الكنسية، كالعشاء الرباني،وصكوك الغفران،وإذا لطمك أخوك على الخد الأيمن فقدم له الخد الأيسر، وعدم التفكير من خلال شعار"أيها الناس لا تفكروا فإن الملك يفكر بدلا عنكم."..الخ. كلها تعاليم تذل الشخص،وتملأه بالخوف،وترسخ فيه فكرة الإيمان،فغاية الكنيسة هي تكوين خدم للرب،من خلال كبح نزوات الأفراد وتعذيب النفس بالصوم والجوع ولبس الخشن من الثياب،وإجهاد الجسم بالعمل،والتعلق بالآخرة،ونبذ ملذات الدنيا،وتحريم الغنى،من خلال التخلي عن الثروة للدير لمن أراد أن يكفر عن خطيئته،هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد كان القساوسة والبابوات يتمتعون بملذات الدنيا وزخارفها،وقد كان النظام السياسي للمجتمع المسيحي إقطاعيا يتكون من أحرار وعبيد،يعتقد بوجود سلطتين الأولى دنيوية غايتها حفظ النظام الاجتماعي والأخرى كانت روحية،وفي هذا الإطار وقف "الأكويني"مدافعا عن الرق من جهة وعن التوفيق بين المسيحية ونظرية أرسطو من جهة ثانية،ولعل الدراسات الأرسطية هي التي أعادت العقل للظهور كمصدر لفهم الطبيعة بعد ما كان مغيبا لفترة طويلة،وذلك أسوة بالدراسات التي قام بها المسلمون حول أرسطو بل إن العقل كان في بعض الأحيان يعد جريمة يعاقب عليها،فقد« فسر

[1]- عبد الدائم عبد الله ، التربية عبر التاريخ،(م س)،ص65.

*- دام العصر الكنسي أكثر من ألف سنة، سمي النصف الأول منها بعصر الظلمات فهو لم ينتج فكر أصيل، أما النصف الثاني فيدعى بالعصر المدرسي وهم أتباع أرسطو.

الرق بأنه نتيجة لخطيئة آدم وأنه وسيلة اقتصادية في عالم يجب أن يكدح فيه بعض الناس ليمكنوا بعضهم الأخر من الدفاع عنهم،وهو ما سبق مع ما ذهب إليه أرسطو من أن بعض الناس ولدوا عبيدا»[1]،وتظهر نظريته السياسية والتربوية من خلال فلسفته التوفيقية في ما بين المسيحية ونظرية أرسطو،أي بين تلك السلطة الروحية المتمثلة في البابا غايتها تعليم الناس الإيمان من جهة،والسلطة الزمنية المتمثلة في الملك من جهة ثانية بغية حفظ النظام الاجتماعي،دون أن تتدخل إحداهما في الأخرى،ويؤكد على أن الغاية من التجمع البشري تقوم على أساس المصالح، والخدمات والمنافع المتبادلة من أجل حياة كريمة، وتحقيق المصلحة العامة، فهو يرى أن:«المجتمع بشكله الطبيعي له غاياته وأهدافه،ويقوم على تبادل الخدمات والمنافع من أجل الحياة الطيبة،فهو يحتاج إلى هيئة حاكمة تسير شؤونه وعلى ذلك فالحكم أمانة في عنق الجماعة كلها،وسلطة الحاكم مستمدة من الله بقصد تنظيم حياة سعيدة للبشر غير أن السلطة يجب أن تكون محدودة وتسير أعمالها وفق القانون»[2]،ومنه فإن "الأكويني" يمثل النموذج المتفتح في العصر الكنسي من خلال رؤيته التوفيقية بين تعاليم الكنيسة،والحكم المدني،ولذلك يؤكد على أنه لحفظ حياة الإنسان،ولمواجهة الشر،وإزالة العقبات وتنظيم الميول،وتعليم الصغار أو حتى الكبار، وللقضاء على الصراع المترتب عن اختلاف الميول المتعارضة،فإنه لابد من وضع قانون ينظم حياة الناس ولذلك فهو يرى:«أن الأشخاص المختلفين إنما يشكلون أحكام مختلفة على تصرفات الإنسان ومن منطلق هذه الحقيقة تنتج القوانين المختلفة،والمتعارضة»[3].فالقانون عنده ضروري لأنه ينظم العلاقة بين الفرد والمجتمع،لكن أي قانون يجب الالتزام به؟ أهو القانون السماوي؟ أم الإنساني؟ وهنا يقسم القانون إلى أربع أقسام:

[1]- تاريخ التربية في الشرق والغرب،(م س)،ص162.

[2]- محمد علي محمد،أصول الاجتماع السياسي، نقلا عن مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي،منشورات السابع من أبريل ليبيا،ط1، 2007،ص ص37-38.

[3]- توما الأكويني،نقلا عن ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، تر، ربيع وهبة،د ط،د س،ص132.

- القانون الأزلي،الأبدي(Eternal Law): يطابق التدبير الإلهي مطابقة عملية فهو:«علاقات ثابتة سرمدية، خلقها الله بين جميع الأشياء في الكون ويمكن للبشر في تعاملاتهم اليومية أن يسترشدوا بنصيب من القانون الأبدي»[1].
- القانون الطبيعي(Natural Law): يعنى بتحديد معايير الخير والشر،والعدل والظلم، والقدرة على الإدراك،والسعي من أجل الطمأنينة والاستقرار،وعلى جميع الأفراد الالتزام به.
- القانون الإلهي(Divine Law):مصدره الوحي،أو التبليغ الذي جاءه عن طريق الكتب المقدسة،غايته تحقيق السعادة الأبدية للإنسان.وهو الأهم والذي يجب أن يلتزم به الفرد.
- القانون الإنساني(Human Law):جاء لتنظيم حياة الناس من أجل تحقيق المصلحة العامة وقد عرفه:«بأنه شريعة تستهدف الخير العام،أملاها العقل وصاغها من يرعى شؤون الجماعة».[2] ومنه فإن القوانين جاءت لتحافظ على النظام من جهة،وتقضي على الصراع والأنانية من جهة ثانية،هذه القوانين لا يستطيع أن يدركها أو يفسرها إلا العقل،فهو قادر على فهم القانون الإلهي،وتعاليم الرب،كما يستطيع هو نفسه وضع قوانين تحكم البشرية،إلا أنه،إن حدث تعارض بين هذه القوانين فإنه يفضل القانون الإلهي ويقدم على القوانين الأخرى،فالوحي الإلهي لا يعلى عليه.

فالقانون يؤسس للفضائل المدنية وهذه الأخيرة توجه الناس بعيدا عن ميولهم الأنانية.فأهمية هذه القوانين هي تعليم الناس عادات الفضيلة المدنية،ولا يكون ذلك إلا باحترام الحدود الأخلاقية،ولن يستمر هذا إلا بتقاسم الاعتقاد بتعاليم الكنيسة،أو الوحي الديني،وهكذا فالأفراد عليم أن يجعلوا من تعاليم الكنيسة مركزا لحياتهم،فالعدل والأمن لا يحدث إلا عندما يتماسك أعضاء المجتمع بالالتزام بالقانون السماوي.ويركز"الأكويني"على فكرة العقاب،ويعتبره تأديب للمجرم من جهة وتحقيق منافع للمجتمع من جهة ثانية ويعبر عن ذلك:«إنه إذا كان من العدل أن نجد

[1]- المرجع السابق، ص132.
[2]- الطيب مولود زايد ، علم الاجتماع السياسي،منشورات السابع من أبريل،ليبيا،ط1، 2007،ص39.

مزيفي النقود أو أي مجرمين آخرين يعدمون على الفور تحت مقاصل الحكام العلمانيين فمن الأكثر عدلا بالنسبة للزنادقة أنهم بمجرد الإمساك بهم يهرطقون ألا نكتفي بنفيهم عن المجتمع بل أن نذهب بهم إلى المقاصل»[1]،فحسب"الأكويني"إذا رأت الكنيسة انحراف من طرف المواطن فما عليها إلا بتأديبه وإرجاعه إلى رشده،لحمايته وحماية المجتمع من شروره. ويضع"الاكويني"سلما للقيم يبين من خلاله المعيار الذي نحدده عند تعارض القيم،فيؤكد أنه إذا كان هناك شر يقضي على شر أكبر منه فلابد منه،معبرا عن ذلك:«إذا كان لك أن تترك هذا العالم تمزقه الرغبة الجنسية فعليك بقمع الدعارة،علاوة أننا من الجائز أن نتسامح مع غير المؤمنين لأن خيرا أعظم قد يأتينا من ذلك أو لربما درأنا به شرا ما»[2].وفي هذا الطرح تقابلنا المقاصد في الشريعة الإسلامية وخاصة من باب علم أصول الفقه،من خلال قاعدة جلب المصلحة ودرء المفسدة،أو من خلال إذا كان النهي عن المنكر يؤدي إلى منكر أكبر منه فهو منكر،والتي الغاية منها حماية المجتمع من الانزلاقات المتعددة والتي ستجره ربما إلى الهاوية،وما تلك الصراعات التي يعيشها عالم الربيع العربي ببعيدة عنا.

ومنه فإن الفرد في نظر"الأكويني"وبالرغم من اهتمامه به،إلا أنه لا يختلف عن السياق العام للفلسفة الوسيطية الكنسية،بحيث أن غاية العبد هي التكفير عن الذنب الذي ارتكبه أبونا آدم،وتطهير النفس من الشرور،والبحث عن الخير،ومحبة الآخر،كلها تعاليم تحث عليها السلطة الروحية التي توجه إلى كافة المواطنين الذين هم عباد الرب،في تربية سلطوية مبنية على الترغيب في الجنة،والرهبنة من خلال التركيز على العفة ونبذ العلاقة الزوجية والأسرية،واستبدالها بروابط روحية،والبحث عن المغفرة،ولا يتم ذلك إلا من خلال أسلوب العقاب والتخويف من أهوال الآخرة،هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك السلطة الزمنية حيث يتعلم الأفراد من خلالها الالتزام بالنظام،ويضحوا في سبيل هذه السلطة فالجندي عليه أن يدافع عن

[1]- توما الأكويني،نقلا عن ستيفن ديلو، التفكير السياسي والمجتمع المدني،(م س)،ص137.
[2]- المرجع نفسه،ص137.

الدولة، والفلاح يفلح من أجل إرضاء الرب،بإرضاء السلطة،والقس عليه بتعليم تعاليم الرب وهكذا.ويفرق "الأكويني" بين الرجل والمرأة وأعتبر هذه الأخيرة ضعيفة وذلك من خلال قوله:«إن المرأة بحكم ضعفها الطبيعي خاضعة للرجل وأن الأولاد يجب أن يحبوا آباءهم أكثر من أمهاتهم»[1].ومنه فالتربية والسلطة عند "الأكويني"لا يمكن أن تخرج عن تعاليم الرب،فالتعاليم الدينية هي تعاليم تربوية وسياسية ودينية غايتها هي تكوين العبد الصالح القادر على خدمة الكنيسة وإسعاد المجتمع بما يقدمه من خدمات في شتى المجالات،فالعبد الذي هو المواطن الصالح بالمفهوم السياسي ولا يكون كذلك إلا بالتزامه بالقوانين،خاصة الإلهية منها ويكون طالحا إذا كان مخالفا لها.وبالتالي فنظرة "الأكويني"نظرة دينية أكثر منها فلسفية حتى وإن كانت تؤسس على العقل،إلا أنها كانت الشعلة لإحداث نهضة أوروبية.

ثالثا:عند المسلمين:عبد الرحمن بن خلدون"Ibn khaldoun"(1332-1406) م.

إن غاية التربية الإسلامية هي إعداد الفرد المسلم إعدادا عقائديا،تعبديا،وسلوكيا، وإدراكيا،إعدادا صحيحا يتماشى والتعاليم الدينية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية من جهة وما اجتهد فيه علماء الأمة من جهة ثانية، بغية تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة،كما تحاول أن تجنب الناشئ جملة من الانزلاقات والانحرافات والحد من الشهوات. ولعل كلمة مسلم قد تكون مرادفة لكلمة المواطن الصالح في الفلسفات الوضعية، وتختلف مناهج التربية الإسلامية من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى أخر،ونحن نحاول أن نقدم نموذجا بارزا في الفلسفة الإسلامية وهو عبد الرحمن بن خلدون.

ينطلق ابن خلدون في فلسفته بصفة عامة وفلسفة التربية بصفة خاصة من خلال الواقع التاريخي للأمة العربية وما شهدته من تحولات عبر الأزمنة،وما تؤدي إليه هذه التحولات في أحوال العمران البشري.فيقف إزاءها موقف المشخص والمحلل تارة،والناقد الناقم تارة أخرى،ولا يمكن أن ننظر إلى التربية وعلاقتها بالسياسة عنده

[1]- مرسي محمد منير ، تاريخ التربية في الشرق والغرب،(م س)،ص163.

إلا من خلال نظرته العامة للتجمع البشري،فالإنسان عنده كائن اجتماعي يختلف عن الحيوانات،فهو خاضع في علاقاته إلى القوانين الاجتماعية في جميع أمور حياته ومعاشه وعمرانه،وهذه القوانين الاجتماعية تحتاج إلى فكر لينظمها ولا يكون ذلك إلا بالصنائع لحصول ما ليس لديه من إدراكات ومعارف ولذلك تكون الحاجة إلى الأخر الذي سيستفيد من معرفته وتضامنه معه،كما أن هذا الأخر الذي هو ضروري لوجوده، يشكل خطرا عليه لما في الطبيعة الإنسانية من الظلم والعدوان،و هذا التضامن يقل تدريجيا بمرور الزمن ولذلك كانت الحاجة ماسة لكبح الأنانية والظلم ولا يتم ذلك إلا بتسليم السلطة للأقوى لدفع العدوان ،ويعبر عن ذلك قائلا:«ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم»[1]،فبدون قوة وسلطة لا يمكن أن يحدث استقرار ولا يمكن للأفراد أن يتمتعوا بحقوقهم، ويعبر"حسين أحمد عبد الحميد أحمد رشوان" في كتابه القيادة"قائلا:«فبدون وجود السلطة يتم الاضطراب والفوضى لأن الغرائز الخبيثة تتفوق على النزعات الطيبة،وأبرز أهميتها في الحفاظ على المجتمع وبنائه واستمراره،وتلك سمة نوعية خاصة بالجنس البشري»[2].و يتميز الإنسان بالفكر الذي يخرجه من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل،ولا يتم له ذلك إلا بفعل التربية من جهة،فهي التي تقدم للإنسان مدارك مختلفة وتهذب ملكاته وتطورها،و من جهة ثانية السلطة السياسية،ولا يتم ذلك إلا في ظل بناء الدولة وتأسيس الحضارة،لأن هذه لا تكون إلا بتلك،فالحضارة لا تتأسس إلا على أساس وجود دولة قوية،فهي تتلون بتلون السلطة في زوالها ووجودها،والسلطة لا تتأسس إلا على العصبية والقوة يقول:«إن الرياسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية»[3]،والعصبية هي رابطة القرابة و النسب ويعبر عن ذلك:« اعلم أن كل حي أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن ،مقدمة بن خلدون، مراجعة عبد الباري محمد الطاهر، تحقيق أحمد جاد،مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع،الجزائر،ص 54.

[2]- رشوان حسين عبد الحميد أحمد ،القيادة دراسة في علم الاجتماع النفسي والإداري والتنظيمي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ،دط ،2010،ص35.

[3]- المقدمة،(م س)،ص131.

أو أهل بيت واحد أو إخوة...فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام والنعرة»[1]،إن أساس العصبية يتم عن طريق إدماج الفرد في الأسرة،والأسرة في العائلة وهذه الأخيرة في القبيلة،والقبيلة في الدولة،ومنه فالفرد لا يكون إلا من خلال الدولة التي تؤسس السلطة ومن خلالها يبدأ الأفراد في التخلي عن بعض صفات البداوة واستبدالها بخصائص حضارية،ولا يمكن أن تؤسس الحضارة إلا على أساس العلم والتربية،فهي عنده تدبير وتطوير لملكات الشخص،وهذه الملكات هي صفات للنفس،وما لم تتقن الملكة فلن يحصل العلم،ويعبر عن ذلك قائلا:«إن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله،وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا»[2].وتعني الملكة القدرة(The ability)،التي هي صفات للنفس فمنها ماهو فطري ومنها ما هو مكتسب فيقول:«إن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزحم دفعة واحدة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها»[3]،فالملكة هي الأداة التي بواسطتها يستطيع الفرد إتقان صناعة من الصناعات لتساعده على العيش من جهة ومن جهة ثانية هي وسيلة لبناء الحضارة لأنه كلما كانت الصنائع متقنة كلما زاد نماء العمران البشري،ويركز ابن خلدون على عملية التعليم في الصغر وخاصة تعليم القرآن الكريم فيقول:«إن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده،لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات،وعلى حساب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه»[4].كما يؤكد على منهجية تربوية يجب مراعاتها في تعليم الناشئ وهي التدرج من السهل إلى الصعب،والانتقال من المحسوس إلى المجرد،عدم الخلط بين علمين،التكرار،عدم التوسع في المعارف،والتركيز على الكتابة والحساب وطلب الرحلة لتوسيع المعارف.ويدعو ابن خلدون إلى تجنب العقاب في العمل التربوي لأن ذلك يولد عند المتعلمين ما يولده السلطان القاهر في نفوس رعيته،ويعبر عن

[1]- المرجع السابق،ص130.
[2]- المرجع نفسه،ص401.
[3]- المرجع نفسه ،ص376.
[4]- المرجع نفسه ،ص539.

ذلك:«إن الشدة على المتعلمين مضرة بهم،وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضمر بالمتعلم،سيما في أصاغر الولد،لأنه من سوء الملكة،ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر،وضيق على النفس في انبساطها،وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث،وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه،وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة»[1].

وبما إن بناء الحضارة يكون على أساس تطور العامل التربوي والسياسي،فإنه كذلك قد يكون سببا في فسادها وزوالها،فالضعف السياسي للدولة أو السلطان يتبعه ويلازمه ضعف في التربية لأن التربية سياسة والسياسة تربية،كما يؤكد ابن خلدون على أن المغلوب مولع بتقليد الغالب في كل شيء ويعبر عن ذلك:« ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها وسائر أحواله،وأنظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك إلا اعتقادهم الكمال فيهم،وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم»[2]،وهنا يؤكد على عامل التقليد،فالضعيف ليس له إلا أن يرى مثلا أعلى يجاريه ويماثله في كل شيء فالطفل يرى مثله الأعلى في والديه أو معلمه،والجندي في قائده والمواطن في حاكمه، والشعوب الضعيفة تراها في تلك القوية وهكذا،وما يدل على ذلك هو واقع الحضارة الراهنة(الغربية)،فشعوب العالم الثالث لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقلدتها فيها حتى وإن حدث سلوك من المتحضر عن طريق الخطأ فإنه مقبول وواجب إتباعه من تلك الشعوب المغلوب على أمرها،وخاصة في الزي أو الأكل أو حتى المشية وقد صدق رسول الله **T**عندما قال:« لتَتَبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍ لَسَلَكْتُمُوه،قُلْنَا يَا رَسُولَ الله اليَهُودَ وَالنَصَّارَى قَالَ فَمَنْ!»[3].

[1]-المرجع السابق،ص541.
[2] - المرجع نفسه،ص144.
[3]- صحيح البخاري ،رقم الحديث3197.

رابعا:في العصر الحديث:فريدريك هيغل"G. W.F. Hegel"(1770-1831) م.

يعتبر الفيلسوف الألماني جورج فريدريك هيغل،فيلسوف مثالي،زاول التعليم لمدة طويلة،اهتم بفلسفة التاريخ وبذلك يعتبر مؤرخا للفلسفة بجدارة فهو الفيلسوف المبدع والمؤرخ المحلل،وبالرغم من أنه لم يكتب في التربية إلا أن آراءه في التربية تملأ كتاباته،وقد ساهم في قيام نظم اجتماعية مثلت التربية عنصرا أساسيا فيها،ولا يمكن فهم فلسفة التربية عنده إلا من خلال أفكاره السياسية ،ويشير برتراند رسل إلى :«أن كتابات"هيغل"من أصعب المؤلفات في النتاج الفلسفي بأكمله،ولا يرجع ذلك فقط إلى طبيعة الموضوعات التي كان يعالجها بل يرجع أيضا إلى الأسلوب الثقيل والرديء الذي كان يكتب به»[1].

والدارس لفلسفة "هيغل" يجده مغرما بالعدد ثلاثة، ففلسفته كلها ثلاثة:حيث ينقسم منهجه الجدلي إلى ثلاثة، القضية ونقيضها والتركيب، ونسقه الفلسفي إلى ثلاثة أقسام، الطبيعة، الروح، والمنطق، ويقسم الروح الموضوعي إلى ثلاثة مظاهر،الأسرة والمجتمع المدني والدولة. وفي إطار العدد ثلاثة يبني"هيغل"مسار التاريخ على أساس الحرية التي هي هبة من هبات العقل وجوهر ماهية الروح، فالتاريخ هو تقدم الوعي بالحرية والتي يعرفها:« بأنها عدم التحدد بواسطة الغير كما أنها ما صدق الضرورة»[2]، فكل مرحلة من مراحل التاريخ تمثل درجة معينة من الحرية، وأولها كانت الحرية عند الحضارات الشرقية والتي لم ينل الفرد فيها حريته،بل كان عبدا للحاكم لا يملك فيها حتى روحه،حيث كانت الطاعة فيها لفرد واحد يملك السيطرة،وهو وحده من يتمتع بالحرية حتى وإن كانت انسياق وراء أهوائه ونزواته،فقد كان الحاكم فيها طاغية لا إنسانا حرا،أما المرحلة الثانية فتتمثل في حضارة اليونان والرومان،حيث اتسع مجال الحرية على ما كان عليه بحيث يستطيع بعض الناس الحصول على حريتهم وهذا البعض هو المواطن اليوناني أو الروماني،أما مواطنو الأمم الأخرى فهم برابرة، ويعبر"هيغل"عن المرحلة الثالثة

[1]- رسل برتراند ،حكمة الغرب، تر، فؤاد زكرياء،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، ج2، العدد72 ،1983، ص130.

[2]- الديدي عبد الفتاح وعصام الدين هلال، التربية عند هيغل،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،ط1993،1،ص108.

فيقول عنها:«هي مرحلة ما جرى في العالم الغربي الأوربي إذ تمرد الفرد ضد الضغط الموضوعي والخارجي من قبل العموم على شخصه،وصار يبحث عن مهرب له ينمي فيه عالما خاصا ذاتيا ينفرد به وحده كي يتحرك بداخله في حرية وأمكن التغلب على الصراع بين الظاهر والباطن،وكذلك بين العموم و الجزئي وتيسر الانتصار عليه،وتنسيقه تنسيقا منسجما في دستور الجماعة التي ينزع فيها الفرد بحريته نحو الصالح العام»[1]،إن هذا الوعي هو الوعي الذي وصلت إليه الحضارة الحديثة والذي يقصد بها "هيغل"الأمة الجرمانية التي كانت أول الأمم التي تصل إلى الوعي وتنظر إلى الإنسان بما هو إنسان.

فتاريخ العالم هو مسار تكافح فيه الروح حتى تصل إلى وعي ذاتها،وفي هذا المسار التاريخي يحقق العقل عودته مرة أخرى إلى نفسه،وهذا المسار يتوج بالدولة،فهي حسب "هيغل":«الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض،ومن ثم فإننا نجد فيها هدف التاريخ وموضوعه في شكل أكثر تحددا،وفيها تبلغ الحرية مرتبة الموضوعية وتحيا حياة الاستمتاع بهذه الموضوعية»[2]،وبالتالي فحقيقة الإنسان لا تكون إلا من خلال الدولة،فمن خلالها يصبح واعيا وعيا كاملا،له القدرة على المشاركة في الأخلاق الذاتية والحياة الاجتماعية والسياسية لأن الحياة الطبيعية ما هي إلا حالة همجية تسودها الأهواء والانفعالات الوحشية، بحيث يغلب عليها الظلم والجور والعنف،ولذلك يؤكد"هيغل"على أهمية التنشئة لرفع المجتمع المدني من حالة الفطرة إلى المستوى الحضاري،وذلك لا يكون إلا بتكوين الدولة من خلال مسارها الاجتماعي،وهنا يلتفت إلى تربية المواطن الصالح الذي حسب رأييه لا يكون كذلك إلا في إطار الدولة الكلية التي يحكمها العقل،فهذا الفرد ليس منفردا،بل إنه لا يكون إنسان إلا بين الناس،فهناك علاقات اجتماعية تربطه بالآخرين وأول هذه العلاقات،العلاقات الأسرية،ولذلك فهو يعارض تربية الطبيعيين الذين يركزون على تربية الفرد بعيدا عن تأثيرات المجتمع،إلا أن الفرد المنعزل خرافة،فهو يحتاج إلى

[1]-المرجع السابق،ص ص108-109.
[2]-هيغل فريدريك،العقل في التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت،ط3،2007،ص111.

الكثير لتوفره له أسرته أهمها الحاجات المادية ولذلك فهو يقبل عليها،هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الأسرة تلزمه بالطاعة خاصة في السنوات الأولى فهي تحد من انطلاقته وتنظم إرادته،كما أن الأسرة لا تستمد شرعيتها إلا من خلال إنجاب الأطفال،وخلال عملية نمو الأطفال يحاول المراهق الحصول على نوع من الاستقلالية التي قد تتعارض والأسرة،بالإضافة إلى الهوة الموجودة بين الأجيال الصاعدة والقديمة،إلا أن الأسرة تبقى لها وظيفة مقدسة من خلال تزويدها المجتمع بالأفراد،ومجموع الأسر يكون المؤسسات الاجتماعية إلا أن إرادة الأسرة قد تتناقض مع إرادة هذه المؤسسات ولذلك كان لابد من عملية تقنين المجتمع من خلال إنشاء الدولة،فهي تعبير عن المركب الموحد بين الجدل القائم بين إرادة الأسرة وإرادة المجتمع المدني ولذلك يعبر"هيغل"قائلا:«إن الشعوب التي تستوقف انتباهنا في تاريخ العالم هي التي كونت دولا لأنه ينبغي أن يكون مفهومنا أن الدولة هي التحقق الفعلي للحرية أعني للغاية النهائية المطلقة،وأن الدولة لا توجد ذاتها»[1].ومنه فالمؤسسة الاجتماعية الأساسية هي الأسرة،ففيها يتم تنظيم غريزة التناسل عن طريق الزواج الذي هو رباط مقدس بالنسبة للدولة ويكون غير ذلك في حالة الطلاق،فغاية الأسرة هي تربية الأولاد وتنشئتهم تنشئة صالحة من أجل المصلحة الكلية مصلحة الدولة،فوجود الأسرة ودورها مرتبط بما تقدمه من وظائف لتقوية الدولة،ويذهب هيغل إلى أن:«للأولاد الحق في أن يطعموا وأن يربوا بواسطة موارد أملاك الأسرة،وإذا كان للآباء الحق في مطالبة أولادهم بإسداء خدمات لهم فإن هذا الحق إنما يبرره ما تتطلبه العناية بالأسرة»[2]،كما أن دور الأسرة لا يقتصر على الحاجات المادية وإنما وظيفتها الأساسية تتمثل في ضبط سلوكات الأطفال بحيث تتفق والإرادة العامة من جهة وتقضي على تلك السلوكات الأنانية الطبيعية من جهة أخرى،ولا يتردد"هيغل"في تطبيق العقاب الذي يعتبر حقا طبيعيا يمارسه الآباء على أبنائهم بدافع تحقيق الغاية الكلية يقول في ذلك:«وكذلك فإن الحق الذي للآباء على إرادة أولادهم المقصود منه هو ضبط أحوالهم وتربيتهم والغرض من العقاب ليس العدالة

[1]-هيغل، نقلا عن الديدي عبد الفتاح وعصام الدين هلال التربية عند هيغل،ص113.
[2]-هيغل،نقلا عن عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة عند هيغل،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت،ط1996،1،ص115.

بما هي كذلك وإنما هو ذو طبيعة ذاتية، وأخلاقية. إنه يقوم في ردع حرية لا تزال سجينة للفطرة،وفي إيقاظ النزعة الكلية التي لا تزال نائمة في وعي الأولاد وإرادتهم»[1].

فالتربية عنده تستهدف بث روح المحبة عند الصغار واستقلالهم بأنفسهم في الكبر ويتجنب "هيغل"اللعب عند الأطفال لأنه يشغلهم عن هدفهم وهو التطلع إلى تكوين أفراد صالحين من خلال تقليده للكبار،ولا يمانع في تربية النساء إلا أن هناك فرق بين المرأة والرجل فالفرق بينهما كالفارق بين الحيوان والنبات،من حيث المزاج،فهو يقول:«إن النساء يمكن أن يثقفن لكنهن لم يخلقن للعلوم الرفيعة جدا وللفلسفة ولا لبعض أشكال الفن التي تقضي شيئا من الكلية،إن من الممكن أن يكون عند النساء أفكار وذوق وأناقة لكن المثل الأعلى ليس ميسورا لهن»[2].ويرفض أن تكون المرأة على رأس الحكومة لأن ذلك يشكل خطرا على قيامها فهو يعبر عن ذلك أنه:«لو صارت النساء على رأس الحكومة لصارت الدولة في خطر لأن النساء لا يفعلن لمقتضيات الكلية،بل بحسب الميول والآراء الطارئة العارضة»[3].ففي الأسرة يتخلى الفرد عن فرديته،كما تتخلى كل المؤسسات الاجتماعية عن شخصيتها،وبما أن الأسرة لا تستطيع كفالة حاجات الفرد وحدها ولا تستطيع أن تبقى بمعزل عن المؤسسات الاجتماعية لذلك كانت الحاجة إلى المجتمع المدني الذي يتصف أفراده بالأنانية الحيوانية من خلال إشباعهم لرغباتهم،ولذلك فهو يحتاج إلى تنظيم هذه الأنانية عن طريق الأخر في ظل القانون،وقد عبر"هيغل"عن ذلك:«لا يستطيع أحد أن يحقق مجموع أهدافه دون أن يدخل في علاقة مع الآخرين،فالآخرون ليسوا إذن إلا وسائل من أجل تحقيق أهدافه الخاصة،لكن بواسطة هذه العلاقة مع الآخرين،يهب الهدف الخاص بنفسه شكل ما هو كلي،والفرد لا يصل إلى إرضاء حاجاته إلا بأن

[1]-المرجع السابق،ص115.
[2]- المرجع نفسه،ص112.
[3]- المرجع نفسه،ص112.

يعطي للآخرين وسائل إشباع حاجاتهم في السعادة»[1].فالأفراد هم وسائل لتحقيق غايات،بحيث تمارس الدولة سلطتها عليهم،وإخضاعهم إخضاعا كاملا لإرادتها.

ومنه فإن فلسفة"هيغل"تركز على الفكرة المطلقة، أو الروح الكلية التي تتألف منها الأرواح الفردية،وتسير التاريخ وتتجسد في الدولة، وليس هناك قيمة للحرية الفردية في مقابل الحرية المطلقة، وما حريات الأفراد إلا مظاهر متعددة للحرية الكلية، ثم إن الفرد مهما كان عبقريا إلا أنه يعكس ظروف عصره المتمثلة في الكل،كما أنه مهما علت مكانته إلا أنه لا يستطيع الخروج عن الفكرة المطلقة،فالعظماء في التاريخ ما هم إلا تحقيقا للفكرة المطلقة يقول:« ليس الأبطال سوى ذرائع في أيدي قوى اجتماعية لا شخصية،لا تظهر نفسها في حوادث التاريخ بل تكمن وراءها إنما يخضع الأبطال لمنطق الحوادث»[2]،وبالتالي فإن الفرد ينصهر في حركة التاريخ بالشمولية،وما حريته إلا تعبيرا عن الحرية العامة،والفرد لا يحصل على فرديته إلا من خلال الفكرة المطلقة،كما أن«الفرد الإنساني لا يمكن فهمه إلا بالعودة إلى عدد لا متناه من الموجودات الطبيعية وما وراء الطبيعة،ثم في الدولة ومؤسساتها وفي الكيان الاجتماعي والسياسي»[3].

إن الفلسفة الهيغلية لا تعطي قيمة للإنسان الفرد إلا من خلال المجموع فالفرد الذي يمثل الجزء لا يمكنه أن يبني دولة أو يؤسس نظاما إلا من خلال الكل،فالفردية مصدر فوضى وانحطاط،إلا أنه لا يمكن إنكار أهميته لكن داخل دائرة الكل المطلق،وذلك وفق القانون،فغاية الدولة هي تربية المواطن الصالح وإخضاعه لنظام جماعي إخضاعا تاما يقضي على طبيعته الحيوانية،فوجوده مرهونا بوجود الدولة،وبغيرها ينعدم وجوده.

إلا أن هناك اعتراضات عديدة على فلسفته وصفت معظمها"هيغل"بالمنظر للاستبداد والديكتاتورية،وأنه ينكر على الفرد حق الانتقاد والإصلاح ويرجعه إلى

[1]- هيغل نقلا عن عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة عند هيغل،(م س)،ص121.
[2]- الكحلاني حسن ،الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، مكتبة مدبولي، القاهرة،ط1،2004،ص326.
[3]- المرجع نفسه،ص323.

عهد الاستبداد والعبودية،ومن أهمها أنه قد تجاهل دور الفرد في التاريخ وأدخله ضمن علاقات حتمية تسيرها الفكرة المطلقة،كما أنه أهمل الأفراد على حساب الوحدة الكلية للمجتمع ولذلك اعترض"سترنر"stirner" على فلسفتة واعتبرها:«خسران للذات واستلاب جديد أي ذوبان الفرد في النسق وفي الدولة»[1]،ولذلك ذهب يدافع عن الفرد من التجهيل الذي مارسه الفكر الهيغلي عليه من خلال كتابه "الفرد الأوحد" معبرا عن ذلك إن:«الفرد موجود بذاته ولذاته لهذا يجب أن يتحرر من بوتقة الرسالة التي ترسمها الدولة أو المجتمعات على عاتقه»[2]،كما اعترض على ذلك "برتراند رسل"واعتبر أن أراء"هيغل"تولد التعصب والقسوة المفرطة وذلك من خلال فلسفته التي ترى:«أن الدولة خيرة بذاتها،أما الأفراد فليست لهم أهمية في ذاتهم بل تكون الأهمية بقدر ما يسهمون في أمجاد الكل الذي ينتمون إليه»[3]،إلا أن هناك من دافع عن فلسفته واعتبر أن فلسفته تنظر لقيام دولة حديثة في ظل الحرية والقانون وأن الذين اعترضوا على ذلك هم على خطأ وهذا ما أكده"جاك ماريتان"Jacque Maritain:« والواقع أن هذه التفسيرات خاطئة لنظرية "هيغل" السياسية وقد يكون بعضها مغرضا لأسباب شتى! فما تعارضه الدولة،وما قد تلجأ إلى قهره هو أهواء الفرد ونزواته،أما إرادته الحقيقية الأصيلة فهي تصل إلى تحررها الكامل في الدولة»[4]،وبين مدافع ومعارض يرى"فيكتور باش" Victor Bash:«أن الدولة في نظر"هيغل"هي في مجموعها توفيق بين السلطة والحرية ووسط بين الملكية المطلقة والديمقراطية المطلقة،بين الفردية المطلقة والسيطرة الكاملة للدولة»[5]،كما يؤكد بدوي في كتابه فلسفة القانون والسياسة عند"هيغل"على «أن نظرة هيغل التربوية صائبة تماما لكن هيهات أن يأخذ بها علماء التربية بعقولهم التافهة المتحجرة»[6]. ومهما يكن فإن نظرته إلى التربية ليست بعيدة عن تلك التي تعتبرها سلطة من خلالها تمكن المجتمع القائم بأن يمارس سيادته على الناشئ وأن

[1]-المرجع السابق،ص44.
[2]-المرجع نفسه،ص44.
[3]- رسل برتراند ، حكمة الغرب،ج2،(م س)،ص141.
[4]-نقلا عن،إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الطاغية،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد183،ط1996،2،ص288.
[5]- بدوي عبد الرحمن ،موسوعة الفلسفة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت(لبنان)،ج2،ط1984،1،ص594.
[6]- بدوي عبد الرحمن،فلسفة القانون والسياسة،(م س)،ص117.

يحولها كما يشاء كأنه فخار بيد صانع الخزف يفعل به ما يريد،وهذه النظرة قد تكون صائبة عند بعض الشعوب التي تحترم أولادها من خلال تربيتهم تربية صالحة في ظل الحرية، غايتها بناء دولة متطورة قادرة على مسايرة الركب الحضاري، إلا أنها قد تعتبر عند البعض الأخر كمطية للاستبداد فتذل من خلالها شعوبها، وتقهرهم وتستعبدهم،فتتقهقر حرية الفرد وتتخلف من خلالها الدولة وتاريخ البشرية بين الشرق والغرب خير دليل على ذلك.

خامسا:عند الماركسية:كارل ماركس"Karl Marx" (1818-1883)م.

إن الحديث عن التربية الشيوعية،يقودنا إلى الحديث عن جانبها النظري من خلال مؤسس النظرية كارل ماركس من جهة ،وكممارسة عملية في النظام البلشفي بزعامة فلاديمير لينين"V.I.Lénine" من جهة ثانية.

إن فلسفة كارل ماركس التي كانت في أصلها رفضا للفلسفات المثالية والحقائق المطلقة،والأنظمة الاجتماعية القائمة كالبرجوازية المبنية على الطبقية،واستغلال الإنسان للإنسان،فهي لم تتعرض تعرضا مباشرا إلى التربية،إلى أنه يمكن استخلاص ذلك من خلال فلسفة ماركس المادية التاريخية التي تؤكد على أن الحياة المادية هي التي تحدد الحياة الروحية بشكل عام،فليس وعي الإنسان هو الذي يحدد وجوده وإنما وجوده الاجتماعي هو الذي يحدد شعوره بالوجود،فالإنسان كائن اجتماعي يحتاج إلى تكوين علاقة مع الأخر،لكنها علاقة واقعية مادية مؤسسة على ما ينتجه المجتمع،والتي تكون البنية التحتية،التي هي أساس البنية الفوقية التي من ضمنها التربية،ويعبر عن ذلك قائلا:«يقيم البشر عند إنتاجهم الاجتماعي لحاجاتهم الحياتية،يقيمون فيما بينهم علائق محددة،ضرورية مستقلة عن إرادتهم...تتناسب مع درجة نمو القوى المنتجة المادية،وتؤلف مجموعة هذه العلائق البنية الاقتصادية للمجتمع أو الأساس الواقعي الذي تنشأ استنادا إليه البنية الفوقية...ليس شعور البشر هو الذي يحدد وجودهم،إنما الأمر على العكس،فوجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد

شعورهم»[1].ومنه فليس الفكر هو الذي يتحكم في العامل الاقتصادي وإنما العامل الاقتصادي هو الذي يتحكم في الفكر ولواحقه،وعليه، فعملية الإصلاح الاجتماعي لا تتم عن طريق التربية،فهي كل من جزء ولا يصلح الجزء إلا بإصلاح الكل وبالتالي فهي تابعة للنظام العام،تتطور بتطور الحركة الإنتاجية،وتزول بزوالها ويعبر عن ذلك:«إن تشكلا اجتماعيا ما،لا يزول،إلا عندما تكون قد نمت كل القوى الإنتاجية التي يتضمنها،وحلت محلها علائق إنتاجية جديدة أعلى من العلائق السابقة.ولهذا فالبشرية لا تطرح على ذاتها إلا المهام التي تستطيع حلها»[2].

ينتقد ماركس الفلاسفة بأنهم اهتموا بتفسير العالم عوضا عن تغييره،كما يهاجم النظم القائمة سواء السياسية منها أو الاجتماعية أو الأخلاقية وحتى الدينية،ويعتبر البرجوازية والرأسمالية هي المستفيد الأكبر مما هو قائم،فحسب تعبيره:«هي المستفيد من بعض التحولات الكبرى،التي عملت على وضع العراقيل والعوائق بوجه قوة الإنسان الإنتاجية.والقضاء على الأفق الجغرافي المحدود بفضل السفرات الملاحية الكبرى،وتطوير التجارة بشكل غير محدود،والتحرر من الحدود التكنولوجية المؤسسية التي تحد من أساليب الإنتاج،بفضل تقسيم العمل الصناعي وإلقاء الأنظمة النقابية»[3]،فالبرجوازية قد تحكمت في وسائل الإنتاج وأقامت امتيازات للإقطاعية بفضل الملكية،خاصة ملكية السلطة التربوية والدينية،التي كانت غايتها في النظام الرأسمالي هي إيجاد مواطنين أذلاء مستضعفين ولذلك عملت الماركسية بصفة عامة على تحرير الإنسان من الذل والعبودية،والاستلاب،والاغتراب الذي يعيشه المواطن داخل وطنه،ويحقق بالتالي ذاته،ولا يكون ذلك إلا بالثورة والتي تعني التغيير على جميع الأصعدة بما فيها الثورة على الدين الذي يعتبره ماركس مخدر الشعوب،وذلك لأنه يمارس تربية تفصل بين الحياة الأرضية والسماوية،ويدعو الفقراء إلى الاستسلام واليأس،يقول:«الدين هو زفرة الخليقة المقهورة،وهو مزاج

[1]- الجيوشي فاطمة ، فلسفة التربية، المطبعة الجديدة،دمشق،1989،ص ص102-103.
[2]- المرجع نفسه،ص103.
[3]- توشار جان وآخرون، تاريخ الفكر السياسي،تر،علي مقلد،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت،ط1983،2،ص495.

عالم بلا قلب،وهو الروح لأحوال بلا روح،إنه أفيون الشعب»[1].فالدين حسبه يدعو الإنسان إلى الاستسلام وانتظار الموت،وهذا ما يجعله يقبل الحكم الاستبدادي والنظام الطبقي،لأن غايته هي العالم الأخر،وبالتالي يمنع الناس من الاتحاد والتغيير،ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا بعد أن يتحرر الإنسان من الدين،وبهذا يصبح الوعي الديني حرا في اعتقاده أو عدمه،ويعبر عن ذلك:« إن إزالة الدين بوصفه السعادة الوهمية للشعب هي الشرط لتحقيق سعادته الحقيقية،ومطالبته بالتخلي عن الأوهام المتعلقة بأحواله هي المطالبة بالتخلي عن أحوال تحتاج إلى أوهام»[2].

ويهاجم ماركس الرأسمالية ويعتبرها سبب الشرور،فالربح والمنافسة والصراع الطبقي هي من نتائج المجتمع الرأسمالي وليست من طبيعة الإنسان.ولا يمكن أن تحدث الثورة إلا في ظل تربية واعية يدرك من خلالها الإنسان حقيقة التغيير الاجتماعي،ولا يكون التغيير إلا بالقضاء على الأنظمة التي تحافظ على الملكية الخاصة،و التحول إلى النظام البروليتاري الذي يتولى فيه العمال السلطة والتي من خلالها يوجه الناس نحو غايات عامة،وذلك عن طريق الاتحادات والنقابات،لأن الناس ينطبعون بإيديولوجية الطبقة السائدة،وهذا ما كان قد أشار إليه ابن خلدون بأن الناس على دين ملوكهم،ولذلك دعا ماركس إلى بناء تربية مستقبلية تهدف إلى بناء وتنمية شاملة لشخصية الفرد.

وفي هذا الصدد يؤكد"لينين"أن البرجوازية الرأسمالية، قد استخدمت التربية للسيطرة على الطبقات الأخرى وتزويد الرأسمالية بالأذلاء والمستضعفين فيقول:«إنّ المدرسة في مثل هذه الدولة (الرأسمالية) قد تحولت كلها فعلا إلى سلاح، يستخدم لسيطرة الطبقة البرجوازية، فقد طبعت بطابع الروح البرجوازية،وكان هدفها أن تزود الرأسماليين بالأذلاء المستضعفين، والعمال الأكفاء»[3]،وبما أن غاية الشيوعية هي محاربة الرأسمالية والدعوة إلى العقيدة الماركسية فإنه لابد من استخدام وسائل

[1]- بدوي عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة، ج2،(م س)،ص420.
[2]- المرجع نفسه، ص420.
[3]- جورج كاونتس، تحدي التربية السوفياتية، نقلا عن عبد الغني عبود، الايديولوجيا والتربية،دار الفكر العربي، مصر،ط1980،3، ص288.

الدعاية للتشهير بمبدئهم و ليس هناك وسيلة أفضل من الدعاية التربوية، ويعبر "لينين"عن ذلك:«إن واجبنا في ميدان التربية هو أن نكافح أيضا للقضاء على البرجوازية،ونحن نعلن بصراحة أن القول بوجود المدرسة خارج دائرة الحياة، وخارج دائرة السياسة هو عين الكذب والرياء»[1]، ومنه فالتربية الشيوعية تهدف إلى تنمية الإيديولوجية من جهة وتقوية الدولة من جهة ثانية، ولذلك فقد استخدم الشيوعيون كل الوسائل من أجل بناء مجتمع خال من الطبقية مبني على العدالة الاجتماعية،ليس فيه رحمة ولا شفقة، وقد تمثلت هذه الوسائل التربوية في:رياض الأطفال،المدارس،الجامعات،المعاهد والنقابات العمالية،والتعاونيات الفلاحية،والمنظمات الشبابية والطلابية..الخ وقد عبر جورج كاونتس "G.gaunts"عن ذلك قائلا:«إن البلاشفة قد تفوقوا في نظرتهم إلى التعليم على زعماء أي مجتمع أخر على ظهر الأرض،ولا تقل عنايتهم الشديدة بأساليب التعليم ومحتويات البرامج المعدة لتشكيل عقول الشباب والكبار عن عنايتهم بعتاد قواتهم المسلحة،أو بنظامهم الاقتصادي لأنهم يرون أن التربية سلاح بتار في قضية الشيوعية،ولولا ما أنشأه البلاشفة من هيئات تعليمية واسعة النطاق لما كان لهم من القوة ما يستمتعون به اليوم»[2].

فالتربية في النظام الشيوعي هي تربية جماهيرية،لا تقتصر وظيفتها داخل المدارس التعليمية،فهي تبدأ منذ الصغر،ابتداء من الأسرة إلى المنظمات الاجتماعية العامة،بما فيها وسائل الإعلام المتنوعة حيث يتم تلقين الفرد جملة من التعاليم الشيوعية،المتمثلة في التعاون الاجتماعي،وحب العمل،وكراهية المستغلين،والدعاية ضد الدين،وعدم التمييز بين الجنسين في بناء المجتمع،ويتم ذلك بتمجيد رموز الدولة المتمثلة في العَلَم والأناشيد الوطنية والحماسية،والدورات التطوعية،والمؤتمرات الشعبية،كما أنه من أهم وسائل التربية في النظام الشيوعي،وسائل الثواب والعقاب،سواء معنويا أو ماديا مثل ما يناله من رضا أو إنكار جماعي،والتي ستؤثر

[1]- المرجع السابق،ص288.
[2]-المرجع نفسه،ص289.

على مستقبل الفرد سياسيا،وتركز على الجانب السلوكي في العمل التربوي،والذي يكون معياره ما مدى اندماجه أو عدم اندماجه مع الجماعة. أما العقاب البدني فهو محرم تماما في التربية الشيوعية،والهدف من هذا كله كما يعبر عنه "عبد الغني عبود" هو:«الاهتمام بالتربية الخلقية،وهو أن يشب الصغير وقد تشرب التقاليد الشيوعية،وتحلى بأخلاقها،وعرفها نظريا كما مارسها عمليا مما يسهل للدولة والحزب مهمتهما»[1].وتقوم التربية الشيوعية على الأسس التالية:

- اللاطبقية: ولذلك عملت التربية على محو كل ما من شأنه أن يوجد فوارق طبقية بين الأفراد، وذلك من خلال الترغيب في مبدأ العدالة الاجتماعية،المساواة بين الأفراد، الترهيب من البرجوازية والملكية الفردية ،والتمايز بين الناس.
- محاربة الدين: فالدين باعتباره تربية روحية أخلاقية،حسب التعبير الماركسي، يعطينا فردا مستضعفا،غير حر في اتخاذه القرارات، ولذلك يجب تحريره تماما من أي التزام ديني، كما يجب الدعاية ضده وتحرم أي دعاية له.
- المساواة بين الجنسين: فالعمل التربوي أو المواطنة ليس فيها فرق بين الرجل والمرأة ولذلك فالتعاليم هي واحدة بالنسبة للجنسين معا.
- المساواة بين الأجناس :فليس هناك فرق بين جنسية وأخرى،وليس هناك تمايز بين شعب وآخر.

ومنه فالنظام الشيوعي لا يفرق بين ما هو سياسي وتربوي أو أخلاقي وديني، وحتى اقتصادي،فالاقتصاد تربية وسياسة وأخلاق وعقيدة عندهم كما أن التربية هي سياسة وأخلاق وعقيدة لديهم،وعليه فغاية التربية هي إعداد ذلك المواطن المتحرر من كل القيود الدينية والأخلاقية، والملتزم بالتعاليم الماركسية، بحيث أن فرديته تذوب في الجماعة، فهي نظام جماعي لا يسمح بالمبادرات الفردية إلا في ظل ما تسمح به الجماعة، فكل فرد فيها يعمل من أجل إرضائها، فهي تتطلب الولاء والطاعة للمجتمع، وبذلك يلتزم كل مواطن بأن يقدم للدولة كل ما تطلبه منه، كما أن

[1]- عبود عبد الغني ، الايدولوجيا والتربية،دار الفكر العربي، مصر،ط1980،3،ص300.

مهمة التربية هي تثبيت القيم الاجتماعية للدولة، ولذلك فقد نجح المجتمع الشيوعي في بناء أفراد حسب النمط الذي يريدونه، فهو حسب تعبير"هاريسون" و"مايرز"أنه استطاع:«إنتاج مختلف أنواع الأفراد العلميين والمهنيين والإداريين، اللازمين للمجتمع الشيوعي، والقادرين على خلق مجتمع صناعي متقدم يسعى إلى أن يجعل صوته مسموعا في العالم كله، وإلى أن ينشر إيديولوجيته»[1].

إلا أن النظرية التربوية والسياسية الماركسية عوضا أن تحرر الإنسان فإنها قد صنعت له وثنا يتعبده صباحا مساءا،من خلال التزامه بالتعاليم الشيوعية،ومن خلال رفضها للأخر الذي لا يقبلها،ويعبر رسل عن ذلك قائلا:«إن الفلسفة السياسية الماركسية تصطبغ بصبغة العقيدة ذات الرسالة المحددة التي عبر عنها مؤسس عقيدة أخرى أسبق منها بقوله: من ليس منا فهو علينا،وواضح أن هذا ليس هو المبدأ الذي يمكن أن تقوم عليه أية نظرية ديمقراطية»[2]،كما أن ما دعت إليه هذه الفلسفة بقلب الأوضاع عن طريق العنف،تعتبر وسيلة غير أخلاقية في ظل الرقي الإنساني،إنها وسيلة البدائي وليس المتحضر،كما تعتبر دعوته للتخلي عن الدين هي تأسيس لدين جديد،مبني على استعباد الإنسان للإنسان وخير مثال على ذلك النظام السوفياتي واستبداده بشعبه، مما أدى إلى تخلفه عن ركب حضارة الشعوب الغربية التي تركز على الفردية.

وعليه فإن التركيز على تكوين المواطن الصالح، ينمي فكرة الانتماء والولاء والتماسك ،فالفرد المتشبع بقيم الجماعة، يعتبر نفسه جزء منها، بل إن حياته لا يصبح لها معنى إلا ضمن هذه الجماعة، ويتفانى في الدفاع عن مبادئها عفويا وذاتيا، إلا أن المتتبع لتاريخ البشرية يلاحظ أن الولاء قد تقلص من القديم إلى الحديث وذلك يعود إلى وعي الإنسان من جهة وتغيير فكرة الولاء التي أصبحت تؤسس على فكرة المصلحة من جهة ثانية.

[1] المرجع السابق ،ص303.
[2]-رسل، حكمة الغرب،ج2،(م س)،ص ص171-172.

المبحث الثاني:

التربية والفرد الحر

التربية والفرد الحر:

إنه في مقابل هذا الرأي الذي يرى أن غاية التربية هي إعداد مواطن صالح موالي للسلطة،فإننا نجد نظريات دعت إلى تحرير الإنسان من ربقة القيود الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية وهذه الدعوات تطورت ونمت في ظل الحركات التنويرية الأوربية،إلا أن جذورها قديمة ظهرت مع الفلسفة اليونانية ولعل أول حركة فلسفية دعت إلى هذا كانت جماعة السفسطائيين.وقد دعت المدرسة الطبيعية إلى ترك الطفل لممارسة حريته بطريقة طبيعية،كما ركزت التربية البراغماتية على الحرية في ظل النظام الديمقراطي، فكيف تنظر هذه الاتجاهات إلى التربية؟ وماهي النتائج المترتبة على ذلك؟ وما أثرها على الفرد والجماعة؟

أولا:عند السفسطائيين: **بروتاغوراس"**Protagoras "(485-410) ق.م.

ظهرت السفسطائية كحركة فلسفية في عهد سقراط الذي كان يكن العداء لفلاسفتها، فكان يواجههم ويزدري آراءهم،وذلك بسبب منهجهم،حتى أنه حسب تعبير برتراند رسل كان:«يشير إليهم سقراط بازدراء بوصفهم أولئك الذين يجعلون الحجة الأضعف تبدو وكأنها هي الأقوى»[1].كما هاجمهم أفلاطون،وشن عليهم حملة شعواء خاصة في أرائهم السياسية،ويؤكد عبد الرحمن بدوي في موسوعته:« أن هذه النزعة كانت لحظة ضرورية لابد منها في تطور الروح اليونانية نحو إدراكها لذاتها إدراكا تاما كليا حتى بلغت أوج هذا الشعور عند أفلاطون وأرسطو ولم تكن إذن ظاهرة ثانوية أو خارجة عن التطور»[2]، فقد كان أصحابها معلمين جوالين يقدمون دروسا في شتى الميادين،مقابل أجر،وهذا ما جعل سقراط يعيب عليهم هذا العمل، إلا أنه كما يقول برتراند رسل:« على أن المرء قد يشعر حقا بأن سقراط لم يكن في هذه المسألة منصفا،إذ أن محترفي الكلام أنفسهم يحتاجون إلى أن يأكلوا من آن لأخر ومع ذلك ينبغي أن نشير إلى أن التراث الأكاديمي ينظر إلى الأجور على أنها نوع من الحماية

[1]- رسل برتراند،حكمة الغرب،تر،فؤاد زكرياء،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ج1، العدد62، 1983، ص ص89-90.

[2]- بديوي عبد الرحمن ،موسوعة الفلسفة،ج1،(م س)، ص587.

التي تتيح للأستاذ أن ينسى المشكلات المادية»[1] ومن بين أسباب ظهور هذه النزعة هو تلك التغيرات التي حدثت في عهدهم،حيث بعد تأسيس المدينة تغيرت نظرة الحكم من صورة المواطن الخاضع للأسرة ولنظام الحكم،إلى تلك النظرة التي تدعو إلى تنمية الروح الفردية لديه،حيث أصبح الفرد حسب تعبير بدوي:«يستطيع أن يتنقل من مدينة إلى أخرى ولا يكون مرتبطا بمكان معين، فتنموا إذن روح الاستقلال لديه مادام لم يعد مرتبطا بمكان ضيق بذاته»[2].

وفي ظل هذه الأوضاع كان لابد من وجود تربية تهتم برعاية الفرد رعاية جسمانية وفكرية،وقد تلقفت السفسطائية هذا الهدف وعملت على تحقيقه نظريا وعمليا،وذلك من خلال تصور الحقيقة بأنها ليست ثابتة،وأن نجاح الفكرة يتم عن طريق الممارسة العملية،يقول رسل:« ولما كان السفسطائيون يرون أن المعرفة لا يمكن اكتسابها،فقد أعلنوا أنها ليست بذات أهمية، والمهم هو الرأي المفيد... ففي أداء الشؤون العملية يكون النجاح بالفعل هو العامل الذي يطغى على غيره»[3]،وهنا تتفق السفسطائية والنظرة البراغماتية من خلال تركيزهم على المنفعة كغاية،باعتبار الأولى هي نواة للثانية،فقد ركزوا على الجانب العملي المفيد ولذلك كانت مهمتهم هي تعليم الفرد فن من الفنون يفيده في حياته العملية ،فالعمل التربوي لديها ليس ذلك الذي يهتم بإعداد المواطن الصالح،بل هو إعداد أفراد قادرين على تسيير أمور الدولة،لأن صفات القيادة لا يمكنها أن تبرز إلا من خلال الاهتمام بالإنسان اهتماما فرديا وتنمية الروح الفردية لديه،ولا يمكن تكوين الفرد القائد إلا من خلال أسلوب الخطابة لكي يستطيع أن يؤثر على السامعين،فالخطابة عندهم هي الفن والفن الحقيقي وليست أداة للتأثير فحسب، فهي بالنسبة إليهم المعرفة الحقيقية القادرة على تنمية القدرة لدى الأفراد.ومن فلاسفتها يمكن أن نركز على أهم أعلامها وهو "بروتاغوراس" الذي أكد على النزعة الفردية والذاتية في الإنسان،وأنه ليس هناك حقيقة موضوعية بل إن الحقيقة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص،وقد عبر عن ذلك بقوله:«الإنسان مقياس

[1]- برتراند رسل، حكمة الغرب ج1 ،(م س)،ص91.
[2]- بديوي عبد الرحمن بدوي،موسوعة الفلسفة،ج1،(م س)،ص587.
[3]- حكمة الغرب،ج،1(م س)،ص90.

كل شيء،الأشياء الموجودة على أنها موجودة،والأشياء غير الموجودة على أنها غير موجودة»[1]،فهذا الطرح لا يؤمن بالثبات وإنما بالتغير والاستمرار وهو قديم ظهر مع"هيرقليطس"الذي يعتبر أنه ليس هناك شيء ثابت في الوجود،كما يدعو إلى الروح العقلية من خلال الاستقلال الفكري للفرد وحريته في إصدار الأحكام باعتباره معيار الأشياء كلها،وأنه مصدر كل القوانين وكل القيم،كما أن السفسطائيين قد هاجموا المعتقدات الشعبية،والأساطير الخرافية لتناقضها مع الطبيعة الفردية للإنسان وقد عبر بدوي عن ذلك بقوله:«من هنا كان على السفسطائيين وقد مثلوا هذه الروح اليونانية أجلّ تمثيل أن يثوروا على المعتقدات الشعبية التي يتمثل فيها الميل إلى القول بوجود الخوارق وبوجود حقيقة عالية على الوجود. وكان التفكير العقلي من ناحية أخرى،والنزعة الفردية التي تمثلت في الروح اليونانية والسفسطائية خاصة...أن تدفع بالسفسطائية إلى الحملة على الأساطير والتصورات الشعبية وبالتالي على الدين كما تصوره عامة الشعب»[2].

أما في ما يخص الجانب السياسي فيركزون على أن المدنية والحضارة لا تقوم إلا على أساس القانون،ويعبر"بروتاغوراس"عن ذلك:«إن الإنسانية قد انتقلت من دور البربرية والوحشية إلى دور الحضارة والمدنية عن طريق القوانين»[3]،إلا أن النزعة الفردية كثيرا ما تتعارض مع القوانين،لأنها تحد من حرية الفرد وتكبح جماحه،إذا كانت صادرة من خارجه،ولذا كان لابد أن يكون منبعه الذات،أساسه العقل،يتفق مع ما يمليه الحس العام، ويعبر عن الروح الفردية لديه،وبما أن القانون طابعه إنساني فإنه يتفق والمصلحة العامة،مما يؤدي إلى التضييق على الفردية نوعا ما.ومن خلال تعليمهم الناس الجدل،والحرية الفردية فقد مهدوا لتأسيس الديمقراطية في العهد اليوناني،بل كان لها تأثيرا بالغا في المجتمع،فقد ساد في أثينا والمدن المجاورة لها النظام الديمقراطي،لكنه نظام أرستقراطي،خاص بالعائلات الغنية التي تملك الثروات،وتحوز على التعليم،وعلى الراحة وعلى السفر،وليست ديمقراطية عامة

[1]-المصدر السابق،ص92.
[2]-بدوي موسوعة الفلسفة،ج1،(م س)،ص589.
[3]- المرجع نفسه،ص590.

تمس كل طبقات المجتمع،وقد عبر رسل عن ذلك:«إنه في أثينا والمدن المجاورة،كانت الديمقراطية هي السائدة سياسيا،لكنها لم تقلل من ثروات العائلات الأرستقراطية،ولقد كان بصورة رئيسية أن الأغنياء الذين لديهم فيما يبدو الثقافة اليونانية هم وحدهم من يحوزون على التعليم والراحة والسفر،فالديمقراطية لم تمس طبقة العبيد التي تمكن الأغنياء من الاستمتاع بثرواتهم»[1]،أي أن الفرد كان مغمورا لا وجود له، وبواسطة هذه النزعة التي تدعو إلى الفردية الذاتية فقد هيئوا المجتمع اليوناني لنظام ديمقراطي لا يميز بين طبقات المجتمع.وهذا ما جعل سقراط يعارضهم،« فقد عبر عن احتقاره للديمقراطية الدهمائية فهي تجعل أراء كل المواطنين على قدم المساواة دون تمييز بين الجاهل وغير الجاهل»[2].

وعلى العموم وبالرغم مما يوجه إلى السفسطائية من اعتراضات والتي ربما هي مناصرة لسقراط باعتباره حكيم اليونان،إلا أنه لا يمكن تجاهل دورها في ميدان التربية والسياسة،فهي قد دعت إلى تحرير الإنسان من كل القيود التي تعترض تقدمه،وتعوق فكره ولقد وجدت لها صدى في عصر النهضة لاهتمامها بالإنسان،وبالآداب، كما تتفق وعصر التنوير من خلال تركيزها على العقل كحكم في كل شيء،وتقديس الروح الفردية،بل نجد لها تأثيرا حتى في الفلسفات الحديثة والمعاصرة .

ثانيا:عند الطبيعيين:جان جاك روسو"J.J. Rousseau"(1712-1778)م.

إن حركة التنوير التي أعادت الاعتبار للعقل وللحرية الإنسانية في القرن الثامن عشر قد كان لها الأثر الكبير في بروز بعض التيارات الفلسفية كان أهمها الحركة الطبيعية،في النصف الثاني من القرن الثامن عشر،والتي ركزت على الإعلاء من شأن الطبيعة البشرية،ودعت إلى العودة إلى الحياة الطبيعية،والحط من المدنية،كما دعت إلى إعادة بناء الدين بما يتفق والطبيعة البشرية،والتركيز على الجانب العاطفي

[1] - Russell Bertrand, History of western philosophy, George Allen and unwinLTD,GB,ed2,1947,p94.
[2]- إسماعيل المهدوي، معنى الديمقراطية في الايديولوجيا الجديدة، نقلا عن حسن الكحلاوي، الفردانية،(م س)،ص27.

في الإنسان.وقد تزعم هذه الحركة الفيلسوف الفرنسي"جان جاك روسو"،الذي يعتبر رائد الحركة الطبيعية في التربية،وصاحب نظرية العقد الاجتماعي،هذه الأعمال قد جلبت إليه الشهرة،كما أدت إلى بؤسه وشقائه في أواخر حياته،ولعله لم يكن يذكر في التاريخ،لولا يقظته العقلية من خلال كتابته لمقال بعنوان"مقالة في الفنون والعلوم" وهو إجابة عن سؤال الجائزة الذي طرحته أكاديمية "ديجون العلمية" هل تقدم العلوم والفنون أدى إلى نقاء الأخلاق أم فسادها؟والذي نال إعجاب أعضاء الأكاديمية.

وتتمثل علاقة السلطة بالتربية لديه من خلال عملين أساسيين هما كتاب"إميل" في التربية وكتاب "العقد الاجتماعي" في السياسة،واللذين من خلالهما يوجه انتقادات لاذعة للمعتقدات والأساليب التربوية السائدة في عصره،ويعتبر أن حياة الفطرة حياة خيرة وما لحقها من شرور كان بسبب التجمع البشري،ولذلك اختار"روسو" "إميل" الشخصية الافتراضية ليطبق عليها نظريته التربوية،بالرغم من أن أبناءه الخمسة قد تربوا في دار اللقطاء.

ينطلق روسو من أن طبيعة الطفل خيرة،فليس هناك شر أو انحراف فيها،وإنما الذي يلحق به من شرور يكون بسبب البيئة الفاسدة التي يعيش فيها،فهو يوجه سؤاله إلى الذين يعتقدون أن مرحلة الطفولة هي تصحيح الميول الخبيثة للطفل،ولذلك لابد من الإكثار من الآلام حتى توفر عند الكبر فيقول:« إني أسألكم من أين لكم البرهان على أن تلك الميول الخبيثة التي تزعمون عملكم على شفائه منها،ليست في الواقع إلا ثمرة جهودكم،لا ثمرة خلقته الفطرية؟»[1].

ويهاجم التربية التقليدية ويعتبرها همجية وغير إنسانية ليس فيها رحمة ولا شفقة فهي بمثابة سجن للمتعلم، فيقول:«فما القول إذن في تلك الهمجية التي تضحي بالحاضر القائم في سبيل مستقبل مجهول غير مضمون،وهي تربية تكبل الطفل بالأغلال من جميع الأنواع والأشكال. وتبدأ بأن تجعله شقيا في طفولته لكي تعده

[1]-روسو جان جاك ،إميل،ترجمة نظمي لوقا،الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة(مصر)،د(ط س)،ص81.

لمستقبل بعيد تزعم أنه سيكون سعيدا»[1].ولذلك فهو يركز على الطبيعة كعامل أساسي في تكوين شخصية الطفل من خلال احترام قوانينها،مؤكدا على أهمية التربية لدى الناشئ من خلال عبارته:«فنحن نولد ضعافا،في حاجة إلى القوة،ونولد مجردين من كل شيء،في حاجة إلى العون،ونولد حمقى في حاجة إلى التمييز.وكل ما يعوزنا حين مولدنا،ونفتقر إليه في كبرنا،تؤتينا إياه التربية»[2]،ويبين بأن هناك ثلاثة عوامل للتربية فهي تأتينا إما من الطبيعة من خلال نمو وظائفنا وجوارحنا الداخلية،أو من الناس من خلال ما نتعلمه من الإفادة في النمو،أو من الأشياء من خلال ما نكتسبه من خيرية عنها،فإذا تضاربت هذه العوامل ساءت التربية،أما إذا اتفقت حدث الوفاق مع النفس وهو يعبر عن هذا:« كل امرئ منا إذن يتولى تشكيله ثلاثة ضروب من الأساتذة والتلميذ الذي تتضارب فيه دروسهم المتباينة تسوء تربيته،ولن يكون على وفاق مع نفسه.أما من تتوافق فيه تعاليمهم،فتنصب على أمور واحدة،وتستهدف غايات واحدة، فهذا هو الذي يصل إلى مبتغاه،ويعيش في وفاق مع نفسه.وهذا هو من طابت تربيته»[3].فالتربية السليمة،هي تلك التي تسير وفق قوانين الطبيعة،أي تلك التي تحترم غرائزه وميوله ونزواته وأهوائه وليست تلك التي تحد من طبيعته،ولذلك فهو يدعو إلى الحرية الفردية في عملية التعلم وترك الطفل يعتمد على نفسه،يتعلم من الطبيعة كل شيء،اللذة والألم،الحب والكره،الخير والشر. ولذلك يقول:«إني أؤكد أنه لا سبيل لتذوق الخير العظيم إلا إذا عرفنا جانبا من الشرور الهينة هذه طبيعة الإنسان...والشخص الذي لا يعرف الألم لا يمكن أن يعرف الحنان الإنساني،ولا عذوبة الرحمة والشفقة.لأن قلبه لن يتحرك لشيء،ولن يكون اجتماعيا.بل سيكون بين نظرائه وحشا أو مسخا»[4].

فتعلم الطفل من الطبيعة يكسبه الاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الآخرين،كما لا يجب أن تحقق كل رغباته ويدلل لأن ذلك يفسد طبيعته وتزداد

[1]-المرجع السابق،ص79.
[2]- المرجع نفسه ،ص26.
[3]- المرجع نفسه ،ص26.
[4]- المرجع نفسه،ص87.

رغباته إلى درجة أنه يستحيل تلبيتها كلها،يقول:«أتعلم ماهي أضمن وسيلة لأشقاء طفلك؟ أن تعوده الحصول على كل شيء، فرغباته ستزداد باستمرار بسهولة الترضية وعاجلا أو آجلا ستجد نفسك عاجزا رغم أنفك عن تنفيذ رغبته،فيصدمه هذا الرفض الذي لم يتعوده منك، ويؤلمه أكثر من الألم الحقيقي للحرمان من رغبته»[1]،فالطفل الذي يعتمد على غيره لا يمكن أن تنتهي رغباته،فهو قد يطلب عصاك وساعتك وأشياءك وإذا حققها يطلب نجوم السماء،ويتقارب هذا القول مع الحديث النبوي الشريف« لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحب أن يكون له ثالث،ولا يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[2]، فالإنسان سواء أكان ناشئا أو راشدا تزداد رغباته باستمرار كلما تم تحقيقها،وهكذا فالمواطن في الدولة إذا لبيت رغباته،فإنه يزيد منها وبالتالي تجد الدولة نفسها عاجزة عن تحقيق رغبات مواطنيها،مما يؤدي بها إلى العجز على ضبطهم وتكون النهاية هي التمرد على السلطة القائمة.لأن المبالغة في الاعتناء به وتلبية جميع رغباته تجعل منه مواطنا متكاسلا غير قادر على حماية نفسه حتى من البعوض الذي من حوله.

ويدعو"روسو"إلى ترك الأطفال يتمتعون بالعالم الذي يعيشون فيه،يتعلمون منه على الخوف والأمن،على الضار والنافع،على الجميل والقبيح،يقول:«إني أريد أن يتعود الطفل مشاهدة أشياء جديدة،وحيوانات قبيحة،مقززة،غير مألوفة ...فإذا تعود الطفل في صغره ألا يفزع من منظر الثعابين وسرطان البحر،وما إلى ذلك،فثق أنه سيرى من غير فزع حين يكبر،أي وحش كان»[3]،كما يدعو إلى تجنب العقاب،لأن فيه إذلال للفرد بل يجب أن يترك الأمر للطبيعة تتولاه،من خلال ما يسميه بالممارسة الطبيعية للحياة،ويعتبر أن كذب الطفل يكون بسبب المربي الذي يرغمه على قول الصدق فيضطره إلى الكذب خوفا من العقاب فيقول:«أن كذب الأطفال هو ثمرة أساليب الأساتذة، التي تعلمهم الكذب من حيث يراد تعليمهم الصدق»[4]،ولذلك هو

[1]- المرجع السابق،ص ص87 -88.
[2]- أخرجه أحمد والشيخان.
[3]- إميل،(م س)،ص64.
[4]- المرجع نفسه،ص108.

ينصح بأن يترك للأطفال الحرية في التصرف من حيث الكذب أو الصدق، فيقول:«يجب أن يحدث العقاب لهم كما لو كان نتيجة طبيعية لسوء فعلهم،وبذلك يجب ألا تنددوا بالكذب،ولا أن تعاقبوهم لأنهم كذبوا بل ترتبوا الأمور بحيث أن جميع الآثار السيئة للكذب تتجمع فوق رؤوسهم كأن لا يصدقهم أحد حين يقولون نبأ،وأن يتهموا بذنوب لم يقترفوها وإن دافعوا عن أنفسهم بحرارة»[1].ولذلك لابد أن نعامل الطفل حسب عمره كطفل وليس كراشد،عكس ما ذهب إليه "هيغل"،يقول:«عاملوا التلميذ بما يوافق عمره،وضعوه أولا في مكانه الطبيعي،ولا تحاولوا إخراجه منه ولا تسمحوا له بالخروج منه»[2].

ويركز على إعداد الطفل للحياة العامة،ويؤكد على أن مهمة التربية ليس إعداد المواطن على شاكلة معينة،لأن الطفل إذا تربى على طريقة معينة بقي حياته كلها على نفس النمط ثابتا لا يتغير وإنما غاية التربية هي عملية مستمرة طول العمر لا تنتهي إلا بالموت،فهي تعمل على تكوين الإنسان المجرد،وليس الإنسان المعين.

يركز روسو على تربية المرأة، لأنها ضرورية في المجتمع ،فهي عملية أكثر من الرجل فيقول:«إن عقلية النساء عقلية عملية،تتيح لهن الوصول إلى هدفهن المحدد ببراعة.ولكن هذه العقلية تعجز عن تحديد ذلك الهدف لنفسها.ومن حسن الطالع أن العلاقة الاجتماعية بين الجنسين تكمل هذا النقص.فيخرج لنا من المجتمع شخص أخلاقي،المرأة منه بمثابة العين،والرجل بمثابة الذراع»[3].كما يعتبرها خاضعة في عقيدتها للسلطة،ولذلك دعا كل فتاة أن تعتنق ديانة أمها،وان تعتنق كل زوجة ديانة زوجها،وبما أنها خاضعة للسلطة فما علينا إلا أن نبسط لها معاني الاعتقاد،وكل هذا يتم عن طريق القدوة.

ومنه فغاية التربية هي تكوين الإنسان الحر القادر على تكوين فرديته وشخصيته،من خلال الاعتماد على النفس واكتساب خبرة في الحياة عن طريق

[1]-المرجع السابق،ص106.
[2]- المرجع نفسه ،ص96.
[3]- المرجع نفسه،ص ص260-261.

الممارسة العملية،وتنمية ملكة الحكم لديه من جهة والروح العاطفية من جهة أخرى،وتعويده الصبر وتحمل الصعاب في مواجهته لمشاكل الحياة.وبما أن الحياة الفطرية حياة خيرة وأن الشرور قد لحقت الفرد من خلال اندماجه في الجماعة،وبما انه لا يمكن العودة إلى حال الفطرة فإنه يتوجب إصلاح الجماعة ولا يمكن إصلاحها إلا من خلال إصلاح الفرد،ولا يتم ذلك إلا بالتربية الطبيعية،ولا يمكن أن نجسدها إلا في ظل قانون يحميها،ولا يمكن أن يكون هناك قانون إلا إذا كانت هناك سلطة تشرف عليه وتحميه،وهذه السلطة تتمثل في الإرادة العامة،التي تتم بموجب العقد الاجتماعي الذي يتنازل فيه الأفراد عن حقوقهم الطبيعية التي كانوا يتمتعون بها. فهذه السلطة حسب رأيه:«تمثل ما هو مشترك بين الإرادات الفردية ولا تمثل مجموع الإرادات الفردية،بل هو عام ومشترك بينها،أما بقية المصالح الفردية فيتم إخضاعها لهذه الإرادة العامة،فالدولة هي تجسيد لما هو مشترك فقط،أما خصوصيات الأفراد ومصالحهم الجزئية فلا تدخل ضمن أسس بناء الدولة ولا تدخل ضمن الإرادة العامة»[1]،وعلى هذا يحتفظ الفرد ببعض الحقوق الخاصة به كاحتياط،وضمان لحريته،ومن خلال الإرادة العامة التي تمثل سلطة الشعب ولا تمثل إي سلطة،والتي يعتبرها معصومة من الخطأ وأنها لا تتجزأ،ولذلك فهو يرفض تقسيم السلطة إلى سلطات كما هو معروف في الأنظمة الديمقراطية،إذ يؤكد على:«أن الحياة السياسية للمجتمع يجب أن تقوم على أساس سيادة الشعب المطلقة التي لا تتجزأ أبدا ولذا فإن روسو يرفض مبدأ تقسيم السلطة إلى تشريعية وتنفيذية ويقترح بدلا عنه الاستفتاء الشعبي العام في جميع الأمور السياسية الهامة»[2].

وهنا يمكن أن نلاحظ أن روسو يدعو إلى التربية الحرة وتكوين المواطن الفرد بما ذكره من خصائص التربية في كتابه أميل،من خلال اعتماد الفرد على نفسه،وعدم الضغط عليه وإذلاله ،ومن خلال تجربته الواقعية...الخ، ومن خلال تنازله عن حقوقه للإرادة العامة التي توزع بدورها الحقوق بالتساوي على الأفراد،جعل البعض يثور

[1]- الكحلاني حسن،الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر، (م س)،ص317.
[2]- جماعة من الأساتذة السوفيت،موجز تاريخ الفلسفة، نقلا عن الفردانية،(م س)،ص318.

على أرائه،فهو بذلك قد أسس لديكتاتورية الدولة عندما يتنازل المواطن عن حقه للإرادة العامة التي يصبح لها الحق وحدها في التوجيه والقيادة،ويذهب رسل إلى:«أن النتيجة المنطقية لسلطان الدولة والإرادة العامة التي دعا إليها روسو تؤدي إلى نوع من الاستبداد والطغيان ولأنها تفقد الأفراد حرياتهم بخاصة في سبيل ماهو عام وباسم المصلحة العامة نضحي بالمصلحة الشخصية»[1].

ويذهب"رسل"إلى أن نظريته السياسية تدعو إلى الديمقراطية القديمة وليست النيابية.ويعتبرها تبريرا للاستبداد حيث يقول:«ونظرياته وإن كانت تخدم الديمقراطية من طرف اللسان، تميل إلى تبرير الدولة المستبدة»[2] ويعتبر البعض أن دعوة "روسو" مؤيدة للنزعة الجماعية وليست الفردية لأنها تدعو إلى ممارسة الطغيان على الشعب، ويعبر"جاك ماريتان" عن ذلك بقوله:«ألم يعتقد روسو أكثر من ذلك عندما رأى أن للدولة حق الموت والحياة على مواطنيها،فإذا قال الأمير للرجل،من مصلحة الدولة أن تموت،وجب عليه أن يموت،لأنه إنما عاش سالما حتى ذلك التاريخ على هذا الشرط فقط،ولأن حياته لم تعد نعمة من الطبيعة وحدها،بل هبة من الدولة تخضع لشروطها»[3].وقد ذهب فولتير إلى ازدراء أرائه عندما بعث روسو إليه ببحثه "اللامساواة" فكان جواب فولتير:«تلقيت كتابك ضد الجنس البشري،وأشكرك عليه.فلم يحدث بالمرة أن استخدمت البراعة على هذا النحو بهدف جعلنا جميعا حمقى.وأن الإنسان وهو يطالع كتابك،ليتوق أن يمشي على أربع.ولكني لما كنت أقلعت عن هذه العادة منذ أكثر من ستين عاما،فإني لأشعر بالشقاء لاستحالة استعادتها»[4].

إلا أنه و بالرغم من هذه الانتقادات إلا أن الرجل لا ينكر أحد مساهماته في الدعوة إلى تحرير الفرد تربويا وسياسيا،من خلال نبذه للنظام الكلاسيكي السلطوي وباعتباره المثل الأعلى في التحرر من كل القيود،ولعل الثورات الأوروبية أو

[1]- Ressell.B, history of western philosophy ، نقلا عن الفردانية،ص ص319-320.
[2]- رسل برتراند ،تاريخ الفلسفة الغربية،ج3،تر،محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج3،دط،1977،ص301.
[3]- ماريتان جاك،الفرد والدولة،نقلا عن الفردانية،(م س)،ص320.
[4]- رسل،تاريخ الفلسفة الغربية،(م س)،ص292-293.

العالمية لم تخل في تأثرها من هذه النظرة التحررية،كما لا يمكن أن ننسى فضله في تأسيس الأنظمة الديمقراطية الحديثة التي تتأسس على الحرية من جهة ،واحترام القانون من جهة ثانية،وهذا ما تهدف إليه كل أمة ديمقراطية،تسعى لبناء حضارة إنسانية.

ثالثا:عند البراغماتيين: جون ديوي "John Dewey"(1859-1952)م.

إن تجمع ذلك الخليط من البشرية في أمريكا،قد ساهم في أيجاد فلسفة براغماتية تركز على الحرية الفردية،والحكم الديمقراطي،وقد حاولت أن توفق بين مختلف هذه الجنسيات المتعددة. وبما أنه لا يمكن توحيدها بالقوة لأن هذه الأخيرة متغيرة وليست دائمة،فإنه لا مجال للبحث عن وسيلة دائمة وهذه الوسيلة هي التربية البراغماتية والتي من أهم زعمائها"جون ديوي" الفيلسوف الأمريكي البراغماتي الذي ينطلق في فلسفته من خلال ثورته،على النظم التربوية التقليدية ويعتبرها غير صالحة لتكوين الفرد لأنها متسلطة و سلبية،ويطلق عليها نظرية المتفرج (Spectator Theory)،كما يرفض تلك التربية التي تمجد العاطفة،ويرى أن كلتيهما خاطئة في إعداد الفرد لأن:«الأولى أفرطت في الاستهانة بذكاء الطفل الفطري،والثانية غفلت عن أن الطفل لا يزال في دور غير ناضج»[1]،ويذهب "ديوي" إلى أن الفرد ليس أكثر أهمية من الجماعة ،ولا الجماعة أكثر أهمية من الفرد،إلا أن الفردية هامة لأنها أساس الابتكار والتجديد،فهو يعتبرها:«تفاعل الحرية الفردية مع الظروف الجماعية»[2]،إن هذا التفاعل والتكيف لا يعني الانغماس والذوبان في الجماعة،وإنما المقصود منه هو فهم الشروط الموضوعية للواقع الذي يعيش فيه الفرد،فالتحرر مرتبط بفهم الواقع.

ويذهب ديوي إلى أن التربية لابد أن تكون مؤسسة على شعار"تعلم بأن تعمل"(Learn by doing)،ولذلك فقد اعتبر التربية هي الحياة:«ولتكون التربية عملية حياة لابد أن ترتبط بشؤون الحياة،ولتكون عملية نمو وعملية تعلم وعملية اكتساب

[1]- بدوي عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة،ج1،(م س)،ص502.
[2]- الجيوشي فاطمة ،فلسفة التربية،(م س)،ص120.

للخبرة،لابد أن تراعى فيها شروط النمو،وشروط التعلم،وشروط اكتساب الخبرة،ولتكون عملية اجتماعية لابد أن تتضمن تفاعلا اجتماعيا ولابد أن تتم في جو ديمقراطي وجو اجتماعي صالح»[1].

والتربية الفردية التي تركز على حرية الفرد لا يمكنها أن تنتعش إلا في ظل تربية ديمقراطية،ولا يمكن أن تكون ديمقراطية إلا من خلال معاييرها«فالأول إشراك جميع أفراد الجماعة في مصالحها،والثاني مستوى الحرية الذي يتصل فيه الفرد بجماعته»[2]،كما أنه لا يمكن أن تحدث حرية ونمو للفرد إلا إذا كانت الجماعة مرنة،ولا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا كانت تقبل الآخر وتقبل بالتغير.فالتربية عنده لابد أن تكون ديمقراطية،وعملية اجتماعية يشارك فيها الفرد بكل جهوده مع مجتمعه،فهي:« عملية اجتماعية يشارك بها كل فرد وفقا لطاقاته وقدراته،في مسؤولية العمل على تشكيل أهداف مجتمعه،وصياغة قواعده»[3].

إن الديمقراطية تتأسس على الحرية،وهذه تقتضي الممارسة والخبرة والتي يعتبرها الأصل في العملية التربوية الصحيحة:«فقد ذهب إلى وضع مبدأ جديد للتربية استلهمه من شعار الديمقراطية المشهور،وهو التربية للخبرة،وعن طريق الخبرة،وفي سبيل الخبرة»[4]،ولا تكون الخبرة ذات فائدة إلا إذا اتصلت بالخبرات الماضية واللاحقة في عملية تكيف مع الشروط البيئية،ولذلك فهو يعتبرها عملية استمرارية مدى الحياة،متحررة من كل القيود،فهي عنده:«ينبغي أن لا تكون لها أهداف مفروضة عليها من الخارج لأن الأهداف المفروضة من الخارج لا تمثل أهداف التلاميذ الحقيقية،ولا تنبع من خبراتهم و نشاطاتهم.والأهداف الحقيقية للتلميذ هي ما حددها بنفسه،أو على الأقل اشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة وحاجاته»[5].فيؤكد ديوي على أن التربية عملية ممارسة يومية،تهدف إلى تغيير

[1]- Adolph E meyer,the developement of education in the Twentieth نقلا عن عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوي،دار الثقافة بيروت،ط2،1975،ص349.
[2]- الجيوشي فاطمة ، فلسفة التربية،(م س)،ص120.
[3]- كامل فؤاد ، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر،دار الجيل، بيروت،ط1،1993،ص123.
[4]- الأهواني أحمد ،جون ديوي، دار المعارف القاهرة (مصر)،ط3،دس ،ص51.
[5]- جون ديوي، التربية والديمقراطية، نقلا عن عمر محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية ،(م س)،ص351.

المجتمعات الإنسانية دون الخضوع لقداسة فكرة معينة،ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا حدث تغير في الأطر السياسية،والاقتصادية والتربوية.وذلك من خلال مساعدة الطفل على تنمية قدراته واستعداداته حسب طبيعته وليس حسب الظروف الخارجية،ومساعدته على التكيف مع المحيط الذي يعيش فيه سواء الطبيعي منه أو الاجتماعي وذلك في ظل الحرية دون الخضوع للتسلط،وبذلك لا يمكنها الخروج عن المبادئ الأساسية للسياسة الديمقراطية التي تعطي للفرد قسطا من الحرية يستطيع بها أن يعبر عن قدراته واستعداداته، وذلك عن طريق الخبرة والممارسة،كما تشجعه على الإبداع والمبادرة الفردية،إن هذه الحرية التربوية تنعكس حتما على الطابع السياسي،وحتى الاقتصادي،فسياسيا يتحرر الفرد من كل القيود والتوجهات، فيزدهر الإنسان وتصبح له قيمة من خلال مراعاة حقه في اتخاذ القرار سواء بقبول الأخر أو رفضه،واقتصاديا يؤسس على المنفعة والحرية والمنافسة فيزدهر الاقتصاد ويرتقي المجتمع. وعليه فإن النظرية التربوية البراغماتية من خلال "ديوي" ليست بعيدة عن التأثير الإيديولوجي فهي قد نشأت في ظل النظام الليبرالي الرأسمالي الذي لبنته الأساسية"دعه يعمل دعه يمر"،وليس من الغريب أن تنادي هذه التربية بالحرية الفكرية والسياسية و الاقتصادية. فرفضها للأساليب التربوية القديمة التي تهتم بحشو الذهن بالمعلومات.وما اعتبار الفرد مركز العملية التربوية وربطه بالحياة العامة من خلال فكرة المشروع إلا دليلا على أن الفرد هو المحور الأساسي ليس في التربية فقط وإنما في كل شؤون الحياة.

إلا أن"جون ديوي"وبالرغم من نظرته التي تهتم بقيمة الإنسان ككائن له وجوده وبالرغم من تأثيرات منهجه في العملية التربوية عبر العالم، فقد واجه اعتراضات سواء من الرأي التقليدي،وحتى من أصحاب النظرة التحررية خاصة من طرف رسل كما سنبين لاحقا، فالنزعات التربوبة التقليدية كالمثالية والواقعية يرون أن ضعف مستوى التعليم يعود إلى هذه المناهج التربوية التقدمية،وخير دليل على ذلك ما سببته من أزمات أهمها الأزمة الاقتصادية في أمريكا،زد على ذلك أن"ديوي"يعتبر التربية عملية حياة وهذا يوسع من مسؤوليات المدرسة مما يجعلها غير قادرة على

أداء مهمتها،كما أن التأكيد على الحرية ومراعاة ميول الطفل يضعف جانبه العقلي،إلا أن هناك من تولى الدفاع عن ديوي بحجة أن منتقديه من أصحاب الاتجاه المحافظ وليس غريبا أن يصدر منهم هذا باعتبارهم خصوما له، كما أن هناك مغالطة جمع المسائل في مسالة واحدة وهي أن جل الانتقادات التي وجهت للبراغماتية قد لحقت به إلا أن"جون ديوي"في حد ذاته ينتقد البراغماتية ويهاجمها، ويعبر عن ذلك أحمد فؤاد الأهواني:«يقوم نقد ديوي على أساسين الأول أن المنهج البراغماتي هو المنهج العلمي التجريبي،والثاني أن نظرية الحق لم تتميز فيها فكرة المعنى والعمل»[1]،كما أنه في الكثير من الأحيان قد أسيئ فهم ديوي، لكن هذا لا يمنع أنه صاحب منهج تربوي يدعو إلى إعداد الفرد الحر القادر على تحمل مسؤوليته في ظل الحياة الاجتماعية، وقد عبر"عمر محمد التومي الشيباني"عن ذلك بقوله:«لا يستطيع أحد منهم أن ينكر أن "ديوي" نادى بتربية الشخصية ككل وأعطى أهمية كبرى لميول التلاميذ وحاجاتهم الحاضرة في عملية اختيار وتنظيم خبراتهم المدرسية...ولكن ما ذهب إليه "ديوي" من التجديديات له ما يبرره من نتائج علم النفس ومن مقتضيات العالم المتغير والمتطور تطورا سريعا الذي عاش فيه»[2].

وعليه نخلص إلى أن المبالغة في الحرية قد يؤدي إلى الاستبداد، فإنه كما يتصور رسل أن مجتمع الصغار الذي لا يتدخل فيه الكبار سواء بالتوجيهات أو النهي والأمر قد يستبد فيه القوي منهم بالضعيف استبدادا أكثر وحشية من محيط البالغين كما أن المبالغة في الحرية الفردية دون رقيب أو قانون يضبط العلاقات يؤدي بالضرورة إلى الفوضى وهذا ما يمكن أن نتلمسه فيما يسمى بثورات الربيع العربي التي تعيش استبدادا وفوضى عارمة لم تعشها حتى في ظل الأنظمة الديكتانورية،وخير مثال على ذلك الحرب الأهلية في سوريا وليبيا.

[1]- الأهواني أحمد فؤاد،جون ديوي، دار المعارف القاهرة (مصر)،ط3،دس،ص96.
[2] الشيباني عمر محمد التومي ، تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة بيروت لبنان،ط1975،2،ص372.

المبحث الثالث:

موقف رسل من النظم السياسية والتربوية.

موقف رسل من النظم السياسية والتربوية:

إن نظرة رسل إلى النظم السياسية و المذاهب الفلسفية والتربوية وحتى الدينية فيها من الميل إليها تارة والكره والرفض تارة أخرى، بحيث يعتبر أن هذه النظم كثيرا ما ترتبط بفلسفات،فالنظام الكنسي الكاثوليكي يقترن بفلسفة "توما الأكويني"، والنظام الشيوعي يقترن بفلسفة كارل ماركس، وتقترن النازية والفاشية بالفلسفات المثالية خاصة فلسفة "هيغل"،وبما أن التربية ليست بعيدة عن التوجه السياسي فهي كذلك شديدة التأثير بهذه الفلسفات والنظم، وتلعب هذه النظم دورا أساسيا في سلوك الفرد والجماعة.فما هو موقفه منها؟

أولا:موقف رسل من النظريات الفلسفية والنظم السياسية:

1- موقفه من جمهورية أفلاطون:

يعتبر رسل جمهورية أفلاطون الفاضلة رجعية من خلال توجهها السياسي والتربوي، فهي موجهة لخدمة غرض معين من خلال منعها للشعر والموسيقى،إلا ما يحث منها على الشجاعة والحماسة، كما أنها عنصرية مخادعة، من خلال دعوتها إلى التفرقة بين الطبقات العليا والسفلى، ثم إن مغالطتها في البحث عن سعادة الكل لا الجزء من خلال تفضيل طبقة على أخرى هو تأسيس للحكم الأوليغاشي الذي تستأثر فيه الأقلية على الأغلبية، ويعبر رسل عن ذلك قائلا:« إن الخير يكون دائما بجانب حزبه وأنهم إذا استطاعوا أن يؤسسوا الدستور الذي يرغبون به فلا تبقى حاجة أخرى ضرورية. هكذا فكر أفلاطون ولكنه بإخفاء تفكيره في ضباب ميتافيزيقي أكسبه مظهرا نزيها وغير شخصي مما أدى إلى خداع العالم عصورا كثيرة »[1].و يعتبر رسل أن النظم الحديثة ليست بعيدة في تصوراتها عن النظم الكلاسيكية ولذلك فهو يشبه البلشفية المعاصرة له بنظام جمهورية أفلاطون، وذلك من خلال وضع كل منهما لمبدأ عام تسير عليه الدولة وادعائهما بأنهما يدعوان إلى تقدم البشرية،فكيف يمكن للبشرية أن تتقدم وهي خاضعة لقانون عام لا تحيد عنه ولذلك فهو يعبر قائلا:« شرع أفلاطون في ترتيل المدائح للمنتصرين بإنشاء مدينة فاضلة استوحى أهم صفاتها أو تقاطيعها

[1]- رسل برتراند ،بحوث غير مألوفة، ترجمة سمير عبده،دار التكوين للتأليف والطباعة والنشر، دمشق سوريا،دط،2009،ص18.

من دستور اسبرطة. وكانت مهارته الفنية، مع ذلك سببا جعل الأحرار أن لا يلاحظوا ميوله الرجعية حتى جاء تلميذاه لينين وهتلر يزودونهم بتفسير عملي»[1]،ولعله من الأسباب التي أدت إلى سخط الشيوعيين والأفلاطونيين عليه سنة1920.

2- موقفه من هيغل:

يرفض رسل الفلسفة المثالية عامة وفلسفة "هيغل" خاصة، ويذهب إلى السخرية من فلسفته،ومن الذين يتبعون لغوه،وإن كان يجد مبرر للعقلاء الألمان بإتباعه نتيجة لتمجيده للدولة البروسية إلا أنه ينكر ذلك على غيرهم من الإنجليز والأمريكان، فدعوته إلى طاعة الدولة التي تمثل رداء الله على الأرض فيه الكثير من المغالطة والاستبداد، فالحكومة التي ترغم الناس على التصرف وفق نظام محدد يقضي على الحرية الإنسانية،والتي تتجسد فيها مقولة هيرقليطس"Heraclitus" التي تقول:« كل حيوان يساق إلى المرعى بالسياط»[2]، ويذهب رسل إلى أن غاية وصول الحيوان للمرعى عندهم أمر ثانوي، وإنما الذي يهم هو ما مدى تسليط السياط؟ فنظرية "هيغل"الميتافيزيقية تعتبر:«الحرية الحقيقة تنطوي على الطاعة لسلطة تعسفية، وأن القول الحر هو الشر، وأن الملكية المطلقة هي خير، وأن الدولة البروسية كانت أفضل دولة موجودة في الزمن الذي كان يكتب فيه آرائه، وأن الحرب خير، وأن إيجاد منظمة دولية لحل الخلافات بصورة سلمية سيكون كارثة»[3].ويعتبر رسل أن هذا النظام الذي يدافع عنه "هيغل" مبني على عقيدة لا تقبل الشك،وهذا ما يؤسس للاستبداد والجمود.وعند مقارنة الهيغلية بالليبرالية نجدهما يقعان على طرفي نقيض:«ففي رأي هيغل أن الدولة خيرة بذاتها،أما الأفراد فليست لهم أهمية في ذاتهم، بل تكون الأهمية بقدر ما يسهمون في أمجاد الكل الذي ينتمون إليه فحسب،أما الليبرالية فتبدأ من الطرف الآخر وتنظر إلى الدولة على أنها تخدم المصالح الشخصية لأفرادها، وواضح أن الرأي المثالي يولد التعصب والقسوة

[1]- رسل برتراند ،بحوث غير مألوفة،(م س)،ص17.
[2]- المصدر نفسه،ص24.
[3]- المصدر نفسه،ص22.

المفرطة والطغيان،أما الرأي الليبرالي فيدعم التسامح والاحترام والتوفيق بين مختلف الاتجاهات»[1].

3- موقفه من الشيوعية والليبرالية:

يرى رسل أن الإنسان المعاصر و بالرغم من التقدم الذي وصل إليه مقارنة مع الإنسان البدائي إلا أنه أصبح لعبة بيد نظم سياسية متطرفة تتقاذفه من طرف إلى آخر،أهمها الرأسمالية والشيوعية، وبالرغم مما تحتوي عليه هذه النظم من خيرات إلا أنها لا يمكن أن تخلو من الشرور،فيقول:«لقد أصبح العالم ضحية المذاهب السياسية التي أقواها في عصرنا، الرأسمالية والشيوعية.أني لا أعتقد أن أيا منهما في شكلها المتطرف غير الملطف،تقدم علاجا للشرور التي يمكن منعها. فالرأسمالية تعطي فرصة المبادرة لنفر قليل،أما الشيوعية فلعلها تستطيع أن تهيئ (مع العلم أنها لم تستطع ذلك في الحقيقة) نوعا خانعا من الحماية للجميع.»[2] وإذا أراد إنسان اليوم أن يتحرر من هذه النظم فما عليه إلا التحكيم إلى العلم ويعبر عن ذلك قائلا:« ولكن إذا استطاع الناس أن يحرروا أنفسهم من تأثير النظريات الساذجة سذاجة مفرطة أو المشاحنات التي تنتج عنها،فسيكون من الممكن باستعمال حكم التكنيك العلمي»[3]. ويُشْبه رسل ذلك الطبيب الذي يشخص المرض، مبينا الأعراض،ومن ثم العلاج، وعلى هذا الأساس يحلل هذه المذاهب مبينا ايجابياتها وسلبياتها، ولماذا يكون في هذا الموقف مع هذا الرأي وفي الموقف الثاني ضده.

أ- موقفه من النظام الشيوعي :

يعود اهتمام رسل بالاشتراكية والشيوعية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى بدعوة أن النظام الليبرالي هو سبب الكوارث التي يعيشها الإنسان.إلا أن تلك الزيارة التي قام بها إلى روسيا السوفياتية سنة 1920 غيرت من توجهاته،حيث التقى فيها بشخصيات هامة من أمثال لينين"V. lenin" وليون تروتسكي"L.Trotsky"، الذي استنتج من الأول أنه لا يؤمن بالحرية وأنه يرى في الماركسية داء لكل دواء وقد عبر عن ذلك:« وإذا كان الأمر كذلك فأنا لا أملك

[1]- حكمة الغرب،ج2،(م س)،ص141.
[2]- رسل برتراند ،السلطة والفرد،تر،شاهر الحمود، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت(لبنان)،ط1961،1،ص ص145-146.
[3]- المصدر نفسه،ص146.

غير الابتهاج بروح العالم الغربي المتشككة،لقد ذهبت إلى روسيا اشتراكيا ولكن اتصالي بهؤلاء الذين لا يخامرهم الشك قد زاد ألف مرة حدة شكوكي لا فيما يتعلق بالاشتراكية في حد ذاتها ولكن في الحكمة الناجمة عن الإيمان بمذهب...يجعل الناس على استعداد لإشاعة البؤس في سبيل تحقيقه»[1]،وقد تمخض عن هذه الزيارة مؤلفه"تطبيق البلشفية ونظريتها" يبين فيه الأسباب التي جعلته يعطف عليها والتي جعلته يسخر منها، ولكن اعتراضه منصب على الوسائل لا الأهداف ويمكن توضيح.الأسباب التي جعلته يقبل الاشتراكية ويعطف عليها فيما يلي:

- إعجابه بالحماسة :التي تهدف إليها الاشتراكية حتى أنه تبناها مبينا ذلك في قوله:«إنني أؤمن بأن الاشتراكية ضرورية للعالم، كما أؤمن أن بطولة روسيا قد ألهبت آمال الناس بطريقة جوهرية لتحقيق الاشتراكية في المستقبل وباعتبارها محاولة رائعة نجد أنه لولاها لأصبح النجاح النهائي بعيد الاحتمال للغاية مما يجعل البلشفية تستحق العرفان بالجميل»[2].
- التماسك الاجتماعي: إن ما تدعو إليه الشيوعية هو ذلك التماسك والتلاحم الاجتماعي وقد تجسد فعلا في الدولة الروسية، ويعبر عن ذلك أنه:«لم يحدث أن كانت هناك في التاريخ أي دولة كبيرة سيطرت على مواطنيها تماما كما هو الأمر في الاتحاد السوفياتي»[3]، ومنه فالشاب الروسي وبالرغم أن أفكاره موجهة إلا أنها حرة وبديعة، حيث يشعر الفرد فيها بأنه جزء من المجموعة،وليس وحدة معزولة كما يشعر به الفرد في العالم الغربي، وقد عبر رسل عن ذلك:« إن الشباب يشعرون بأنفسهم جزءا وحزمة من المجتمع، وليس كما يفعلون غالبا في الغرب وحدات معزولة،والذين يصبحون مستهترين بواسطة اليأس أو مفترسين بالتهكم...إن الشيوعية اكتشفت نظاما أخلاقيا، بإمكان الشباب الحديث تقبله،وأسلوبا للحياة بإمكان الشباب الطليعي أن يكون سعيدا،إن البلاد الرأسمالية تجد هذا المشكل غير قابل للحل،لأن مؤسساتها لا يمكن حفظها بدون خداع»[4].ففي ظل الاشتراكية يشعر الفرد بالإحساس بالواجب اتجاه المجموعة مما يجسد فيه إنسانيته.

[1]- رسل برتراند ،تطبيق البلشفية ونظريتها، نقلا عن رمسيس عوض، برتراند رسل المفكر السياسي،الدار القومية للطباعة والنشر،العدد1966،131،ص45.
[2]- المرجع نفسه،ص39.
[3]- رسل برتراند ، السلطة والفرد، (م س)،ص56.
[4]-رسل برتراند، التربية والنظام الاجتماعي،تر،سمير عبده، دار مكتبة الحياة بيروت(لبنان)،ط2،دس،ص187.

- العدالة الاجتماعية:في ظل النظام الجماعي ستختفي الكثير من الشرور والأنانية،حيث سيختفي التنافس الاقتصادي،والحسد والكراهية،والتعصب بما أنه لا يوجد إلا نظام واحد فريد،وفي ظل الاشتراكية يشعر الناس وكأنهم واحد، فالفرد يعمل من أجل الجميع كما أن الكل يعمل من أجله،ليس لأحد مفاضلة على الأخر، فالناس كلهم سواسية من خلال التوزيع العادل للثروة،ومن خلال ديمقراطية التعليم،والصحة،فليس هناك طبقية اجتماعية،ولا برجوازية شرسة،وإنما الذي هناك هو العدالة الاجتماعية بين كل الناس،إلا أن رسل عندما يتكلم عن الاشتراكية هنا لا يقصد بها الاشتراكية الفوضوية ولا البلشفية إنما يقصد بها الاشتراكية الحرفية لأنها تتلاءم مع المزاج الإنجليزي غير الدموي الذي يميل إلى الحلول الوسطى،وهي عادة ما تتجسد في الحركات النقابية،يقول رمسيس عوض:« ولتخوف برتراند رسل من استبداد الدولة الاشتراكية عند ماركس ومن النوازع الشريرة في الإنسان التي يتجاهلها الفوضويون، يجنح الفيلسوف الإنجليزي إلى الاشتراكية الحرفية... ويعتبر أن هذا النوع من الاشتراكية يتلاءم مع مزاج الشعب الإنجليزي غير الدموي»[1].

أما بالنسبة إلى الأسباب التي أدت برسل والعالم الغربي إلى كره الشيوعية، فيمكن أن نجملها فيما يلي:

- تخوف الغرب من استيلاء الشيوعية على ممتلكاته ويرد رسل عن ذلك بأن اللصوص قد يفعلون ذلك ولكن لا نخافهم مثل ما نخاف من الشيوعية ويعبر عن ذلك في قوله:«هناك طبعا أسباب مختلفة لكره الشيوعيين، فأولا وقبل كل شيء نحن نعتقد أنهم يريدون الاستيلاء على ممتلكاتنا بيد أن اللصوص يريدون ذلك،ولكن على الرغم من أننا لا نحبذ اللصوص فإن موقفنا تجاههم يختلف تماما عن موقفنا تجاه الشيوعيين،والسبب الرئيسي في ذلك أنهم لا يوحون إلينا بنفس القدر من الخوف»[2].ويعود هذا الخوف إلى وسائل الدعاية التي تحركها روسيا ضد الغرب من جهة،وسيطرتها على شعبها من جهة ثانية، حيث أن المواطن الروسي أيام الثورة البلشفية كان لا يستطيع أن يتنقل من مكان إلى أخر إلا بعد أن يقدم طلب يبين فيه

[1]- رمسيس عوض، برتراند رسل، المفكر السياسي،(م س)،ص32.
[2]- رسل برتراند ،المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مراجعة حسن محمود،المكتبة الأنجلومصرية القاهرة،د(ط س)،ص151.

سبب التنقل،وهكذا في كل نظام اشتراكي،بحيث لا يستطيع المواطن أن يتصرف في ملكه ولا أن يشتري بضاعة معينة إلا بعد أن يقدم طلبا للسلطات الإدارية التي تنظر في الأمر.

- إنهم ليسوا أصحاب دين،بالرغم أننا نتعامل مع الكثير من أصحاب اللادين، فالغرب يتعامل مع الصين اللادينية ولم يكرهها إلا لأسباب سياسية،ونجد ذلك في قوله:«نحن نكره الشيوعيين لأنهم لا دينيون، ولكن الصينيون ظلوا لا دينيين منذ القرن الحادي عشر،ولم نبدأ نكرههم إلا عندما طردوا "شيانج كاي شيك* »[1]. ومنه فإن هذه الدعوة باسم الدين لا تستقيم ما دمنا لا نكره كل من لا دين له.بل إن الكراهية موجهة نحو الشيوعية، نتيجة لتخوف الغرب من أن تسود العالم،وما كرهها باسم الدين إلا حجة تقدم للرأي العام الديني لتزداد الكراهية،وهي حجة يستخدمها أصحاب المصالح من أجل تقوية مواقفهم السياسية،وخير مثال على ذلك استخدام الدين كوسيلة في الصراعات المتطاحنة في أيامنا هذه.
- إنهم لا يؤمنون بالديمقراطية،فديكتاتورية البروليتاريا"Proletariat"ماهي إلا حكم الأقلية الأليغاشية"Oligachy" التي لا يهمها إلا تحقيق مصلحتها حتى وإن أفنت من يعارضها ما دامت القوات المسلحة تدين لها.وما دعوتها بأنها تهدف إلى الصالح العام إلا يوتوبيا تحاول أن تخدع بها شعبها. ويعترض رسل على ذلك:« نحن نكره الشيوعيين لأنهم لا يؤمنون بالديمقراطية، ولكننا لا نرى في ذلك سببا يدعو لكراهية فرانكو"F. Franco "**»[2].أي أنه لو كانت غايتنا هي كره الديكتاتورية، فإن كل ديكتاتور سيكون محل كره بالنسبة لنا، لكننا لا نكره كل الديكتاتوريات،إذن فالديكتاتورية غير مكروهة من طرفنا وهذا يقودنا إلا أن سبب كره الشيوعية باسم الديكتاتورية دعوة واهية.ثم أن الغرب في حد ذاته يميل إلى اللاديمقراطية خارج أراضيه،فنجده يدعم ويشجع بعض الأنظمة غير الديمقراطية،ولذلك للحفاظ على منافعه،وزيادة ثرواته،وما تدخل أمريكا في العراق أو في ليبيا أو أفغانستان إلا تحقيق لهذه الرغبة الكامنة فيه.

---

* - شيانج كاي شيك أو تشانغ كاي شيك (Chiang Kai-shek) قائد سياسي وعسكري صيني تولى رئاسة حزب الكومنتانج الوطني بعد وفاة "صن يات صن" عام 1925 وقاد الحكومة الوطنية لجمهورية الصين من عام 1928 لعام 1975، عارضه الشيوعيون بقيادة "ماوتسي تونغ"، واختطفوه أثناء زيارته لمدينة زيان وكان من شروط إطلاق سراحه تشكيل جبهة موحدة معهم ضد اليابانيين، تلقى مساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية في حربه ضد اليابان.

[1]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ،ص151.

** - فرانسيسكو فرنكو(Francisco Franco) ديكتاتور عسكري تولى رئاسة اسبانيامنذ1936 حتى وفاته1975، وصل إلى السلطة بعد الحرب الأهلية الاسبانية1936-1939، حيث قام بانقلاب ضد الجبهة الشعبية الذي كانت اسبانيا تحت حكمه، بمساعدة من هتلر وموسيليني.

[2]- المصدر نفسه،ص151.

- لا يؤمنون بالحرية ولا يسمحون بها وقد أفصح لينين عن ذلك عندما قابله رسل وهو يعترض على ذلك بقوله:«نحن نكرههم لأنهم لا يسمحون بالحرية، وقد اشتد بنا هذا الشعور حتى بدأنا نقلدهم»[1]،فاعتراض الشيوعيين على الحرية خاصة الفكرية بحيث لا يسمح فيها للمبادرة الفردية إلا بما يتفق والمبادئ الشيوعية،كما أنها تخضع الفكر للسلطة وذلك ما يتنافى والروح العلمية،فإذا كانت النتائج العلمية مخالفة للسلطة فإن هذه المبادئ مرفوضة وتتهم بالبرجوازية والعمالة،فعلم الفيزياء الحديث الذي يقر بأن المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم يعتبر مرفوضا في نظر الماركسية،حيث أن:«علم الفيزياء الحديث كفلسفة يجعل المذهب المادي أمر غير مقبول،ومن ثم فإن المركسيين يعتبرون علم الفيزياء اختراعا برجوازيا»[2]،ثم إن كثيرا من النظريات العلمية يجب أن تساند النظام القائم وإلا كانت محل شك ووسمت بالخيانة،ووجبت على صاحبها العقوبة،فيقول:«فالحكومة التي تسيطر على سائر أجهزة الدعاية والإعلام من مطابع وقاعات للاجتماع...لا تسمح لمعارضيها بأية دعاية انتخابية لأنفسهم»[3]،ومنه فكره الغرب للشيوعية ليس مرتبطا بالدين ولا بالنظام البرلماني الحر ولا بالصحافة الحرة وإنهم إن فعلوا كل ذلك فستظل كراهية الغرب إلى روسيا قائمة. إن الكراهية قائمة على أساس الخوف من الأخر الغريب إنه أثر من أثار إحساس القطيع، ويمكن أن نتبين ذلك في قوله:«إننا نكرههم لأننا نخشاهم وهم يهددوننا،فإذا كان الروس مازالوا يعتنقون الأرثوذكسية،وإذا كانوا أقاموا حكومة برلمانية،وإذا كانت صحافتهم حرة تماما تهجونا يوميا فسنظل نكرههم إذا فعلوا ما من شأنه أن يجعلنا نعتقد أن شعورهم نحونا عدائي...ولكني أعتقد أنه أثر من آثار إحساس القطيع»[4].وهو إحساس بدائي نتجنب فيه كل ما ليس مألوفا.
- تحبذ الماركسية الصراع الدموي وذلك من خلال تركيزها على وسيلة الثورة الدموية لإقامة نظام اشتراكي وقد اتضح له ذلك جليا عند مقابلته "لينين" الذي أكد له أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاشتراكية هي الثورة، إلا أن الغرب قد يكاد يكون وراء كل الثورات التي تحدث في العالم اليوم،فالقضية ليست قضية صراع أو ثورة وإنما هي قضية نفوذ سياسي والمحافظة على مناطق الولاء في العالم.وقد عبر رسل عن ذلك:«أنه لو كان الحكم الراهن في روسيا

[1]- المصدر السابق،ص151.
[2]- رسل برتراند ،في مدح الكسل ومقالات أخرى،ترجمة رمسيس عوض، المركز القومي للترجمة القاهرة،ط2009،2،ص41.
[3]- رسل برتراند ، نقلا عن رمسيس عوض، برتراند المفكر السياسي،(م س)،ص46.
[4]- رسل برتراند، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ،(م س)،ص151.

مسيحيا لما تغير الموقف مطلقا.فالسبب في الصدام هو الصراع القديم لسياسة القوة.وهو ليس في أساسه صداما بين الإيمان وعدم الإيمان،أو بين إيمان معين وآخر،بل بين إمبراطوريتين هائلتين ترى كل منهما فرصة للسيادة على العالم»[1].

- تقوم الشيوعية على أساس الحقد والكراهية، وذلك يعود إلى فكرة الاعتقاد التي تسيطر على ذهنية الأشخاص،وهذا الاعتقاد يقود إلى التعصب وبطبيعة الحال يقود هذا إلى كراهية من يخالفوننا في العقيدة،حتى أننا نكاد نكره اكتشافاتهم العلمية ومنتوجاتهم الزراعية...الخ ،ثم إن الكره لا يولد إلا الكره،فكراهية الشيوعية للغرب ناتجة عن حصار الغرب لروسيا أثناء وبعد الثورة البلشفية،و لو دعم الغرب روسيا هل كانت تناصبه العداء؟

ويظهر رفض رسل للشيوعية في كتابه"لماذا لست شيوعيا"،وصور من الذاكرة ومقالات أخرى"،حيث يتساءل عن المذاهب السياسية: فيقول هل مبادئ هذا المذهب النظرية صحيحة؟ وهل من المحتمل أن يزيد تطبيق المذهب سعادة الإنسان؟ وجواب رسل هو أن هذه النظرية لا يمكنها أن تحقق السعادة من خلال المبادئ التي تحملها المتمثلة في الكراهية،ومن خلال تركيزه على الصراع الطبقي الذي تؤسس عليه الجدلية التاريخية الذي يعتبر مبدأ لا يعبر عن سيرورة حقيقة العالم.

وبالرغم من قبول رسل للغاية التي تهدف إليها الشيوعية ورفضه للوسيلة،إلا أنه يرى أن هناك شبها بينها وبين الفاشية ويظهر ذلك في مقال يسمى"سيلا وكيربيدس" يبين فيه مدى عمق كراهيته للفاشية من كراهيته للشيوعية،فيقول:«وبوجه عام فإني متفق مع هدف الشيوعيين وخلافي معهم ينحصر في الوسيلة لا الغاية،أما في حالة الفاشيين فأنا أكره غايتهم بنفس الحدة التي أكره بها وسيلتهم»[2]،و يتمثل الشبه بينهم في:

- فكرة التخطيط الاقتصادي وزيادة سلطة الدولة،وذلك من خلال السيطرة على الموارد الطبيعية واستغلال القوة البشرية في تحقيق مصلحة الطبقة الحاكمة.
- تتعارضان مع الطبيعة البشرية من خلال تقييدهما للحرية الفردية.

[1]- المصدر السابق،ص190.
[2]- رسل برتراند ،نقلا عن رمسيس عوض، برتراند المفكر السياسي،(م س)،ص66.

- اتخاذ الحرب كوسيلة وذلك من خلال اعتمادها على الصناعات الثقيلة والإنتاج الحربي. ويذهب رسل إلى:« أن هناك بعض الوشائج الأساسية التي تربط الفاشية بالشيوعية، فكلاهما محاولات تبذلها أقلية حتى تصوغ الشعب عن طريق القوة والقسر في قالب يتمشى مع نمط سابق التصور وكلا المذهبان ينظران إلى الشعب كما ينظر الإنسان إلى المواد التي يزمع استخدامها في صنع آلة»[1].

كما يبين رسل بأن هناك علاقة بين الشيوعية والبراغماتية، فهذه الأخيرة لا يهمها من الحقيقة إلا الفائدة التي تتحصل عليها دون النظر إلى صحتها أو زيفها،وكأن الغاية تبرر الوسيلة وهذا هو طابع الفلسفة الشيوعية،بحيث لا يهمها أن يباد الشعب إذا كانت الغاية هي انتصار المذهب ويعبر رسل عن ذلك:«وواضح أن هذا الاتجاه النفعي سائدا أيضا في روسيا السوفيتية كما هو في غيرها.فقد قابلت منذ عشرين عاما أستاذا روسيا في الرياضة وذكر لي أنه تجاسر مرة فقال لطلبته أن الرياضة ليست موضع تقدير لأنها تستعمل في إدخال التحسينات على الآلات فحسب،لكن هذه الملاحظة قوبلت من الفصل..باعتبارها من بقايا البرجوازية»[2]،فهما يهدفان إلى تغيير العالم،ولا يكون هذا التغيير إلا باستخدام الجانب التطبيقي من العلم للسيطرة على الطبيعة،وذلك من خلال الاعتقاد بأن الإنسان والأرض هما مركز الأشياء كلها،ويتساءل كيف يستطيع حبس خياله في سجن الوجود الأرضي؟ ويعلق رمسيس عوض عن ذلك:«وأنا شخصيا أجد صعوبة في تفهم رغبته الجياشة في الانطلاق بخياله إلى رحاب أوسع رغم عطفي الشديد عليها لأنها رغبة تشترك مع الصوفية التي يعافها مذهبه العقلي العلمي المتشكك في بعض ملامحها»[3]،وعليه فقد أصبحت الشيوعية عقيدة تدين بها الطبقات العمالية الكادحة وتدافع عنها مثل ما تدافع عن الديانة،«فالشيوعية الروسية دين جديد يتسم بالطابع الحربي استطاع أن يغزو مساحات واسعة كانت أصلا مسيحية»[4].حيث أصبح الفرد فيها مجرد ترس تحركه القوى الخارجة عنه ليس فيه وعي ولا حرية ولا مبادرة

[1]-رسل ،نقلا عن المرجع السابق،ص ص68-67.
[2]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، (م س)،ص45.
[3]- رسل برتراند ، نقلا عن ،برتراند المفكر السياسي،(م س)،ص86.
[4]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص181.

فردية، إنه لا يفعل حسب مشيئته بل حسب مشيئة الجماعة التي هي إرادة الطبقة الحاكمة ليس إلا.

ب- موقفه من الأرستقراطية والرأسمالية والليبرالية:

عاش رسل في بيئة ارستقراطية ليبرالية فهو سليل عائلة آل رسل التي تولت الحكم في بريطانيا لسنوات،والتي تمثل بريطانيا فيها قمة الديمقراطية الليبرالية،كما أن الشعب الأنجلوسكسوني يميل في حد ذاته إلى تبني هذا المذهب،إلا أن رسل الفيلسوف الثائر لا يعترف بالتقاليد والأعراف التي يرى أنها سببا من أسباب تخلف البشرية وتقييد حريات الأفراد،ولذلك نجده في كثير من الأحيان يوجه الاتهام لها وفي مواقف أخرى يمدحها،فهي بالنسبة له مذهب يتميز بايجابياته وسلبياته،ففيما تتمثل إذن؟

يرى رسل بأن الأرستقراطية تعود في أصلها إلى ملكية الأرض،التي هي علامة من علامات الأرستقراطية،والثروة، وهذه الأخيرة يتم امتلاكها بعدة وسائل:

- فقد أوجد البدائيون قديما أسلوبا في الثروة يتمثل في تعدد الزوجات:«فلقد أوجدوا أسلوبا في جعل الزوجات مصدر الثروة،وهكذا كلما كان عدد الزوجات أكثر عند الرجل، كلما أصبح ثريا أكثر»[1].
- الوراثة:وهذه حدثت من نسل بعض البارونات،ويعبر رسل عن ذلك:«الأرستقراطيون يكونون بالفكرة من نسل بعض بارونات الإقطاع الذين حصلوا على أرضهم من خلال قتل أصحابها السابقين والتمسك بملكيتها ضد جميع الغزاة»[2]، كما يذهب إلى أن هناك من تحصل على الثروة من سلف شجاع،فالمحارب الناجح هو الذي يتوصل إلى ثروة الأرض عن طريق السيف،ثم يورثها لأبنائه،وتعتمد الأرستقراطية على الطبقية،فالعائلة الرفيعة تختلف عن تلك السفلى،ويتلقى أبناءها تربية تختلف عن تربية الفقراء،ثم أنه ليس هناك خوف على مستقبل أبنائها من البطالة.ويبين رسل أن امتلاك الثروة أدى إلى بروز ثلاث طبقات من الناس تتمثل فيما يلي:«مالك الأرض،والرأسمالي،والبروليتاري.الرأسمالي في الأساس هو مجرد شخص

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص139.
[2]- المصدر نفسه،ص140.

مكنه توفيره من شراء المواد الخام والمعدات المطلوبة في التصنيع،وقد تحصل على الحق في الإنتاج الجاهز كبديل للرواتب»[1]،وتتميز الرأسمالية بالملكية الفردية،ويطبق الرأسمالي الملكية على زوجته وأبنائه،ويكون شعوره اتجاههم مرتبط بهذه الملكية،كأن يرغب في الثروة من أجل أن يوجد وضع اجتماعي لعائلته أفضل من ووضع أصحاب الدخل المحدود، وهذا ما يؤدي إلى الفوارق الطبقية بين العائلات،كما يؤدي إلى تميز طبقة الأغنياء عن الفقراء،وعليه فإن الأرستقراطية كطبقة اجتماعية،قد تجسدت في النظام الرأسمالي اقتصاديا وفي الليبرالية سياسيا.

وقد بين رسل ما يتميز به هذا النظام من سلبيات وايجابيات و من أهم سلبياتها:

- تجاهل حضارات الأخر: إن الأخر بالنسبة للغرب،كله شر،وأنه حسب النظرة الهيغلية لا يستطيع أن يصنع حضارة ولذلك تجد الرجل الغربي ينظر إلى الرجل الشرقي نظرة احتقار ووحشية،ليس على أساس الفكر وإنما العرق،وقد حدثت لرسل كثير من القصص العنصرية التي يميز فيها بني جنسه بينه وبين أصدقائه الشرقيين فيقول:«كنت مرة في رفقة باحث صيني ذي ثقافة واسعة لا أكاد أمل أن أرى له مساويا،ذهبنا معا إلى مرآب لنستأجر سيارة وصاحب المرآب كان نموذجا سيئا للأمريكيين،الذي عامل صديقي الصيني وكأنه قذر وأتهمه باحتقار بأنه ياباني، مما جعل دمي يغلي لسوء نيته المبنية على الجهل»[2].وقد اكتشف رسل الإنسان من خلال تواجده في الشرق- في الصين واليابان- أن ما يتميز به هذا الشعب لا يمكن أن يوجد حتى في الغرب، ولذلك كتب يقول:« لقد رأيت في الشرق أناسا يعتبرون أنفسهم أنقى زهرة لتربية عامة،وذلك جعلني أخجل أن أكون انجليزيا،إن مواطني يمكن أن يكونوا حمرالوجوه،يسكرون بكثرة،ويصرفون ساعات عملهم في المفاخرة وساعات فراغهم في الرياضة والبريدج جاهلين كليا الثقافة الغربية،وليسوا مدركين أن هناك ثقافة شرقية قائمة»[3].
- النظرة الاستعلائية: ينظر الأرستقراطي إلى الغير نظرة دونية،هذه النظرة مرتبطة بالوراثة من جهة و بالثروة من جهة ثانية ولذلك يعتقد أبناء العائلات الأرستقراطية أنهم أفضل من

[1]- المصدر السابق،ص140.
[2]- بحوث غير مالوفة،(م س)،ص160.
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص74.

غيرهم،مالا وعلما،فهم ليسوا في حاجة إلى العمل مادام أن العائلة توفر لهم ذلك،وما على أبناء الطبقة الفقيرة إلا القيام بذلك،ثم أنهم أفضل منهم علما لأنهم أفضل منهم وراثة،باعتبار أن الذكاء وراثي وليس مكتسب،وقد ذهبوا إلى أنهم أفضل منهم في فهم الخير بل حتى في القدرة على الشعور وقد عبر رسل عن ذلك:«فالأرستقراطيون الروسيون حتى منتصف القرن التاسع عشر كانوا ينظرون إلى فلاحيهم،باعتبارهم شيئا لا أهمية له ليس لأنهم كانوا يتصورون مفهوما للخير مختلفا عن مفهوم معارضيهم،بل لأنهم كانوا يعتقدون أن الفلاحين ليست لديهم نفس القدرة على الشعور كما لدى سادتهم»[1].

- التنافس: يبين رسل أن فكرة التنافس قديمة،ويبين أنه من الخطأ الاعتقاد بأن التنافس عائد للداروينية"Darwinism"، وإنما العكس هو الحقيقة، فالداروينية يعود أصلها للتنافس، ويعبر عن ذلك:«فإن داروين أغرى الناس على أن التنافس فيما بين الأشكال المختلفة للحياة كان السبب في التقدم التطوري»[2]،ففكرة التنافس أصلها صناعي،وجدت من قبل أرباب العمل ضد الاتحادات المهنية ثم أصبح التنافس يستخدم في كل المجالات من التنافس التربوي إلى التنافس بين الأمم،مما أدى إلى الكراهية والتعصب،وما صراع الشعوب فيما بينها إلا سببا من أسبابه.
- الشعور بالاستحواذ أو التملك: بالإضافة إلى ما يقوم به الاستحواذ من التفرقة بين طبقات المجتمع، فإنه قد يكون وسيلة بل السبب المباشر لقيام الحروب، كما يسبب الفقر والحرمان للطبقات الكادحة. فالرأسمالية ونظام الأجور كما يقول عنها رسل:«هما الوحشان التوأمان اللذان ينهشان جسد العالم العليل، ونحتاج مكانهما إلى نظام أخر يلجم الغرائز الوحشية في الحياة الإنسانية»[3]،وتدفع غريزة التملك إلى التوسع والاستعمار، وتبعا لهذا فإن معظم الدول الرأسمالية«ضمت مساحات جديدة من سطح الأرض تحت جناح الصناعة،وأصبحت بمناطق واسعة في أفريقيا مراكز للترحيل للقيام بالعمل في مناجم الذهب والماس...وفي سبيل هذا الغرض فسدت أخلاق السكان،وأصبحوا عرضة للتلوث بالرذائل والأمراض الأوربية»[4]. فالنظام الرأسمالي مسرف في الإنتاج من حيث أنه ليس هناك حدودا لما ينتجه المالك،

[1]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص91.
[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص156.
[3]- برتراند رسل،مثل عليا سياسية، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز، الدار القومية للطباعة والنشر مصر،د(ط س)،ص16.
[4]- المصدر نفسه،ص17.

بغرض الزيادة في الربح،وأنه غير عادل في التوزيع،فالعمل يزيد من رأسمال الغني ويضعف القدرة الشرائية للعامل الكادح«إنه ليبعث على حياة كلها عبودية لأغلبية المجتمع،ويمنح الأقلية من القوة،والسيطرة فوق رقاب العباد،ما لا يحق لأحد من البشر»[1]. ولعل فكرة الطبقية الاجتماعية،وقداسة العمل لدى الفقير وتكاسل الأرستقراطي عن ذلك كان من أهم الأسباب التي جعلت رسل يسخر منها،فيقول عنها:«إنها مسؤولة من الناحية التاريخية عن تثبيت فكرة قداسة العمل اليدوي في أذهان الفقراء حتى يكدوا ويكدحوا ويقدموا ثمار جهدهم قربانا على مذبح الشرف الزائف والتضحية السخيفة لهذه الطبقة المترفة تنعم وتستأثر به»[2]،وكان من نتائج ذلك نبذه لألقابه الأرستقراطية الموروثة وفضل اسم رسل مجرد من الألقاب،كما أنه يفتخر باعتماده على نفسه،في كسب قوته من عرق جبينه دون أن يعيش عالة على غيره.

أما عن الأسباب التي أدت برسل إلى العطف عن الليبرالية والدفاع عنها فيعبر عنها في قوله:«يبدو لي أن التقاليد الليبرالية التي ترعرعت في ظلها لا تزال لها أهمية عظمى للرفاهية الإنسانية...فلم أجد سببا يدعو إلى التخلي عن المثل العليا التي تشربتها في شبابي، وهي حرية التعبير،والتسامح،والديمقراطية،واحترام الفرد،بقدر ما تسمح الحاجة إلى المحافظة على النظام العام.فهذه المثل العليا في المجال السياسي، تقابل الأسلوب العلمي في المجال الفكري»[3]،هذه القيم التي تحترم الوجود الإنساني هي ما دعت رسل للدفاع عنها:

- حرية التعبير:ترتبط الليبرالية بالمذهب التجريبي الذي نما لأول مرة مع "جون لوك" John Locke" والذي يخضع لقوانين العلم،ليس أساسه هو الاعتقاد وإنما قوة البرهان والذي يحترم فيه رأي الأخر حيث يقول:«إن الجوهر في النظرية الليبرالية لا يقوم على ماهية الآراء المعتقدة،بل كيف يجري الاعتقاد فيها، فبدلا من أن تكون مقبولة مذهبيا تكون مقبولة تجريبيا، وبوعي بأن برهانا جديدا قد يؤدي في أية برهة إلى هجر هذا الرأي،هذه هي الطريقة التي تجري فيها الأمور في العلم وهي معاكسة للطريقة التي تجري عليها الأمور في اللاهوت»[4].

[1]- المصدر السابق،ص26.
[2]- رمسيس عوض، برتراند رسل المفكر السياسي،(م س)،ص7.
[3]- في مدح الكسل،(م س)،ص36.
[4]- بحوث غير مألوفة،(م س)،ص26.

ففي النظام الليبرالي لا يتوقف قبول الأفكار على الاعتقاد أو الفرض وإنما على أساس الإقناع، فنحن نقبل تلك الأفكار العلمية دون أن يكون لأصحابها علينا سلطان،إلا سلطان الحجة والبرهان يقول رسل:«إننا نقبل هذه المعلومات لأنها صدرت من أشخاص نعتبرهم جديرين بالتصديق،ولكننا نعتبرهم جديرين بالتصديق ليس لأنهم يعتنقون رأيا قائما منذ الأزل،أو لأنهم قادرون على الاستناد إلى كتاب مقدس أو لأننا إذا عارضناهم فسوف يقطعون رؤوسنا،فكل إنسان حر تماما في أن يعتنق الرأي الذي يهواه...والعقاب الوحيد الذي يناله هو أن يرميه الناس بالغباوة »[1].وبالتالي فالليبرالية تدعو إلى النقاش وتشجع التفكير الحر،وما يؤكد ذلك حسبه حركة مساواة النساء بالرجال في ظل الليبرالية إذ أنها لو تعرضت للحظر لما استطاعت أن تحقق هذه الحركة أي تقدم على الإطلاق،ومنه فإن أي قمع للحريات فإن المجتمعات ستصاب بالجمود،لأن منع التعبير الحر لا يمنع التقدم الفكري والعلمي فقط، وإنما يؤدي إلى روح عدم الإخلاص في نفس الباحث،وخير مثال على ذلك الطبيب"في داشو"* الذي أعدمه النازيون بعد اكتشافهم لعدم إخلاصه لهم.

- التسامح والديمقراطية:يرى رسل أنه منذ العصور الإغريقية يوجد رأيان للتوصل إلى المعتقدات الصحيحة ويقابلهما رأيان في أشكال الحكم،فأولهما طريقة المعتقدات الراسخة والمناقشة الحرة،وثانيهما سلطة المعتقدات الراسخة وسلطة الأغلبية القائمة على المناقشة، فالسلطة الأولى تتمسك فيها الحكومة بعض العقائد الفاسدة التي لا تقبل الشك،وتمنع كل من يخالفها، وذلك مثل ما تعرض له بعض الرجال للحرق بسبب تشكيكهم في تفسير الإنجيل،أو التشكيك في جزء من القرآن الكريم عند المسلمين،والتصفية الجسدية لكل من يخالف الكرملين،في روسيا،وفي هذا النظام تطغى الحكومة تدريجيا حتى تنتهي بالثورة عليها.أما النظام الليبرالي فهو نظام يتميز بالتسامح الديني،وبالمؤسسات التمثيلية وتحديد السلطة،وقد عبر رسل عن ذلك:« ولعل أكبر ما يميز الديمقراطية على جميع أنظمة الحكم الأخرى ليس هو أن الرجال الذين وصلوا إلى القمة يتمتعون بحكمة خارقة للعادة وإنما لأن سلطتهم تعتمد

[1]- المصدر الأسبق،ص38.

*-صدرت الأوامر إلى الطبيب"في داشو"باختراع شيء يضارع البنسلين في فاعليته، وسرعان ما ادعى أنه توصل إلى ذلك الاختراع وقام بتسميم المسجونين، واثبت أن الذين حقنهم بمادته الجديدة هم الذين بقوا على قيد الحياة في حين قضى الآخرون نحبهم، ثم اتضح فيما بعد أنه حقن الذين كان يرغب في بقائهم بقدر ضئيل من السم ولذلك أعدمه النازيون(في مدح الكسل،ص42).

على التأييد الشعبي بأنهم يعرفون أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بمناصبهم إذا اقترفوا ظلما بينا»[1].

- احترام الأفراد: إنه وفي ظل العقائد الراسخة والأنظمة الاستبدادية، فإنه ليس هناك احترام للفردية سواء على المستوى الديني،حيث تعاقب الكنيسة كل معارض لها على أنه كافر يجب عقابه، وكذا في المجال العلمي مثلما تم حرق جوردانو برونو"Giordano.B"حيا، أما في ظل الليبرالية فالفرد هو جوهر المجتمع، يساهم في بنائه كما يقدم آراءه.

ومما زاد رسل إصرارا للدفاع عن الليبرالية هو اتصافها بالديمقراطية الحديثة التي يرى بأن لها الفضل في توزيع المسؤوليات السياسية في الأمم الكبرى، فهي بالنسبة إليه أفضل نظام قضى على استغلال الإنسان للإنسان ويعبر عن ذلك:«إننا أحسن حالا بفضل الديمقراطية لا غير.فعندما كانت الطبقة الراقية الإنجليزية تملك احتكار السلطان السياسي كان الحال في انجلترا سيئا بقدر ما كان سيئا تحت حكم ستالين،ويجدر بنا أن نحمل التقدير للديمقراطية لأنها تمنع اقتراف مثل هذه البشاعات على نطاق واسع»[2]،فالديمقراطية الليبرالية تسمح بحرية الفكر،وهي أقل رغبة في إشعال الحرب من الأنظمة الاستبدادية،كما أنها تقضي على أنانية الإنسان حيث ليس في ظلها أفضلية عرقية أو جنسية أو حزبية،فكل الناس سواسية أمام القانون،وهي تشجع التفكير العلمي،وتقضي على الخرافات،وقد اعتبرها رسل أصلب المذاهب القائمة،ليس في السلم فقط وإنما حتى في الحرب بدليل أنها انتصرت في حربين عالميتين ويتجلى في قوله:«هي الفلسفة الوحيدة التي يمكن أن يتبناها إنسان يطلب شيئا من الدليل العلمي على صحة معتقداته...إنه ينبغي على الدول التي لا تزال تؤازر المعتقدات إيمانا عميقا ونابعا من القلب،وليس ذلك الإيمان المتردد الذي يظهر بمظهر المعتذر في موقفه نحو تعصبات اليمين واليسار،لكنها يجب أن تقتنع أعمق الاقتناع بقيمة الحرية،والبحث العلمي الحر والتسامح المتبادل لأنه يكاد يستحيل على الحياة على كوكبنا المنقسم على ذاته من الناحية السياسية»[3].

[1]- في مدح الكسل،(م س)،ص40.
[2]- نقلا عن برتراند المفكر السياسي،(م س)،ص100.
[3]- المرجع نفسه،ص109.

ثانيا:موقف رسل من النظريات التربوية:

1-موقفه من النظريات التربوية التقليدية:

يبين رسل أن هناك ثلاثة نظريات تربوية عبر تاريخ البشرية، فهناك أولا التربية السلبية التي تعمل على تهيئة الفرص والنمو لدى الطفل والقضاء على التخلف،أما الثانية فتركز على الجانب المعرفي للطفل،من خلال إمكانياته لأقصى حد ممكن،وتذهب الثالثة إلى تكوين المواطن الصالح.فعندما ينظر رسل إليها نظرة شاملة،يذهب إلى أن هذه النظريات لم تقدم تربية حقيقية لأنها تفتقد إلى الوضوح،وعندما يمارس منهجه التحليلي عليها،وينظر إليها نظرة جزئية كل واحدة على حدا،يستنتج أن الثانية والثالثة تدّعيان أنهما تقدمان للتربية شيئا واقعيا،فهما تعتمدان على مخطط تربوي لتدريب المواطن الصالح،«كأن يتعلم قواعد السلوك،وتقاليد الصناعة،ومعدل علم مناسب لمركزه الاجتماعي»[1]،إلا أن السلوك الحسن يختلف من مجتمع إلى أخر،ومن تقاليد إلى أخرى،ويبين رسل أن هذا المفهوم في القرون الوسطى كان يعني الطاعة للآباء والكهنة والسيد فيقول:« كان الأطفال يتعلمون ليطيعوا آباءهم وليحترموا من هم أعلى منهم اجتماعيا،وليشعروا بالرهبة في حضور الكاهن، والخضوع في حضور سيد الولاية.ولم يكن حرا غير الإمبراطور والبابا»[2]. ويذهب إلى أن هذا النوع من التربية كثيرا ما يقع في التناقض،فمن جهة تهدف السلطة القائمة على ذلك فيه إلى إعداد مواطنين صالحين،لهم إعجاب فائق بالنظام وهم على استعداد للتضحية بأنفسهم من أجله،ومن جهة ثانية فهي تفتخر بالبطولات عبر التاريخ،إنها تمدح البطولات ولا ترغب في ظهورها،ولو حدث وإن ظهر بطل في ظل هذا النظام لكانت نهايته السجن والاعتقال،ويعبر عن ذلك:« أنه بينما تستهدف الحكومات جميعا إخراج رجال من هذا الطراز دون أي طراز أخر،ترى أبطالها من رجال الماضي هم على وجه الدقة رجال من ذات الطراز الذي تحاول الحكومات أن تمنع ظهوره في الحاضر... والأمم الغربية جميعا تمجد المسيح مع أنه لو عاش اليوم لكان يقينا موضع ريبة من رجال "سكوتلنديارScotland yard "* في انجلترا،ولامتنعت

---

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص30.

[2]- المصدر نفسه،ص53.

*-سكوتلانديار(Scotland yard) جهاز الشرطة البريطانية، وهو من أقوى أجهزة الشرطة في العالم.

عليه الجنسية الأمريكية على أساس نفوره من حمل السلاح»[1]،إن هذا الرأي يشمل كل الأنظمة سواء الديكتاتورية منها أو الديمقراطية،وما تعرض له رسل كرجل مفكر حر في بريطانيا وأمريكا ،من خلال أفكاره التحررية والداعمة للسلام،واعتقاله وسجنه كذا مرة إلا دليلا على أن الحرية التي تدعيها بعض النظم ما هي إلا أكذوبة،تخدع بها السلطة شعوبها،وما الأزمات وتقييد حرية التعبير في العالم العربي إلا دليلا أخر على ذلك.ويشبه رسل وسائل التربية التقليدية المتمثلة في الصرامة والقسوة،والعقاب بتلك التي تستخدم لترويض الحيوانات،فيقول:«أما الأساليب التي كان يتوصل بها إلى هذه فقد كانت صارمة وجاهزة.وفي الواقع ليست غير شبيهة لتلك الأساليب المستعملة لتدريب الخيول.ما كان يفعله الكرباج للحصان كانت تفعله العصا للطفل»[2].

ونظرا لما تتميز به فلسفة رسل التحليلية من موضوعية،والالتزام بالمنهج العلمي فإنه أنصف هذه التربية،ولم يتجاهل دورها في بناء الحضارة،وأن لها الفضل في إخراج رجال عظماء قادوا البشرية إلى التحرر من الاستبداد والعبودية، فيقول:« لا يمكن الإنكار أن هذا النظام من أجل كافة قسوته أعطى على وجه العموم النتائج التي كان يهدف إليها.لقد كانت قلة فقط تلك التي عانت التربية،ولكن في تلك الأقلية تقاليد معينة شكلت تقاليد النظام الذاتي والتآلف الاجتماعي،والقدرة على القيادة،ومن القسوة التي لم تأخذ أي اعتبار لحاجات البشر»[3]،ويتعجب رسل من نتيجة هذه التربية المتزمتة التي كانت من المفترض أن تنتج لنا عقولا جامدة،وقادة مستبدين،ومواطنين خانعين،في حين أنه كان العكس هو الذي حصل،فيعبر عن ذلك:« لا أود التقليل من هذا الانجاز،وأنا لست متأكدا أنه كان من الممكن بأي طريق أخرى،وبنفس الاقتصاد في الجهد،أن تنتج بالنظر إلى بعض الصرامة الإسبرطية،وإلى عجز كامل عن الشك الفكري،أن تكتسب الصفات التربوية والنظام الاجتماعي من عنصر استبدادي فيما بين الشعوب المتخلفة»[4]،ويبين رسل أنه كان بإمكان هؤلاء الذين تربوا على القسوة والصرامة،وجفاف العواطف وحرمان الذكاء في طفولتهم،أن

[1]- المصدر السابق،ص15.
[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص30.
[3]- المصدر نفسه،ص30.
[4]- Russell Bertrand,Education and the Sosial order,Routlege classic,London and new York,1stp,2010,pp16-17.

يمارسوه بدورهم على غيرهم،لكنه في ظل الأنظمة المتزمتة،يشهد الإنسان نوعا من الحرية ويعطي مثالا على ذلك قوة أمريكا بالرغم من تزمتها.ويظهر ذلك جليا في قوله:«لقد كان بإمكانهم التحول إلى حكم قاس مثلما تعرضوا له في الشباب،ويتفادوا الأعمال التي من المفترض أن تكون تربيتهم قد جوعت الذكاء والعواطف من أجل تعزيز الإرادة، ففي أمريكا تم التوصل إلى نتيجة مماثلة بواسطة حكم البيوريتانية (المتزمتة) في حين أنها ما زالت قوية»[1].ومن أهم نماذج التربية التقليدية:

أ- موقفه من التربية الشيوعية:

إن النظام الشيوعي ومنذ قيام الثورة البلشفية في 1917 ركز جل اهتماماته على التربية باعتبارها الوسيلة الناجحة لتكوين الجيل القادم الذي سيكون الدرع الحامي للشيوعية،وهذه التربية لم تقتصر مهمتها على المدارس وإنما تجلت في كامل الحياة العامة، وذلك من خلال إيجاد منظمات طلابية وأخرى كشفية،وعمالية ونسائية وفلاحين،...الخ،تدين كلها للشيوعية وعندهم تقريبا نفس القوانين والتي يجملها رسل فيما يلي:« العامل هو الحقيقة لمبرر الطبقة العاملة ووفقا لآراء لينين. هو الأخ الأصغر والمساعد إلى الكومسمول* الشيوعي. رفيق للرواد وأولاد المزارعين في العالم. ينظم الأطفال المحيطين ويساهم معهم في الحياة المحيطية. مثال لجميع الأطفال. يكافح من أجل المعرفة والمهارة»[2]. ومنه فالتربية، وخاصة التربية المدرسية لم تبق بعيدة عن معترك الحياة السياسية وإنما قد لعبت دورا أساسيا في إيجاد أي نظام ويعبر لينين عن ذلك:«إن الدولة البرجوازية التي كانت أكثر ثقافة،هي الأكثر دهاء في الخداع مؤكدا أن المدارس بإمكانها أن تبقى خارج السياسة،وهكذا تخدم المجتمع.ففي الحقيقة كانت المدرسة أداة كلية لسيطرة الطبقية في أيدي البرجوازيين،وكانت طيلة الوقت مشحونة بروح الطائفية،وهدفها كان لإعطاء الرأسماليين عبيدا وعمالا أكفاء»[3]،والتربية الشيوعية هي الأخرى لا يمكنها أن تتخلى عن وظيفتها في خدمة الطبقة البروليتارية،ولذلك نقل عن لينين أنه قال:«إننا ننكر أي نوع من الأخلاق يكون مأخوذا من

[1] - op.cit,p17.

*- الكومسمول: منظمة الشبيبة الشيوعية.

[2]- التربية والنظام الاجتماعي، (م س)،ص ص180-181.

[3]- المصدر نفسه،ص175.

الفكرة اللاإنسانية وغير الطبقية،ونعتبر مثل هذه الأخلاق كخيانة وخداع تقفل أدمغة العمال والمزارعين لصالح إقطاعي الأرض والرأسماليين،وإننا نقول أن أخلاقنا تكون خاضعة كليا لصالح الطبقة الكادحة من البروليتارية»[1]،فغاية التربية الروسية هي الاهتمام بالناشئ صحيا وعقليا وجسديا،وحتى عقائديا،وهذا ما عبر عنه بينكيفيتش Pinkevitch"Albert "* قائلا:«إن هدف الطبيعة والإرشادات العامة في روسيا السوفياتية هو المساعدة في جميع التطورات الصحية،القوة،الشجاعة الواقعية للإنسان المستقل فكريا وعمليا،متعرفا بالجوانب العديدة للثقافة المقترنة،والمبدع والمحارب في صالح البروليتارية،وتباعا في التحليل النهائي لصالح جميع البشرية»[2].و يؤكد على أن الدعاية تلعب الدور الأساسي في تربية النشء،خاصة في تشكيل الأحداث ليس من أجلهم فقط،ولكن من أجل خدمة الدولة،ويتفق رسل مع "بينكيفيتش" على أن المدرسة أفضل تأثيرا في تربية النشء من العائلة.

ويتوجه رسل في ملاحظاته إلى خصائص التربية الشيوعية ليبين ما تتميز به من ايجابيات وسلبيات،يدافع عنها تارة ويفندها تارة أخرى،ويقد يمدح فكرة من جهة ويهجوها من جهة ثانية،مبينا الأدلة لقبول هذه ولرفض تلك،أما عن الأسباب التي جعلته يمدح التربية الشيوعية فتتمثل في:

- القضاء على التنافس: لأن التنافس قد يؤدي إلى الكراهية والتعصب ويسبب الحروب،وقد بين رسل أن التنافس شبيه بذلك التمييز بين القوي والضعيف والذي يعطى فيه الحق للقوي، متمثلا في قوله:«وقد استعمل الناس القوة طوال التاريخ القديم لمنح القوي نصيبا أكبر مما يستحق من الأشياء الحسنة وترك الضعيف يحيا حياة التعب والبؤس.وكان أثر التنافس كارثة مساوية لهذا»[3]،فالتنافس مصدر الحروب بين المجتمعات،ويؤكد رسل على أنه في روسيا تم القضاء نهائيا على فكرة التنافس ويعبر عن ذلك:«ففي روسيا أزيل التنافس ليس فقط في المدارس،ولكن حتى من الحياة اليومية،التي تجعل روح تعاونية ممكنة وغير معروفة في

[1]- المصدر السابق،ص175.
[*]- رئيس جامعة الولاية الثانية لموسكو في كتابه "عن التربية الجديدة في الجمهورية السوفياتية" 1928.
[2]- المصدر نفسه،ص176.
[3]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص138.

الغرب،إن مساهمة المدرسة في العمل العادي للعالم...هي بنظري تتفوق على جميع العيوب الممكنة»[1].

- تقبل الشباب للعقيدة الروسية:بالرغم من أن رسل يرفض العقيدة،وخاصة العقيدة الشيوعية نظرا لأنها عائق أمام التقدم العلمي إلا أنه يرى فيها أنها تسير نحو عالم أفضل،نظرا لتقبل الشباب لها،فهي تختلف عن الديانة المسيحية،التي تتميز بالإلزام والإكراه والتعدد«إن الدين الروسي غير مشابه لدين البلاد المسيحية،وأنه واحد،وأغلب الناس،الشباب الذين يكونون عرضة له يتقبلونه بحماس،ويعملون قواعد حياتهم طبقا له...فإن الماركسية عندها الآن الفوائد التي كانت عند المسيحية عندما كانت حديثة العهد،ولكن هل بإمكانها الاحتفاظ بهذه الفوائد إذا كانت قائمة ومنتصرة؟»[2]، فالعقيدة الشيوعية وسيلة للتماسك وتوحيد الهدف،ودافع لبناء مجتمع متقدم ومتحضر.وفي موضع أخر ينبذ رسل الماركسية ويدينها ويفضل عليها المسيحية حيث يقول:«وسأعترف بأني أفضل أن أرى العالم كله مسيحيا على أن أراه ماركسيا،فأنا أجد الإيمان الماركسي مما تعافه نفسي أكثر من أي إيمان أخر اعتنقته الأمم المُتَمَدْيِنَةُ»[3]، والمتأمل في هذا ينظر إلى أن رسل يقع في التناقض،وبما أنه صاحب مذهب الشك الفلسفي، فإنه لا يعترف بالعقيدة،ولا يؤمن بالأفكار الثابتة،وإنما قد يغير فكره بين لحظة وأخرى بناء على الأدلة والبراهين.
- تقضي على نظام الأسياد والعبيد،وتدمر فكرة فصل المدرسة عن الحياة،وتقضي على الشرور،ويمكن أن نجمل أسباب مساندة رسل للتربية الشيوعية في قوله:«إنها تمنح الأطفال التربية،التي منها فكرة التنافس المعادية للمجتمع تكون قد استبعدت كليا.وتخلق نظاما اقتصاديا يظهر ليكون النقيض العملي الوحيد لنظام الأسياد والعبيد.إنها تدمر فصل المدرسة عن الحياة،لكون المدرسة مدانة لأصلها الرهباني،نظرا لأن العقلاني في الغرب يصبح بصورة متزايدة عضوا ضارا في المجتمع...إنها سوف تحل أغلب الشرور الرئيسية لوقتنا الحاضر»[4]، ولعل هذا الرأي له خلفية بيئية،المتمثلة في الواقع المحافظ الذي تربى فيه رسل،

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص186.
[2]- المصدر نفسه، ص183.
[3]- المجتمع البشري في الأخلاق و السياسة ،(م س)،ص192.
[4]- التربية والنظام الاجتماعي ،(م س)،ص189.

بالإضافة إلى أن جل النقاد يصفونه بأنه عقلاني وكأنها جريمة يجب أن يعاقب عليها أصحاب العقول.ولذا فهي تعبر عن همومه اتجاه العالم الذي يعيش فيه.

وبالرغم من هذه الصفات التي يصف بها رسل التربية فلا يمنع أن لها سلبيات أهمها:

- التخطيط: تعتمد التربية الشيوعية على فكرة التخطيط،التي يحدد فيها الهدف مسبقا بحيث لا يسمح فيها للمبادرة الفردية،ولا لحرية الفكر وهذا ما يقود الشخص إلى الملل والكسل،ويعبر رسل عن ذلك:«إن كل شيء مخطط عن قصد من المحتمل أن يعاني من البساطة غير المتوجبة التي تقود إلى الملل،وحتى إلى نوع من الجنون من سماع نفس النغم يعزف باستمرار»[1].
- تقييد الحرية الفكرية:إن العقيدة الشيوعية من خلال ما تبثه في الأطفال من تربية وطنية تعتمد على وسائل الدعاية المختلفة،فإنها تعاد كل فكر تحرري،وكل علم لا يتفق والطبيعة الشيوعية،كمخالفتها لبعض المكتشفات العلمية،مثل ما ذكرنا سابقا بالنسبة للفيزياء الحديثة،أو لقوانين الوراثة عند مندل، لأنها تختلف والنظرة المادية.

ب- موقفه من التربية الأرستقراطية:

إن التربية الأرستقراطية بالرغم من أنها تربية طبقية،إلا أنها كانت تعطي أهمية كبرى لأبناء الطبقة وتعدهم الإعداد اللازم لتحمل المسؤولية،وتهتم بتكوين السيدة أو السيد المحترم فيقول:«فسيد القرن الثامن عشر كان يتكلم بنبرات منتقاة ويتمثل بالأدب القديم في المناسبات، ويلبس على الطراز،ويفهم قواعد السلوك»[2]،وهذا ما وصفت"بياتريس ويب"رسل كما ذكرناه سابقا،ثم إن هذه التربية تعتمد على ما يرثه الشخص من سلوك وسلطة ومال،ولذلك فهي لا تهتم بالتربية النفعية من أجل العمل والعيش بل بالتربية الزخرفية التي تتمثل في الأناقة والتأمل وتجعل صاحبها في غنى عن العمل،ثم إن هذه التربية تعتمد في تنشئة أبنائها على تقاليد العائلة العريقة،وعادة ما يقوم الخدم بهذه المهمة فيقول:« فأطفال الأغنياء لهم غالبا بجانب أمهم مربية وخادمة،ولهم بعد ذلك نصيب من بقية خدم المنزل،وهذا يضمن مقدارا من

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص188.
[2]- في التربية،(م س)،ص24.

العناية لا يمكن قط أن يؤتاه جميع الأطفال في أي نظام اجتماعي»[1]،ومن جهة ثانية تهتم بتكوين الطفل معرفيا من خلال التركيز على تقديم المعلومات الغزيرة،وتحصيل لجانب عظيم من الفنون والآداب والثقافات المختلفة،دون أن تهتم بميوله أو رغباته،وقد كانت توكل هذه المهمة لمعلم خاص،فهي شبيهة بتربية أبناء الملوك،فلقد كانت التربية الأرستقراطية تركز على حشو الطفل بالمعلومات والمعارف تكاد ترهق عقله أكثر مما تفيده في حياته اليومية،ويعتبر رسل خير مثال لطفل نشأ في أحضان تربية أرستقراطية ولذلك فهو يعبر عن نفسه قائلا:«أما عن نفسي فقد قضيت في درس اللاتينية واليونانية في شبابي جزءا كبيرا من وقتي أعتبره الآن وقتا ضاع كله تقريبا سدى،فمعرفة الآداب القديمة لم تساعدني أقل مساعدة في حل مشكلة من المشاكل التي جابهتني فيما استقبلت في حياتي،ولم أستطع أن أحذق الآداب القديمة»[2].وتركز التربية الأرستقراطية على العقاب والتأديب لتقويم سلوك الطفل. وهذا ما كان قد تعرض له في صباه لأن هذه التربية تعتبر الطفل مفطورا على الشر ويجب تحويله إلى الخير عن طريق الضرب المتكرر،ويذهب رسل إلى أن هذه التربية لا يمكن أن تصلح كمنهج تربوي للأجيال المعاصرة،بل إن الشر الذي يوجد في المدارس الإنجليزية كلها يعود إلى هذه التربية،فيقول:«إن الشرور القائمة في المدارس العامة الانجليزية ربما تكون جميعا ليس بمستطاع فصلها عن التربية الأرستقراطية...إن الأرستقراطية حاليا تعتبر قديمة بالية»[3]،إن الأرستقراطية حتى وإن كانت ترتبط بالديمقراطية فإنها تحتوي على بعض الأخطاء أهمها العنصرية الفكرية والعرقية والنظرة الدونية إلى غيرهم،وهذا ما سبب كراهية الديمقراطية من طرف الجمهور لارتباطهما ببعضهما البعض،وبين رسل ذلك:«إن خطأ الأرستقراطية ينحصر ليس بالتفكير في أن بعض الناس هم أرفع من الآخرين، ولكن في افتراض السمو ليكون وراثيا.وخطأ الديمقراطية ينحصر في اعتبار جميع المطالب للسمو كمبررات لكراهية الجمهور»[4].وعليه فإن كره رسل للأرستقراطية نابع من تلك التربية المتزمتة التي تلقاها في صباه من جهة ونظرة الاستعلاء التي تنظر فيها الشعوب الغربية إلى غيرها من شعوب المعمورة،ومن النتائج المترتبة عن ذلك من صراع وحروب وكراهية بين

[1]- المصدر السابق،ص21.
[2]- المصدر نفسه،ص27.
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص76.
[4]- المصدر نفسه،ص78.

بني البشر،وما نشوء الإمبراطوريات العظمى،إلا خير دليل على ذلك.كما أنها لا تتلاءم والعصر«لكن الأرستقراطية صارت لا تتفق مع العصر،ولن تطيع الشعوب المغلوبة الحكام بعد الآن مهما أوتوا من الحكمة والفضيلة»[1].

2- موقفه من التربية السلبية:

وبالرغم من وصف رسل لهذه النظريات بأنها لا تقدم تربية حقيقية،إلا أنه يرى أن النظرية السلبية هي أقرب إلى الحقيقة:«و لا أظن أنها تحتوي بأي وسيلة على كافة الحقيقة،و إن النظرية السلبية قد وطدت تفكيرا تقدميا أكثر في التربية،إنها جزء من العقيدة العامة للحرية التي أوحت بأفكار تحررية منذ زمن روسو»[2].ويذهب رسل إلى أن التربية السلبية وإن كانت أفضل من غيرها بنبذها للأخطاء الكثيرة التي كانت شائعة،إلا أنها لا تخلو من نقائص،وقد مثل هذا النوع من التربية فلاسفة عظام من أمثال روسو وجون لوك،الذي يقول عنهما:« قد استحقا كلاهما الشهرة التي نالاها،لأنهما كليهما نبذا أخطاء كثيرة كانت شائعة حين كتبا...فكلاهما مثلا من أهل النزعة التي أدت إلى الحرية والديمقراطية،ومع ذلك فكلاهما لم يبحث إلا في تربية الابن الأرستقراطي التي يتفرغ لها مرب يخصها بكل وقته»[3].ويعترض رسل على ذلك أن مثل هذا النظام لا يمكن أن ينطبق على كل طبقات المجتمع لأنه:«من العسير حسابيا أن يستأثر كل طفل بوقت معلم خاص،فهو نظام لا يمكن أن يتبعه إلا طبقة محظوظة،ويستحيل وجوده في دنيا يسودها العدل»[4].

أ- موقفه من التربية الطبيعية:

يعتقد رسل أن روسو لم يكن فيلسوفا إلا في جانبه التربوي،والسياسي فيقول:«لم يكن روسو فيلسوفا بالمعنى الدقيق إذا جاز لنا أن نستثني أعماله في ميدان النظرية السياسية والتربوية»[5].فهو يدعو إلى الحرية والديمقراطية،كما يذهب إلى أن روسو في كتابه إميل ينطلق من فكرة أن الطفل خير بطبعه،وأن الشرور قد لحقته من تربية الكبار له:« ولعله كان

[1]- في التربية،(م س)ص43.
[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص30.
[3]- في التربية،(م س)،ص19.
[4]- المصدر نفسه،ص19.
[5]- رسل برتراند ، حكمة الغرب ج2،ص114.

رأيا نظريا لكن من يقرأ إميل يجد أنه كان بحاجة إلى كثير من التربية الخلقية قبل أن يصير الفرد الفذ الذي كان تخريجه مقصودا من نظام روسو،والواقع أن الأطفال ليسوا أخيارا ولا أشرارا بالفطرة،فهم يولدون وليس فيهم إلا بعض غرائز وانعكاسات،ومن هذه تنتج العادات بتأثير البيئة والوسط،والعادات إما صحيحة وإما سقيمة»[1]،وهنا يميل رسل إلى السلوكية التي تركز على البيئة في التربية،لكن مع وجود بعض الغرائز التي تتطور أو تتأخر بحسب التربية البيئية.أما حديثه عن الديمقراطية فيرى رسل أن روسو كان يتكلم عن الديمقراطية اليونانية ولا يتكلم عن الحديثة:«أما عن إشاراته إلى الديمقراطية فلابد أن يفهم منها أنه كان يتحدث عن مدينة الدولة القديمة لاعن الحكومة النيابية»[2].

ب- موقفه من التربية البراغماتية:

يعتبر رسل أن انتهاج المجتمع الأمريكي للتربية البراغماتية له ما يبرره فقد قادت مجتمعا متعدد الأعراق إلى مجتمع واحد متكاثف،وإذا كانت هذه حسنتها الوحيدة فهي كافية بأن تجعل منها منهجا يقتدى به بالنسبة للشعوب التي تفتقد إلى الوحدة.«وإذا أخذنا بعين الاعتبار المدارس العامة الأمريكية فإنها تؤدي بنجاح مهمة لم يحاولها أحد من قبل على نطاق واسع هي تحويل مجموعة من البشر متباينة إلى أمة متجانسة،وهذه المهمة يظهر القائمون بها كثيرا من المقدرة،بحيث يستحقون عليها عند الحساب ثناء عظيما»[3]، إلا أن ما تتميز به التربية الأمريكية له ميزات خاصة كما أن لها صعوبات،يجعل من الصعب اعتبارها مثل أعلى يقتدى به،فهي ذات بيئة رأسمالية تعتمد على الثروة،كما أنها لم تتعرض للحروب الكونية التي شهدها العالم،وهي مجردة من التقاليد والأعراف التي تحيط بالثقافة الأوربية.«لكن أمريكا كاليابان في مركز خاص،وما تبرره الظروف الخاصة لا يلزم أن يكون مثلا أعلى يحتذى به في كل مكان وزمان،أن لأمريكا ميزات خاصة،وصعوبات خاصة،فمن الميزات مستوى أعلى من الثروة،وسلامة من خطر الهزيمة في الحرب،وخلو نسبي من التقاليد المعطلة الموروثة عن القرون الوسطى»[4].ويمثل جون ديوي أهم أعلام

[1]- في التربية،(م س)،ص ص33-34.
[2]- حكمة الغرب ج2،(م س)،ص117.
[3]- في التربية،(م س)،ص43.
[4]- المصدر نفسه،ص43.

التربية البراغماتية،وبالرغم مما يكنه رسل لديوي من احترام وتقدير،وبالرغم من اتفاقهما في الكثير من النقاط إلا أن ذلك لم يمنع من توجيه بعض الاعتراضات على فلسفته بصفة عامة ونظريته التربوية بصفة خاصة،فيبين رسل أن هناك تشابه بين منهج ديوي والمنهج الهيغلي من خلال الغاية التي يهدف إليها كل منهما:«ففي نظرية ديوي قدر واضح من الفكر الهيغلي، ويظهر ذلك بوجه خاص في تأكيده أن الهدف النهائي للبحث هو الوصول إلى الكل العضوي أو الموحد.وهكذا ينظر إلى الخطوات المنطقية التي تحدث خلال سعينا إلى تحقيق هذا الهدف على أنها أدوات توصل إلى هذا الكل،هذه النظرة الآداتية إلى المنطق تشترك فيها عناصر كثيرة مع الجدل الهيغلي،إذا تأملنا هذا الأخير على أنه أداة تؤدي إلى النسق الكامل»[1].كما لم يخفي رسل انتقاداته لمذهب الأداة"Instrumental"الذي شبهه بأعمال"ماركس"وقد عبر"آلان وود" على ذلك:«وقد انتقد رسل مذهب الأداة التي نادى بها ديوي بسبب ما ينطوي عليه من انتقاء الورع من الناحية الكونية، وقد تضايق ديوي منه تضايقا شديدا عندما أخبره رسل أن هناك كثيرا من العوامل المشتركة بين مذهب الأداة الذي نادى به، وبين كتاب ماركس"بحث حول فيورباخ"»[2].كما صرح رسل أنه لم يتعب من الإدلاء بتصريحات حول البراغماتية بصفة عامة وديوي بصفة خاصة وهذا ما قد زاد من غضب ديوي.

لكن هذا لا يمنع أن هناك علاقة بين الرجلين،فالمدة الزمنية الطويلة التي عاشها كل منهما جعلت منهما حكيمي القرن العشرين،وقد بين تيم ماديغان"Tim madigan" في مقال له[3] هذه العلاقة فيما يلي:فهما يتشاطران الأعمال الفلسفية في نظرتهما إلى الكون،ويتميزان بالمنهج العلمي،ويهتمان بالمسائل الاجتماعية والتشكيك في الأفكار الدوغماتية،بالإضافة إلى اهتمامهما بالتربية والطفل من خلال إنشاء كل منهما لمدرسته الخاصة* وممارسة التعليم ولو لفترة قصيرة.

[1]- رسل برتراند، حكمة الغرب ج2،(م س)،ص209.
[2]- آلان وود، برتراند رسل سيرة حياته،(م س)،ص189.
[3]-www. Tim Madigan ;Russell and Dewey on Education similarities and diffzrences,docs.lib.purdue.edu, 08march ,2014.
*- تم إنشاء"مختبر المدرسة"بقسم البيداغوجيا بجامعة شيكاغو وترأسه جون ديوي من 1896-1904، كان يهدف إلى وضع الاختبارات والتحقق منها وانتقاد البيانات النظرية والمبادئ، أما رسل فقد أنشأ مدرسة"بيكون هيل"مع زوجته دورا رسل في عام 1927 وقد ركز فيها على الحرية التامة ولكنها فشلت بعد ذلك.

وعليه نخلص إلى أن النظم التربوية والسياسية سواء التقليدية منها أو الحديثة، تلك التي تسعى إلى إعداد المواطن الصالح،أو التي تهدف إلى تكوين الفرد الحر،قد تؤدي إما إلى مواطن خاضع مستسلم لجبرية الحكم والأفكار التقليدية،يتميز بالولاء للدولة وللأشخاص الذي يعتقد أنهم أفضل منه مكانة سواء مالية،أو عسكرية أو طبقية،ويعتبر أن خروجه عنهم من باب الكفر والخطيئة التي لا تغتفر،وذلك بما غرس فيه من مبادئ دينية أو تربوية سياسية.إن هذا الاستبداد الذي يعيشه الفرد يؤدي حتما إما إلى التسليم بالواقع وفقدانه للحرية وقبوله بالعيش مثل الجماد،وإما أن يتمرد على هذا النظام بالثورة التي تكون نتيجتها غالبا الفوضى عند الشعوب الفاقدة لأهلية الوعي،ومن جهة ثانية فإن ترك الحرية المطلقة للفرد بأن يتمرد على كل القيم والعادات والتقاليد والقوانين، يمكن أن يجر الإنسان إلى نفس النتيجة التي هي إما الفوضى أو الاستبداد.وعليه يمكن أن نتساءل ماهو تصور رسل لهذه المشكلة؟

الفصل الثالث:
جدلية العلاقة بين السلطة والتربية عند رسل

- المبحث الأول: الفردية والمواطنة ما بين الحريةوالتسلط.
- المبحث الثاني:الإنسان الفرد والإنسان المواطن.
- المبحث الثالث:نقد وتقييم.

المبحث الأول:

الفردية والمواطنة

ما بين الحرية والتسلط.

الفصل الثالث: جدلية العلاقة بين السلطة والتربية عند رسل:

الفردية والمواطنة ما بين الحرية والتسلط:

إن الحديث عن المواطن والفرد يقود إلى الحديث عن السلطة والتربية وأهدافهما،والعلاقة بينهما والتي بيّنا سابقا أن السلطة تربية والتربية سلطة، وليس المقصود بالتربية هي تلك العملية الممارسة في الفصول الدراسية وإنما المقصود بها هي تلك العملية التهذيبية التي يتلقاها الإنسان طوال حياته، من المهد إلى اللحد،والتي تكون حسب نمط النظام التربوي والسياسي،والعقائدي.أما السلطة فهي تلك الممارسة التي يقوم بها من لهم القدرة والغلبة على غيرهم كسلطة الكبار على الصغار ،والحاكم على المحكوم، وسلطة الدين على العباد، ولعل أهم ما نركز عليه السلطة السياسية. فكيف يمكن تصور الإنسان في ظل هذه النظم؟هل غايتها إعداد الإنسان المواطن أم الفرد الحر؟

إن تحليل رسل لهذا الموضوع يرتكز على مسح شامل لأنواع هذه النظم،مركزا على ما يصلح فيها ومالا يصلح للتماسك الاجتماعي،ومبينا الدوافع التي تتحكم في الأفراد والجماعات،وأبعدها هو ما يتعلق بالبقاء مثل الأكل والشرب والتناسل،لكن عندما تتوفر هذه الرغبات يبحث الإنسان عن دوافع أخرى أقوى منها هي:« حب التملك والتنافس والخيلاء وحب القوة، ويمكننا أن نرجع معظم التصرفات السياسية للجماعات وزعمائها إلى هذه الدوافع الأربعة»[1].ويؤكد رسل على أن هناك نوعين من الرغبات:رغبات متفقتي الإمكان التي يمكن إشباعها معا دون تعارض كالحصول على الثروة مثلا،والمتعارضتين والتي يمكن إشباع إحداهما دون الأخرى كالتنازع على منصب سياسي،ويفضل رسل رغبات المتفقتي الإمكان على تلك المتعارضة، ويعبر عن ذلك:«إن عالما تكون فيه أهداف الأفراد المختلفين والجماعات المختلفة متفقة الإمكان أفضل من عالم تكون فيه هذه الرغبات متعارضة»[2].وتختلف رغبات المنظمات اختلافا حسب طبيعتها وأهدافها،لكنها كلها تتفق على وفاء الشخص وإخلاصه للهيئة،لكن ما الذي يدفع الشخص إلى ذلك؟يذهب رسل إلى أن:« الفكرة التي جعلت الناس مخلصين كانت لحد ما الوقار الديني،وجزئيا الاحترام لرئيس

[1]- رسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص12.
[2]- المصدر نفسه،ص13.

العائلة،وكانت الدولة غير الشخصية من اختراع اليونان والرومان،خاصة الأخيرة»[1].وعليه يمكن أن نركز على ثلاثة عوامل تمثل المحيط والبيئة التي تساهم في تنشئة الإنسان إما مواطنا صالحا أو فردا حرا وهي:العامل السياسي،والتربوي والعقائدي.

أولا: سياسيا.

يمكن أن نتساءل من هو المواطن سياسيا؟ وما وسائل إعداده ؟وما المخاطر المترتبة على ذلك؟

يفرق رسل بين تثقيف الفرد الحر وتثقيف المواطن الصالح وذلك من خلال تبيان الفرق بين كل من "غوته"Goethe " وجيمس وات"J. watt "*"حيث يقول:«فغوته كان مواطنا أقل نفعا من جيمس وات،أما باعتباره فردا فلا نزاع في أنه متفوق عليه»[2]،وعليه فإن الفرد عند رسل عبارة عن ذرة شبيهة بجوهر ليبنتز "Leibniz" لابد أن تستعرض العالم،ولا يتم استعراض وإدراك العالم إلا عن طريق المعرفة التي هي أساس تفوقه على الكائنات الأخرى،وما لم يتحقق بالمعرفة فلابد أن يستكمل بالعاطفة،وهو يعبر عن ذلك:«أن المعرفة والعاطفة والسلطة،جميعها يجب أن توسع لأقصى حد في قصد كمال المخلوقات البشرية،والسلطة والعقل والحب، حسب العقيدة التقليدية تكون الصفات الخاصة للثلاثة أشخاص من الثالوث المقدس»[3]،فالإدراك المعرفي عند الفرد ليس اجتماعيا بل يكون بواسطة الإرادة وممارسة السلطة،لأن الإنسان الكامل هو ذلك الكائن الذي لايكتفي بالمعرفة والشعور فقط، بل عليه أن يمتلك قدرة التغيير والسلطة، فكماله يترتب على المعرفة والعاطفة والسلطة،وبالتعبير المسيحي الحكمة والمحبة والقوة،أما المواطن فيختلف عن الفرد،فهو يدرك أن إرادته ليست الوحيدة في العالم،كما أنها محدودة بواسطة الآخرين،ولذلك يكون الفرد منطويا على نفسه،بينما يكون المواطن متفتحا على الآخرين ويعبر عن ذلك:«صفات المواطن تكون مختلفة جدا،فهو مدرك أن إرادته ليست الوحيدة في العالم،وهو له علاقة في

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص71.

[*]- يوهان فولفغانغ فون غوته "Johan wolfgang von Goethe"(1749-1832) أشهر أدباء ألمانيا، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية، أما جيمس وات"James watt"(1736-1819) عالم انجليزي اهتم بالطاقة ومن اختراعاته قاعدة التمدد، ترس الشمس والكوكب، المحرك المزدوج، الحركة المتوازنة.

[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص12.

[3]- المصدر نفسه،ص13.

أسلوب واحد أو سواه،ليجعل الرخاء من الإرادات المتضاربة القائمة ضمن الجماعة.يكون الفرد منكمشا على نفسه بينما يكون المواطن ذاته محدودا بواسطة جيرانه»[1].فالفرد كيان قائم بذاته بينما المواطن فمصالحه مرتبطة بمصالح غيره، ولا يكون المواطن صالحا إلا إذا كان فردا صالحا.

يعتبر رسل أن كل الناس في النظم الحديثة هم مواطنون باستثناء"روبنسون كروزو"*. ويؤكد على أن المواطن كما تتصوره الحكومات المختلفة هو ذلك الشخص المعجب بالنظام القائم،والذي يخضع له و يدافع عليه ويضحي من أجله ويعبر عن ذلك:«المواطنون كما تتصورهم الحكومات هم الأشخاص المعجبون بالنظام القائم والذين هم على استعداد لإجهاد أنفسهم في سبيل الاحتفاظ بذلك النظام»[2].وعليه فإن الدول عبر تاريخها تسعى إلى إعداد مواطنين صالحين، تتميز فيهم صفات التماسك والتعاون،مواطنين موالين للنظام ومستعدين للتضحية من أجله، مواطنين تتمثل فيهم روح الوطنية، ولكن ماهي عوامل تمكين ذلك؟ وماهي وسائلها؟

1- المواطن والولاء:

تهدف تربية المواطن الصالح إلى التماسك الاجتماعي،والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد،ويختلف التماسك الاجتماعي من مجتمع إلى آخر ويوافق رسل السير آرثر كيث" Sir Arthur Keith"*على أن التماسك الاجتماعي كان في القديم يعود إلى تلك الروابط الأسرية التي تربط الشخص بأفراد قبيلته،فيشعر نحوهم بالآلفة والصداقة ونحو الآخرين بالكره والعداوة،وتعتبر الحرب أكتر وسيلة لتوسيع المجتمعات وزيادة الولاء،وذلك من خلال تضامن القبيلة حول زعيمها نتيجة الخوف من الآخر،أو من خلال ضم أناس آخرين عن طريق الاسترقاق،ولعل أفضل نظام جسد ذلك هو النظام الإسبرطي الذي حمّل الناس على الولاء حتى وإن كان ظاهريا، وقد عبر رسل عن ذلك:«منذ تلك الأيام الغابرة وحتى الأزمنة

[1]- المصدر السابق،ص14.

*- "روبنسون كروزو" قصة كتبها" دنيال ديفو" يحكي فيها عن حياة شاب عاش وحيدا في جزيرة، ثم يقابل شخص متوحش ويعلمه ما توصل إليه الإنسان المتحضر من تقدم فكري.

[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص14.

*- Sir Arthur Keith(1866-1955)عالم تشريح وانتربولوجيا اسكتلندي، اهتم بدراسة حفريات الإنسان الأول وأثرها في تطور البشرية، أهم كتبه أثار الإنسان، مقالات في التطور البشري.

الحديثة كانت الحرب هي الأداة الرئيسية في توسيع المجتمعات،واحتل الخوف مكان التضامن القبلي كمصدر للتماسك الاجتماعي...لقد امتدحت اسبرطة في الأزمنة القديمة لتماسكها الاجتماعي الرائع»[1] .فالحرب حسب رسل تؤدي إلى التماسك من ناحيتين، فالأولى هي إخلاص المغلوبين لغالبيهم،والثانية هي الشعور بالتضامن،وقد عبر عن ذلك:« إن الفتوح الحربي كثيرا ما أحدث في المغلوبين إخلاصا حقيقيا نحو أسيادهم...إن كل الدول الكبيرة القديمة تدين بوجودها للقوة الحربية،ولكن معظمها كانت تستطيع،إذا امتد أجلها زمنا كافيا،أن تخلق في نفوس الجميع شعورا بالتضامن»[2].والمتأمل في هذا الطرح يجده يتقارب إلى حد ما مع نظرة ابن خلدون في تفسيره لنشوء الدولة التي تؤسس على عصبية القبيلة ورابطة الدم ثم عن طريق الغزو لتوسيع سلطتها وتأكيد قوتها،ويظهر ذلك في قول ابن خلدون:«أن نظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة والسبب في ذلك أن الملك إنما يكون بالعصبية،وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها وأهل عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا وكان ملكها أوسع لذلك»[3].ونتيجة لتطور المدنية ظهرت أنواع أخرى من الولاء مؤسسة على وحدة المذهب،وأقواها المذاهب الدينية التي كانت أشد في تماسكها من كل أنواع الولاء الذي ظهر في تاريخ البشرية يقول رسل:«لقد ظهرت قوتها الحربية لأول مرة بالإسلام في فتوحات القرنين السابع والثامن.وهي التي أعطت القوة الدافعة في الحروب الصليبية وفي الحروب الدينية،وفي القرن السادس عشر كثيرا ما رجح الولاء الروحي على الولاء الوطني»[4].ويؤكد رسل على أن تقسيم البشر إلى أعداء وأصدقاء مؤسس على قاعدتي أخلاقية التعاون وأخلاقية التنافس لكن هاتين القاعدتين نسبيتين فهما تتغيران حسب الظروف،فقد أشعر بالكره نحو شخص في فترة ما بينما اشعر بالميل نحوه في فترة أخرى،ويعبر عن ذلك:«ففي أوقات السلم نستطيع أن نقدم على كراهية جارنا،لكننا عند الخطر لابد أن نحبه.إن الناس لا يحبون،في معظم الأحيان أولئك الذين يجدونهم يجلسون إلى

[1]- رسل برتراند، السلطة والفرد،(م س)، ص ص27-28.
[2]- المصدر نفسه،ص42.
[3]- ابن خلدون، المقدمة،(م س)،ص158.
[4]- السلطة والفرد،(م س)،ص28.

جانبهم في السيارات العامة،ولكنهم يحبونهم أثناء الغارة الجوية»[1]،فعندما يشعر الناس بالخوف ينتابهم فإنهم يميلون إلى من هم في حالتهم،بالرغم من كرههم إياهم،ولذلك فنحن نشعر بالعطف والميل على كل من يتعاون معنا وبالكره نحو كل من يواجهنا وينافسنا.ففي الحرب نكره كل من يعادينا حتى وإن كان قريبا،ونتضامن مع من يقف في صفنا حتى وإن كان غريبا.إلا أن المنافسة في نظر رسل ليست كلها ضارة كما كانت و لا تزال في الحروب،بل إنها قد تكون حافزا على التقدم والتطور،كما أنها أقل ضررا في مجال العلم،و الرياضة و السياسة،ولذلك يقول:«لست أعتقد أن الكائنات العادية من الجنس البشري تستطيع أن تكون سعيدة دون وجود المنافسة،لأنها كانت منذ كان الإنسان الحافز لأهم الفعاليات.ولذلك فيجب أن لا نحاول أن نلغي المنافسة وإنما أن نراعي فقط أن لا تتخذ اتجاهات ضارة كثيرا»[2].ولضمان ولاء المواطن وإخلاصه فلابد من استعمال وسائل ضرورية لذلك أهمها:

أ- الدعاية:

إن تمكين أي سلطة من تحقيق السيطرة على المواطن يعتمد في جملته على تأثير وسائل الدعاية المتنوعة،وتكون هذه الوسائل ناجحة بقدر ما تحقق من ولع وهياج مستمر،وبقدر ما تكون السلطة بعيدة عن العقل بقدر ما تنجح في هياج الناس واستثارة عاطفتهم،فالاستثارة في السياسة تقتضي اللاعقل من أجل السيطرة على الأخر ويعبر رسل عن ذلك:«إن الناس إذا كانوا لاعقليين بدرجة كافية فقد تستطيع أن تحملهم على خدمة مصالحك وهم يتوهمون أنهم إنما يخدمون مصالحهم،وهذه الحالة منتشرة جدا في السياسة،فمعظم السياسيين يصلون إلى مراكزهم عن طريق التأثير في أعداد كبيرة من الناس بحيث يعتقدون أن هؤلاء الزعماء مدفوعون برغبات لا أثرة فيها،ومن المعروف جيدا أن مثل هذا الاعتقاد يكون قبوله أيسر تحت تأثير ألوان الإثارة»[3]،إن الإثارة العاطفية تعتمد في أساسها على الخطابة التي يعتمد فيها السياسيون على المغالطات لتضليل شعوبهم وعلى بث روح الوطنية والقومية ،مستعينين في ذلك بوسائل الإعلام والتربية...الخ.ويبين رسل أن من يهمهم التأثير على غيرهم لا يعطون أهمية كبرى للعقل بل أن الذي يهمهم هو كيف يؤثرون عليهم. ولعل من أبرز النماذج

[1]- المصدر السابق،ص30.
[2]- المصدر نفسه ،ص33.
[3]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص5.

على ذلك هو تضليل هتلر"A.Hitler"لشعبه والمدرس الذي يقسو على تلاميذه بحجة أن الغاية تبرر الوسيلة،وقد عبر رسل عن ذلك:« لما كان العقل هو تكيف الوسائل تكيفا صحيحا لتلائم الغايات،فإنه لا يمكن أن يعترض عليه إلا أولئك الذين يعتقدون أن اختيار الناس لوسائل لا تؤدي إلى تحقيق غايات أمر طيب،وهذا يعني إما أنه يجب تضليل الناس فيما يتعلق بكيفية تحقيق ما يقولون أنه رغباتهم أو أن غاياتهم يجب أن تكون غير تلك التي يقولون أنها رغباتهم.والحالة الأولى هي حالة شعب ضلله"فوهرر"زلق اللسان والثانية حالة المدرس الذي يجد متعة في تعذيب الأطفال ولكنه يعتقد بأنه رجل إنساني»[1].ويبين رسل أن اعتماد السلطة على التربية يتم من خلال تلقين الناشئين بعض القيم ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة التي أصبحت تلعب الدور الأساسي في نشر الأخبار وفي استثارة المواطنين،حيث يقول:«ونحن قادرون على أن نبقي الناشئين في المدارس لمدة أطول بكثير مما كنا نستطيع سابقا.وبسبب العلم صار بوسعنا أن نبث أخبارا بواسطة الصحافة والمذياع تصل إلى كل شخص من الوجهة العملية،وبسبب العلم نستطيع أن نجعل إفلات من لا ترغب الحكومة فيهم من قبضتها أصعب إلى حد بعيد جدا مما كان سابقا»[2].

وتلعب الدعاية في المجال الإعلامي دورا أساسيا في استثارة الناس من خلال بث الشائعات الهستيرية،التي عادة ما تزرع الكراهية في نفوس الناس،فمن السهل عليك إذا أردت أن تحشد شعبا ما يساندك ويؤازرك في حربك أو في سلمك،في افترائك أو صدقك،في كراهيتك أو حبك لغيرك،فما عليك إلا بإعداد إعلام موال لك،فحياة المجتمع الحديث أصبحت بطريقة أو بأخرى خاضعة لوسائل الإعلام،فهي قد تجعل من الشر خيرا ومن الخير شرا،قد تجعل من الحرب نعمة،حيث يلتف الشعب حول السلطة ويؤازرها،وليس أدل على ذلك ما شاهده رسل في أثناء الحرب العالمية الأولى من ابتهاج الناس بها حيث قال:«إن الكثيرين من الناس يكونون خلال زمن الحرب أسعد مما كانوا زمن السلم،شريطة أن لا تنزل بهم آلام الحرب بقسوة.إن حياة هادئة قد تكون كذلك حياة مملة»[3]،ويبين انه لا خلاص للأمم من هذه الغرائز الهدامة والرجوع إلى حياة الغاب إلا إذا كانت الحكمة حاضرة والعقل مسيطرا

[1]- المصدر السابق،ص6.
[2]- السلطة و الفرد،(م س)،،ص ص69-70.
[3]- السلطة والفرد،(م س)،ص35.

مبينا:«إنني لا يمكن أن أشك أن العقل سينتصر إن آجلا أو عاجلا على الدوافع النفسية العمياء التي تقود الأمم الآن إلى الحروب»[1]، كما أن الحرب تزيد من قوة التماسك الاجتماعي والوحدة القومية،وتسهل مهمة السلطة في إقناع الناس بالالتفاف حولها نتيجة للخطر والخوف الذي ينتابهم،وقد عبر رسل عن ذلك:« إن أسهل موفق "harmoniser" وأكثره وضوحا هو الحرب،ففي الحرب القاسية،عندما تكون سلامة الأمة في خطر،يسهل إقناع كل شخص أن يعمل بكل قوته،وإذا رأى أن الحكومة ممسكة بزمام الأمور فإنه يطيع أوامرها عن طيب خاطر...لكن الخوف من الحرب إذا استمر قويا لزمن طويل كاف فإنه من المؤكد سيؤدي إلى حرب فعلية»[2]، وقد عبر "نعوم تشومسكي"على ذلك عندما بين أن تأثير الدعاية في المواطنين قد يقلب الموازين، حيث أن ما تشنه أمريكا من حروب في العالم يعد بطولة، لكن تعرضها لأية هجمات يعد إرهابا حيث يقول:« إرهابهم ضدنا وضد من يوالينا هو الشر المطلق بينما إرهابنا ضدهم غير موجود وفي حال ما إذا وجد فهو ملائم تماما»[3]. وبالتالي يتساءل ماهو موقف أمريكا لو قتلت القوات العراقية ابن لادن في الأراضي الأمريكية ؟

وتقوم السينما بالدور الأساسي في بث روح الوطنية والشجاعة لطرف ما والذل والهوان والشر لطرف أخر،حيث تظهر بطولة الجندي الأمريكي في حربه ضد أعدائه على أنها خير،وتظهر الآخرين على أنهم أشرارا،والغريب في ذلك أنه حتى غير الأمريكيين يتعاطفون مع هذا الجندي.فالإعلام يلعب الدور الأساسي في توجيه المواطن، كما أن هذا الأخير يوجه الإعلام من خلال رغباته،ولذلك:«فإن الصحافة تكون مثل ما يتطلب الجمهور،والجمهور يتطلب صحفا رديئة،ذلك لأنه عنده تربية سيئة»[4]،والمتصفح لوسائل الإعلام العالمي المختلفة، تركز جل اهتمامها على نشر أخبار العنف والقتل وسفك الدماء،والبربرية،وكأن الجماهير تحن إلى تلك الغريزة العدوانية والحيوانية،ولعله هنا تحضرنا فكرة "سيغموند فرويد" الذي يؤكد على أن الإنسان تتقاذفه غريزيتين،هما الغريزة الجنسية(اللبيدو)، والغريزة العدوانية،فقد أصبح من المتعة مطالعة أو مشاهدة القتل والتكسير والتحطيم،ويؤكد

[1]- رسل نقلا عن آلان وود،(م س)،ص122.
[2]- المصدر الأسبق،ص ص89-90.
[3]- تشومسكي نعوم، الدول الفاشلة،تر،سامي الكعكي،دار الكتاب العربي بيروت(لبنان)،دط،2007،ص11.
[4]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص132.

رسل على أن ذلك راجع بصورة رئيسية إلى التربية حيث يقول:« إن الواقع هو أن كل أمة في تعاملها مع كل من سواها ترتكب العديد من الجرائم كما هو باستطاعة قواتها المسلحة،إن المواطنين وحتى المواطنين الصالحين،يقدمون موافقة تامة للنشاط الذي يجعل الجرائم ممكنة،لأنهم لا يعرفون ماذا يكون قد عمل أو يشاهدون الحقائق في منظار حقيقي.من أجل رغبة المواطن العادي ليصبح بدون وعي منغمسا في جريمة قتل من أجل السرقة، فإن التربية بصورة رئيسية تلام»[1].

ب- التطور العلمي والتكنولوجي:

ومن الوسائل التي زادت في سيطرة السلطة على مواطنيها التقدم العلمي والتكنولوجي ابتداء من الأسلحة المدمرة التي تخيف بها الأنظمة الاستبدادية أعداءها وحتى مواطنيها،إلى وسائل الإعلام التي تستثير العاطفة وتثبت أركان النظام،إلى التقدم في المجال البيولوجي والطبي،إنها كلها وسائل توطيد النظام،وتوسيع صلاحياته،بل إنها أعمدة السلطة في بقائها واستمرارها من جهة،وتحديد حرية الأفراد من جهة أخرى،وقد قال رسل:«إن التقنية الحديثة قد جعلت من الممكن الوصول إلى مقدار جديد من الشدة في السيطرة على الحكومة،وقد استغلت هذه الإمكانية استغلالا تاما في الحكومات الاستبدادية...إن تلك الأجزاء التي توجد فيها درجة من حرية الفرد قد تتقلص»[2].ويبين رسل أنه في ظل التقدم العلمي تفرض الدولة سيطرتها التامة ليس على الأشخاص فقط وإنما حتى على أفكارهم ولا تسمح للمبدع بنشر أفكاره أو حتى مذهبه إذا تعارض مع مصلحتها العليا.« ففي الدولة الاستبدادية لا يعدم المبدع الذي لا تروق الحكومة أفكاره وآراءه وحسب...ولكنه يمنع كليا من نشر مذهبه»[3]،كما يذهب إلى أن السلطة الحالية تستخدم العلم ليس للسيطرة على المواطن فقط وإنما حتى على العلماء،« إن من دواعي الأسى أن نرى رجال العلم كما في روسيا الحاضرة،يرغمون على أن يؤيدوا هذرا مضللا وفق مشيئة سياسيين جهلاء من الناحية العلمية يستطيعون ولا يتورعون عن فرض قراراتهم المزرية باستعمال السلطة البوليسية والاقتصادية»[4]،ويبين أن

[1]- المصدر السابق،ص132.
[2]- السلطة والفرد،(م س)،ص58.
[3]- المصدر نفسه،ص.67.
[4]- المصدر نفسه،ص132.

العلاقة بين العلم والسياسة كتلك العلاقة بين الساحر والجني،حيث يقوم الأول بتحقيق جميع مآربه بالاعتماد على الجني الذي يقوم بأعمال خارقة لا يستطيع الساحر أن يقوم بها بنفسه،وكذا بالنسبة للسياسي فإنه يستخدم العلماء لخدمة أغراضه السياسية سواء بالرضا أو الإكراه ولعل خير دليل على ذلك ما يقوم به علماء البلاط في الدفاع عن سياسة سلاطينهم وعالمنا العربي خير مثال على ذلك،حيث يظهر بعض العلماء لتبرير سلوكات سلاطينهم،وقد عبر رسل عن ذلك:«فالسياسيون في أيامنا أعظم تأثيرا بكثير مما كانوا في أي فترة سابقة في التاريخ الإنساني،وليست علاقتهم برجال العلم إلا كعلاقة الساحر بالجني الذي يطيع أوامره كما في كتاب ألف ليلة وليلة، إذ يقوم الجني بأشياء مذهلة خارقة،لا يستطيع الساحر،دون مساعدة الجني أن يفعلها أما الجني فهو يفعلها لأنها تطلب منه وحسب، وليس سبب أي دافع ذاتي وهذا هو حال علماء الذرة في أيامنا»[1].

ج- التربية الوطنية:

وتركز التربية الوطنية على إخلاص المواطن للهيئة الذي هو فرد فيها إخلاصا مطلقا لا تشوبه شائبة،ومن الواجب على كل مواطن أن يعمل حسب توجيهات وقوانين ورغبات السلطة،وهذه الأخيرة تعمل بدورها على تلقين المواطن جملة من القيم والعقائد الثابتة،التي عادة ما تلجأ فيها إلى التزييف وإظهار الدولة بمظهر الخير والغير بمظهر مشين فيقول:«فكل حزب سياسي متحمس ينسج شرنقة من الخرافة حول نفسه،تنام عقليته داخلها في سلام»[2]،كما تبث في نفوس مواطنيها أن حربها ضد أعدائها هي حرب عادلة،تحق فيها الحق وتبطل الباطل،وتؤسس للحضارة،وأن الآخرين أعداء يجب إزالتهم من الوجود،وقد عبر رسل عن ذلك بقوله:«يعلم الأولاد والبنات على أن أهم إخلاصهم الاجتماعي،يجب أن يكون للدولة التي هم مواطنون فيها،وأن واجبهم هو أن يعملوا حسب توجيهات حكومتها.وخشية أن يتساءلوا عن هذه العقيدة،فإنهم يعلمون تاريخا كاذبا،وسياسة كاذبة واقتصادا كاذبا.إنهم يخبرون عن الأعمال المشينة للدول الأجنبية،ولكن ليس عن الأعمال المشينة لدولتهم الخاصة. يقادون ليفترضوا أن جميع الحروب التي اشتركت بها دولتهم كانت حروبا دفاعية،

[1]- المصدر السابق،ص71.
[2]- في التربية،(م س)،ص194.

بينما حروب الدول الأجنبية هي حروب عدوانية»[1].ولقد دل التاريخ على أن الدول الاستعمارية قد سيطرت على الشعوب المغلوبة بحجة،أن هذه الشعوب متخلفة وقاصرة لا تستطيع أن تبني حضارة بنفسها، فهي مثل الطفل القاصر تحتاج إلى من يوجهها لكي تبلغ هدفها،ونجد ذلك في النظم الأرستقراطية التي تأبى تحرير العبيد من ربقة الذل والهوان بدافع عدم قدرة هؤلاء على مواجهة مصائب الحياة خارج دائرة أسيادهم،ولقد كان الرجال في هذه الأنظمة يعاملون المرأة معاملة القاصر الذي لا يستطيع التعبير عن رأيه في الانتخابات،وقد بينا سابقا أن"هيغل" يرى أن المرأة لا تصلح للحكم،وهذه الفكرة تتجلى بوضوح في النظام الرأسمالي حيث يعامل صاحب رأس المال العمال على هذا الأساس بأنهم سيكونون أكثر رفاهية تحت سيطرتهم،وقد عبر رسل عن ذلك بوضوح فقال:«فالأمم الامبريالية تتمسك في أن الأمم المتخلفة (أي التي لا تملك قوات مسلحة قوية) تكون أسعد مما تكون حرة تحت سيطرتها، وإلى غاية ما أصبح للنساء حق الانتخاب،كان الرجال يتمسكون بأن النساء هن أسعد في ظل حكومة من الرجال أكثر من حكم من التساوي.ورؤساء الصناعة يتمسكون بأن ذوي الدخل المحدود تحت إشرافهم الحكيم هم أكثر رفاهية مما يكونون إذا كانت الصناعة عرضة لإدارة عامة»[2].وتلعب الوطنية الدور الأساسي في التماسك الاجتماعي،من خلال غرس بعض المبادئ في الفرد كمحبة البيت و التمسك بالأسرة وارتباطه بمحيطه،وجيرانه وأرضه فمن كانت عاطفته أقوى اتجاه هذه المبادئ كانت وطنيته أقوى،وتكون أقوى عند سكان الأرياف لارتباطهم بالأرض،بينما تكون أقل شعورا واصطناعية عند سكان المدن،خاصة عند أولئك الذين يبدلون مساكنهم باستمرار،ولا يحوزون على ملكية عقارية،وقد عبر رسل عن ذلك:«إن ساكن المدن يبدل بصورة مستمرة سكنه وليس عنده قطعة أرض،بإمكانه أن يسميها ملكه،فان عنده أقل من هذا الشعور البدائي،الذي منه تنمو الوطنية مما عند ساكن الأرياف من أصحاب الأملاك أو المزارعين.إن سكان المدن عندهم بدلا عنها شعورا اصطناعيا بدرجة كبيرة»[3].

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص131.
[2]- المصدر نفسه ،ص214.
[3]- المصدر نفسه،ص130.

ثانيا- تربويا:

وليس بعيدا عن التأثير السياسي فإن التربية هي الأخرى تلعب دورا أساسيا في تكوين المواطن الصالح،فككل نظام فهي تهتم بمدى إخلاص الفرد لهيئة سواء أكانت دينية،طبقية اجتماعية،أو سياسية،ويتساءل رسل هل من الضروري أن يكون تأثير السياسة على الفرد دائما ضارا؟ويذهب إلى أن الضرر الذي يلحق التربية بواسطة السياسة ينبع من مصدرين:« إن الضرر الذي تسببه السياسة للتربية ينشأ من مصدرين هما أولا تقديم مصالح بعض الفئات على المصالح العامة،وثانيا هو الحب الشديد للمجموعة،ومن هذين الشرين فالأول هو الأكبر في الوقت الحاضر ولكن إذا تم التغلب على الأول فسيصبح الثاني أكثر شرا»[1].و تقود التربية كفاحا مريرا من أجل تحقيق ذلك،غير عابئة برفاهية المتعلم،أو فكره وذهنه، وقد عبر رسل عن ذلك:« إن التربية أصبحت جزءا من الكفاح من أجل النفوذ فيما بين الأديان والطبقات والأمم.فإن الطالب لا يعتبر من أجل خاطره الخاص ولكن كمتطوع:إن الآلة التربوية ليست مهتمة في رفاهيته،ولكن بأهداف سياسية بعيدة المدى،وليس هناك مبرر للافتراض أن الدولة سوف تضع مصالح الطفل قبل مصالحها »[2].فلقد كانت التربية عبر تاريخها الطويل،وسيلة هامة لتثبيت قواعد نظام معين أو لتهديمه،فإذا أخلص المربون إلى سلطة معينة زادت قوتها وسيطرتها على مواطنيها،وإذا ما عجزت كان العكس زوالها وفناؤها،ويظهر ذلك في قوله:«إن التربية التي من شأنها أن تجعل مواطنين صالحين لها شكلان مختلفان جدا،فهي موجهة للدعم أو الإطاحة بالنظام القائم،ومن المفترض نظرا لأهمية الدولة في التربية،إنها ستوجه تقريبا دائما لدعم نظام الدولة للوضع الراهن»[3].

ففي النظام التربوي الكلاسيكي تعتمد تربية الفرد على جملة من النظم والعادات والتقاليد سواء أكانت هذه التقاليد سليمة أو بالية،وهي التي تنتج فيما بعد المواطن، سواء أكان صالحا أو غير ذلك، فما يتلقاه الفرد من معارف في مختلف المجالات، قد يزيد وينمو ويتطور ويفيد أو ينقص ويتلاشى ويتراجع ويضر بحسب طبيعة النظام التربوي والسياسي،فإذا كانت غاية

[1] -Russell Bertrand ,Education and the Social Order Routlege classic,London and new York,1stp,2010,pp166-167.

[2]-التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص226.

[3]- Op,cit,p8.

السلطة بعيدة المدى من خلال إعداد الفرد الصالح الذي سيكون مواطنا صالحا،فإنها بلا شك سوف تهتم بجانبه المعرفي مما لا يتناقض مع إخلاصه كمواطن صالح،بل سيكون مفيدا سواء أكان مواطنا في الدولة أو مسيرا للسلطة،أما إذا كان همها الوحيد هو الحصول على إخلاص المواطن فإنها ستفتقد الفرد ولربما الفرد والمواطن معا مبينا ذلك:« إن المبادئ في التربية السارية والتي هي محصورة بثقافة الفرد،تكون في الأساس من حصيلة التقاليد،ومن المحتمل أن تتلاشى أكثر فأكثر بواسطة تربية مواطنية،فالتربية المواطنية إذا كانت حكيمة، بإمكانها الاحتفاظ بما كان الأحسن في تربية الفرد ولكن إذا كانت بأي حال قصيرة النظر فإنها ستهز الفرد كي تجعل منه أداة لينة للحكومة.إنها هامة إذن لإدراك الأخطار المطبوعة في تقاليد المواطنين عندما تضيق بالخداع»[1].

ويذهب رسل إلى أن التربية الحديثة ليست بعيدة عن مقاصد تلك القديمة،فهي تميل إلى أن تكون محافظة تحترم النظام وتعارض كل تقدم،وإن ما يتعلمه الأفراد في المدارس والجامعات ليعتبر من أخطر عوامل تكوين الفرد،حيث يربى المثقف على احترام النظام والقانون،شبيه بذلك الولاء الذي يلتزم به الجندي في ظل النظام العسكري،كما يعود ذلك إلى التبعية المادية من خلال اعتماد الجامعات والمدارس على دخل الأغنياء وأصحاب الشركات والمصانع فأي توقيف لهذا الدخل ستتوقف عجلة العلم،بالإضافة إلى الرغبة في الاستفادة من السلطة،وهذا يجعل منه جبانا غير قادر على معارضة السلطة القائمة حتى وإن كانت لا تتفق مع ميوله ولذلك يقول رسل:«إن المثقفين في كل بلد يميلون ليكونوا شرعا جبناء،وسواء من قبل دخلهم أو من انتهازيتهم ليكونوا مساندين للأغنياء.ففي كلتا الحالتين يميل علمهم للتأكيد بصورة أكثر أهمية للقانون والنظام»[2]،ولهذا يجد المثقف نفسه مكبلا بقيود مادية اقتصادية وأخرى علمية وثالثة سياسية،ويبين رسل أن التغيير يحتاج إلى الثورة على النظام ولا يمكن أن تنجح عملية الثورة إلا إذا التزمت بجملة من الخصائص أهمها:امتلاك درجة من التخيل حيث لا يمكن أن تحدث الثورة إلا إذا كان صاحبها له القدرة على تخيل أوضاع مختلفة عن تلك القائمة حاليا،وأن تكون له قوة الحكم للحاضر، بحيث يقبل الرأي والرأي المخالف دون

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،،ص18.
[2]- المصدر نفسه،ص20 .

إهمال عواطف المظلومين من النظام السائد،وقد عبر عن ذلك:«إن المدافع عن التحول عليه أن يكون على العكس عنده درجة معينة من التخيل،وذلك ليكون قادرا لتخيل أي شيء مختلف عما هو ساري،ويجب أن يكون أيضا عنده قوة الحكم للحاضر من وجهة نظر للقيم،ومنذ ذاك ليس بإمكانه أن يكون غير مدرك على أن الوضع الراهن له المدافعون عنه،وأن يدرك أن هناك على أقل تعديل وجهة نظر هي ممكنة للكائنات البشرية،إضافة أنها ليست ملزمة لإقفال عواطفها ضد ضحايا الظلم السائد»[1]،ومنه فإن العداء للوضع الراهن ينبع من مصدرين هما: التعاطف مع التعساء أو الحقد على المحظوظين،ويذهب إلى أن معظم الثوريين غير مهتمين بسعادة الشعوب وإنما بالانتقام الذي يلحقونه بمن هم متمسكون بالسلطة،معبرا عن ذلك:«إن الكثيرين من الثوريين في أحلامهم اليومية ليسوا مهتمين لدرجة بالسعادة التي تأتي لعامة الشعب كما هو بالنسبة للانتقام الذي سيكونون قادرين على إنزاله بالسفهاء المتمسكين بالسلطة والذين يعانون منهم في الحاضر»[2]. وفي هذه الحالة لا تكون الثورة حلا لمشكلات الشعوب بل إنها تنم عن تلك الحيوانية الكامنة في الإنسان والتي قد لطفتها الحضارة والوعي والثقافة،إنها قد تكون أكثر استبدادية من النظم التي كانت قائمة قبلها،وإن خير مثال يمكن أن يصدق على هذا الرأي هو تلك الثورات التي تسمى بالربيع العربي التي جاءت كانتقام للنظم القائمة فما كان منها إلا أن تكون نتيجتها الفوضى والاستبداد والرجوع إلى الحيوانية من خلال الصراع والقتال بين الطوائف والجماعات،وذلك هو حال الصراع في ليبيا حاليا.ثم إن الانتقام ستكون له أثار سيئة من الناحية السيكولوجية ليس على مستوى الفرد فحسب ولكن على مستوى الجماعات وما سبب اندلاع الحرب العالمية الثانية إلا نتيجة الحرب العالمية الأولى ونتيجة العقوبة التي سلطها المنتصرون على الشعب الألماني فيقول رسل:«فبعد الحرب العالمية الأولى قال المنتصرون للألمان أنهم المذنبون الوحيدون في هذه الحرب.بل إنهم أرغموهم على توقيع وثيقة يتظاهرون فيها بالاعتراف بأنهم المذنبون الوحيدون وبعد الحرب العالمية الثانية اصدر مونتجمري"Montgomery"إعلانا يطلب فيه من الألمان أن يوضحوا لأطفالهم أن الجنود البريطانيين لم يستطيعوا أن يقابلوهم بوجه باش لأن آباءهم

[1]- المصدر السابق،ص21.
[2]- المصدر نفسه،ص21.

وأمهاتهم أشرار»[1]. إن هذا الشعور بالكراهية نحو الأخر سيؤدي بالضرورة إلى كوارث في المستقبل إذا لم يوضع لها حدودا.فالكراهية والقسوة لا تؤدي إلا إلى قسوة أشد منها، وبدلا منها كان من الأفضل استعمال الرحمة مع الشعب الألماني وهذا ما يذهب إليه رسل:« إن نظريتنا الأخلاقية تبرر استنكار القسوة باعتبارها شيئا بشعا دون أن تبرر التطرف الذي يؤدي إليه هذا الاستنكار في كثير من الأحيان»[2]،كما يؤكد على أنه يجب إعطاء قيمة للفرد لأن الأخلاق تقر ذلك حيث يقول:« فالفرد له قيمته الذاتية الخاصة به،وخير الأفراد يسهمون بنصيب،لم يطلب منهم في الخير العام،بل إن عملهم كثيرا ما يكون موضع مقاومة من بقية القطيع.ومن ثم فإن جزءا أساسيا من دعم الخير العام يتكون من السماح للأفراد بشيء من الحريات التي ليس واضحا أنها تضر الآخرين»[3]،إن التغيير أو الثورة يجب أن يكون في هدوء مؤسسا على فكر وعلى مبادئ ثابتة، كما يجب أن يكون له ما يبرره ويبين رسل أن أعظم ثورتين هما الثورة الأمريكية 1866والانجليزية1688 لأنهما قامتا على النظام والوعي ولعل ذلك ما جعله يقول:«أظن أنه يجب التسليم أيضا بأن هناك حالات تكون فيها الثورة لها ما يبررها.هناك حالات تبلغ فيها الحكومة الشرعية من الفساد ما تستحق معه عناء إسقاطها بالقوة،على الرغم من خطر الفوضى الذي يستلزم ذلك،وهذا الخطر حقيقي تماما.أن أكثر الثورات نجاحا...قد قام بها رجال مشربين تشربا عميقا باحترام القانون،وحيث ينعدم هذا فإن الثورة تكون معرضة لأن تؤدي إما إلى الفوضى أو إلى الديكتاتورية»[4]،وتدعو الشريعة الإسلامية إلى التغيير بالحسنى،قال تعالى:(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين)[5]،وقد خاطب النبي عليه الصلاة والسلام خصومه يوم فتح مكة اذهبوا فأنتم الطلقاء، وليس على الانتقام.

ويلعب المجتمع الدور الأساسي في التأثير على الفرد،سواء في عهد الطفولة،أو حتى في سن الرشد،كما تلعب المدرسة دورا خاصا في تكوين طباع الرجال البارزين،فالمجتمع الذي

[1]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،،(م س)،ص87.
[2]-المصدر نفسه،ص114.
[3]- المصدر نفسه،ص114.
[4]- الفرد والسلطة،(م س)،ص134.
[5]- سورة النحل، الآية 125.

تتقارب عاداته تكون طباعه واحدة،وينسجم الفرد فيه مع جماعته،أما الفرد الذي يرفض الاندماج في المجموعة فإنه يجد مقاومة من المجتمع، بل إنه يكون محل رفض من الجماعة،وكمثال على ذلك الطفل الدخيل على مجموعة من التلاميذ إذا كان سلوكه عاديا اندمج مع المجموعة في سلوكاتها وتفكيرها ونوع عملها وبالتالي يعتبر صديقا لها ويقبل كفرد منها،أما إن كان مخالفا للمجموعة، فإنه سيكون إما قائدا لها من خلال تأثيره على أفرادها، أو يكون منبوذا،وقد عبر رسل عن ذلك:«كل ولد جديد في المدرسة عليه أن يرضخ لفترة معينة يعتبر أثناءها باشتباه غير صديق من قبل أولئك الذين يكونون تماما متآلفين في جمع المدرسة.فإذا لم يكن الولد بأي طريقة غريبا،فإنه يقبل حاضرا كفرد في الفئة ويصبح يفعل كما يفعل الآخرون،ويشعركما يشعرون،ويفكر كما يفكرون.فإذا كان من الجهة الثانية،غير عادي،يمكن أن يحدث واحد من شيئين،أن يصبح قائد الفئة،أو أن يبقى غريبا معاقبا»[1]، وهنا يبين رسل دور القسر الاجتماعي في سلوك الفرد سواء أكان خاضعا أو متحررا،وبالتالي فإن سلوك الرجل العادي في النظام الاجتماعي يشبه سلوك التلميذ في المدرسة،بل على العكس فإن ما تعلمه في المدرسة يوجه سلوكه العام في كبره،فإن كان قائدا يفرض سلطته على أقرانه في صغره، فإنه سيمارسها بذكاء في كبره، وإن كان غير ذلك تابعا في صغره فإنه سيكون كذلك في كبره.

ولكن ما هي الوسائل التربوية لإعداد المواطن الصالح أو الفرد الحر؟

1- التربية بين السلطة والتسلط:

تعتمد النظم التربوية في إعدادها للمواطن الصالح على جملة من الطرق والأساليب في تأديب الطفل أو مواطن المستقبل،وقد كان التأديب يعتمد على طرق قاسية حيث كان يؤمر الطفل بالقيام بأمور سواء رغب فيها أم كرهها وإذا عصى ذلك يسلط عليه العقاب فقد كان العقاب من الوسائل الضرورية في عملية التربية، ويعبر رسل عن ذلك:« كانت فكرة التأديب القديمة بسيطة، كان الطفل أو الصبي يؤمر بتأدية شيء يكرهه أو بالامتناع عن شيء يحبه،

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص84.

فإذا عصى عوقب في بدنه أو كان في الأحوال الخطيرة يحبس وحيدا على الخبز والماء»[1]، ويبين أن فكرة العقاب بالرغم مما تحتويه من مساوئ إلا أنه لا يمكن تجاهل دورها التربوي، وقد عبر عن ذلك :« إني شخصيا اعتقد أن للعقاب مكانا معينا ثانويا جدا في التربية، لكني أشك في هل من حاجة قط إلى الشدة فيه»[2]. ويؤكد على أن طرق التربية الحديثة لم تستغني البتة عن التأديب في التربية حتى وإن كانت تختلف عن تلك الطرق القديمة مبينا ذلك في الطريقة التربوية المنتسورية:« لقد كنت دائما أعتقد أن"مدام منتسوري*" استغنت عن التأديب،وكنت أعجب في نفسي كيف تسيطر على ملء غرفة من الأطفال،ولكني عندما طالعت ما كتبته هي بنفسها عن طريقتها تبينت أن التأديب لا يزال ذا مكانة عندها،وأنها لم تحاول الاستغناء عنه»[3]،فالعقاب يقوم سلوك الطفل وينظمه،ويضبطه حتى يكون مستقيما،وقد تبين رسل ذلك عندما بعث بابنه إلى إحدى المدارس المنتسورية بأن ابنه أصبح أكثر تأدبا من ذي قبل وقد عبر عن ذلك:« وعندما بعثت بابني الصغير الذي عمره ثلاث سنوات ليقضي نهارا كاملا في مدرسة من المدارس المنتسورية لم البث أن وجدته قد صار بسرعة أكثر تأدبا من قبل،وأنه كان ينصاع في قبطة للقواعد المدرسية دون أقل شعور منه بقسر،كانت القواعد المدرسية عنده كقواعد اللعب تطاع كوسيلة للاستمتاع»[4]،ويبين أن طريقة هذا المنهج تعتمد على فحص الطفل عند الطبيب وإذا تبين أنه طبيعي وأنه يضايق غيره من الأطفال ولا يلتزم بالنصائح فإنه يعزل في ركن من الحجرة مقابل زملائه مع الاغتناء به،وقد كان هذا العزل يفلح في إصلاحه من خلال إدراكه بأنه فرد في المجموعة،وقد مارس رسل نفسه طريقة العقاب عندما أسس مدرسة خاصة،تتأسس على الحرية المطلقة لكنه سرعان ما اكتشف أنه لامناص من تسليط بعض العقوبات على المخالفين أو المعتدين على غيرهم من اجل إصلاحهم.

ويركز رسل على نوعين من السلوك التربوي لجعل الطفل يقوم بسلوكات معينة وهما المدح والذم،فبواسطة هذين العاملين بإمكاننا أن نجعل من الجبان شجاعا أو العكس،كما يمكن

[1]- في التربية،(م س)،ص29.
[2]- المصدر نفسه،ص119.
*-ماريا منتسوري(Maria Montessori) مربية وفيلسوفة وطبيبة وعالمة ايطالية.
[3]- في التربية،(م س)،ص30.
[4]- المصدر نفسه،ص30.

تعليم الطفل عدم المبالاة بالألم،وهاتين الوسيلتين لا تقتصر على سن الطفولة وإنما يمكن أن تصدق حتى عند الراشدين،فما يتعلمه الطفل بالمدح أو الذم في البيت أو المدرسة يمكن أن يتعلمه الراشد في المؤسسات الاجتماعية، فقد نجعل من العامل مواطنا مجدا ومتقنا لعمله ومحبا لوطنه من خلال تشجيعه ومدحه وتكريمه والاهتمام به،وقد نجعل منه مواطنا كسولا غير ذي فائدة من خلال ذمه وإهانته وعدم الاهتمام به،فالتربية عنده لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الثناء واللوم ويمكن تلمس ذلك في قوله:« وبهذا الأسلوب بإمكان الأولاد الذين هم طبيعيا جبناء الحصول على شجاعة صحيحة.والأطفال الذين هم حساسون للألم بإمكانهم أن يتعلموا عدم المبالاة.وإذا لم يفرض السلوك الجيد مبكرا،بالإمكان تعلمه في سن الرشد بوسائل قصاص ليست أسوأ من دفع حاجب العين»[1]،وفي هذا الإطار يذهب"علي أسعد وطفة"على أن المربي في ممارسته لسلطته يتبع نوعين من وسائل ضبط السلوك هما العنف والمثيرات المحببة،معبرا عن ذلك:«يستخدم المربي نوعين من أساليب ضبط السلوك.ويعتمد الأسلوب الأول على العنف كالعقوبة الجسدية أو التعزيز أو التشهير،كما قد يلجأ إلى الحرمان البيولوجي والنفسي،بينما يعتمد الأسلوب الثاني على استخدام مثيرات محببة كالتعزيز بأشكاله المختلفة»[2]،وفي هذا الإطار تركز التربية الإسلامية على نوعين من ضبط السلوك هما الترغيب والترهيب. ويؤكد رسل على أنه يجب أولا تجنب المقارنة أثناء اللوم والثناء،بحيث لا يجب أن يقارن بغيره لأن ذلك يولد الكراهية،وثانيا ينبغي استخدام اللوم أقل من الثناء لأنه عقوبة موجهة لإصلاح سلوك منحرف ولا يجب أن تستمر بعد أن تحدث أثرها، وثالثا يكون الثناء على الأعمال الشجاعة وليست الأعمال العادية،و يوجه رسل النصح إلى المربي بأن لا يتغافل عن بعض العقوبات بالمثل حتى نوقض في الطفل المشاعر مع تبيان سبب العقاب على ذلك فيقول:«وإذا فعل شيئا فيه قليل من الغلظة إلى طفل صغير،فأفعل نفس الشيء إليه في الحال،فسيحتج وعندئذ تستطيع أن تبين له أنه إذا شاء ألا يفعل هذا به وجب ألا يفعله بغيره،وبهذه الطريقة ينتبه بقوة إلى أن لغيره مشاعر كمشاعره»[3].إن هذه السلطة التي يجب ممارستها على الطفل مشروعة ما دامت مبررة تحميه

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص54.
[2]- علي أسعد وطفة ،بين السلطة والتسلط،مجلة الفكر السياسي،(م س)،ص142.
[3]-في التربية،(م س)،ص124.

بأن يتعرض هو نفسه للقسوة التي سلطها هو على غيره،إن هذه العقوبة ستحميه في المستقبل بأن لا يتسلط على غيره،لأنه سيتعرض هو لنفس التسلط لو انقلبت الأمور.ويذهب رسل إلى استهجان العقوبة البدنية سواء أكانت خفيفة أو شديدة لأنه حسبه:«العقوبة البدنية في اعتقادي لا تكون أبدا صوابا،فالخفيف منها يحدث قليلا من الضرر من غير أن ينفع،واني مقتنع بأن الشديد منها يولد القسوة والوحشية»[1]،إلا أنه لا ضرر من توقيع بعض العقوبات كدرس للطفل الذي سيكون في المستقبل صاحب سلطة حتى لا يكون مستبدا وقاسيا وهو يعبر عن ذلك:«إن توقيع العقوبة البدنية لتوطيد السلطة قد يكون محمودا وهو درس له ضرره وخطره، لاسيما إذا علمناه أولئك الذين ينتظر أن يتبوؤوا مراكز ذات سلطان،وهو يهدم علاقة الثقة الصريحة التي ينبغي أن توجد بين الوالدين والأطفال وكذا بين المعلمين والمتعلمين»[2] .

كثيرا ما يمارس المربي نوعا من التسلط على الطفل فيرغمه على القيام ببعض الأشياء والتي أغلبها تكون في صالح الطفل إلا أن نتيجة ذلك عادة ما تكون عكسية، فالمكره على سلوك ما عادة ما يتظاهر بالقيام به،لكنه يكن له أشد الكراهية في باطنه لا لشيء إلا لأنه أرغم عليه حتى يسعد غيره، حتى وإن كان في أكله وشربه، وقد عبر رسل عن ذلك:«إن الأطفال الذين يرغمون ليأكلوا يحصلون على كراهية للطعام، والأطفال الذين يرغمون ليتعلموا يحصلون على كراهية للعلم. وعندما يفكرون فإنهم لا يفكرون تلقائيا في الذي يركضون فيه أو يقفزون أو يصرخون له. إنهم يفكرون بوجهة نظر لإسعاد بعض الراشدين»[3]،إن استخدام التسلط في التربية يؤدي إلى الإكراه والبغض والظلم،وسيكون الإخلاص اصطناعي،وستكون شخصيته غير قادرة على مواجهة مصائب الحياة« فالطفل الذي يرغم بأي وسيلة بالقوة يتظاهر بالإذعان في كراهية،وإذا كان كالعادة غير قادر ليعطي مخرجا حرا لكراهيته فإنها تكمن داخليا.ومن المحتمل أن تنغمس في عدم الإدراك مع جميع أنواع العواقب الغريبة،خلال فترة باقي حياته»[4]،إن الكراهية التي يشعر بها الطفل في الصغر من خلال إرغامه على بعض السلوكات سيكون لها الأثر البالغ في سن

[1]- المصدر السابق، ص125.
[2]- المصدر نفسه،ص125.
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص ص32-33.
[4]- المصدر نفسه،ص32.

الرشد،فالكراهية اتجاه الوالد ستتحول بالضرورة إلى كراهية الدولة،وعوضا أن يكون مواطنا صالحا سيكون مواطنا مجبرا على إتباع أوامر السلطة مع الكره الباطني لها وإنه ليتحين الفرصة للإفلات من هذه الأوامر والتي عادة ما تكون عن طريق الثورة على النظام القائم فيقول:«فالأب كهدف للكراهية يمكن أن تحل مكانه الدولة،أو الكنيسة أو أمة غريبة،وهكذا تقود الإنسان ليكون مضطربا أو عسكريا كما يمكن أن يكون الحال.أو كراهية السلطات ثانية التي تضغط على الطفل،يمكن أن تتحول إلى رغبة تسبب ضغطا فيما بعد على الجيل الثاني،أو من المحتمل أن يكون هناك مجرد ظلم عام حيث يصبح السرور الاجتماعي والعلاقات الشخصية غير ممكنة»[1]،وعليه فإن التربية عن طريق الإرغام تقضي على ذكاء الطفل واهتمامه ورغباته،وتقضي على كل رغبة في المعرفة«والأطفال الذين يتعلمون الآداب أو الرسم أو الموسيقى لدرجة زائدة،أو مع وجهة نظر الإصلاح أكثر مما تكون لتعبير نفسي،فإنهم يصبحون بصورة متفوقة اقل اهتماما في تذوق جانب جمال الحياة،حتى اهتمام الولد في الاختراعات الميكانيكية يمكن أن يقتل من خلال التعليمات الشديدة جدا»[2]،فالطفل يفعل دائما بعكس الأمر الذي يوجه له« فإذا كنت تعلم ولدا قواعد الضغط العام في وقت الدرس، فإنه يحاول أن يتجنب الحصول على العلم الذي تحاول أن تشرحه، في حين أنه إذا كان عندك ضاغطة في الساحة الخلفية ومنعته أن يمسها، فإنه سيصرف كل فراغه ليدرسها»[3].

وعليه يمكن أن نتساءل هل الإرغام والإكراه يكون دائما ضارا؟ وهل تقتضي الحرية أن نطلق العنان للطفل دون قيد أو شرط؟

2- الحرية وسلطة الإشراف:

إنه في الكثير من الأحيان يحتاج الطفل إلى نوع من الإشراف وإلى التوجيه والإرشاد التربوي،وكمثال على ذلك النظافة حيث أن الطفل لا يقوم بذلك إلا بعد أن يجبر على الامتثال صباحا مساءا،ولو ترك بدون رقابة أو توجيه فإنه سيظل قذرا، ولذلك وجب في مثل هذه

[1]- المصدر السابق،ص32.
[2]- المصدر نفسه،ص33.
[3]- المصدر نفسه،ص33.

الحالات تحديد حرية الفرد وإرغامه على القيام ببعض السلوكات، وقد عبر رسل عن ذلك:« فيجب إن نعلم أطفالنا عادات معينة، سوف لا يحصلون عليها بأنفسهم. ففي أمر النظافة والتعقيم إذن تشمل التربية العادية درجة بالغة من تحديد الحرية حيث أن بعض الحدود تكون ضرورية لصالح الصحة»[1]،وتحتاج فضيلة الإتقان إلى نوع من الإرغام والإكراه،فالإنسان لا يمكن أن يتعلم إتقان عمل ما إلا بالتوجيه والمران وعادة ما يكره على ذلك، فهو يحتاج إلى التعاون الاجتماعي فيقول:« لكن عادات الإتقان من الصعب تعليمها في محيط حر،فإنها لا يمكن أن تكون موجودة في إنسان يسمح لطباعه أن تطغى عليه. ولهذا السبب لربما يكونون غير مقترنين مع أعلى أطوار الجهد»[2]،ولعله حسب رسل أن99% من الجنس البشري يحتاج إلى النظام من أجل المحافظة على الوقت لأنه لا يمكن ذلك في ظل الحرية.ومن الأدلة التي تثبت دور الإشراف، هو احترام ملكية الآخرين، بحيث أن الإنسان لا يمكن أن يحترم غيره إلا في ظل قانون يلزمه احترام الأخر«إن احتراما كاملا لملكية الآخرين تكون بصعوبة وليس بواسطة خلق وضع إلزامي،وتحت نفوذ الإحراج تكون فرصة الاكتشاف دائما،تظهر اقل مما تكون»[3]. ومما يؤكد دور السلطة في التربية هو أن الطفل كثيرا ما يلتبس عليه الأمر في اختياره لمهنة معينة أو توجهه في دراسته ولذلك فهو يحتاج إلى من هو أكبر منه ليرشده ويوجهه فيقول:«إن الأطفال يجدون أنفسهم متعبين ومنهكين حين يكون عليهم اختيار مهنتهم الخاصة في جميع الأوقات المستغربة،وأنهم في كثير من الأوقات لا تكون البديهة لهم،وأن اختيارهم يجب أن يحصر ضمن إطار العمل المفروض من قبل الراشدين من الأصدقاء»[4].ثم إن الإشراف التربوي ضروري لتنظيم العلاقات الاجتماعية والحد من طغيان الكبار على الصغار أو المقتدر على الضعيف،فالمجتمع الخالي من السلطة يستبد قويهم بضعيفهم وكبيرهم بصغيرهم، ويؤكد رسل ذلك:« لقد وجدت يوما في المدرسة ولدا من حجم متوسط يسيء معاملة ولد أصغر منه. واستجوبته ولكنه قال:"الأكبر يضربني،وهكذا أنا أضرب الأطفال وهذا عدل" ففي هذه الكلمات مثال لتاريخ العنصر البشري»[5]،إن هذا المثل لا ينطبق على عالم الصغار فقط بل إنه يصدق حتى في عالم الكبار،فحين تغيب السلطة، ينصب كل

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص35.
[2]- المصدر نفسه،ص36.
[3]- المصدر نفسه،ص38.
[4]- المصدر نفسه،ص ص 38-39.
[5] - المصدر نفسه،ص32.

واحد نفسه سلطان على الآخرين بما أعطي من مقدرة عليهم فيستبد بهم ويستخدمهم لتحقيق أغراضه، بل إنه يطغى ويتكبر ويمارس التسلط عليهم، حيث يغيب الحوار ويزداد الاستبداد ويكثر العنف، فهي ضرورية لحماية الفرد من نفسه ومن الآخرين ويعبر عن ذلك "أرشمبولت "Archambeault" بقوله:« أنه بدون سلطة لا يمكن أن يوجد أمن ولا سلم ولا حماية سواء للأشخاص أو ممتلكات المواطنين،ولا عدالة، هناك حيث يفعل الناس كل ما يريدون،هناك حيث لا يوجد سيد،فكل الناس سادة،وعندما يكون كل الناس سادة فكل الناس عبيد»[1]،إن غياب القانون والنظام يؤدي إلى الفوضى، فالطريق غير المنظم بإشارات المرور أو الشرطي سيكون أكثر فوضى ولا يعرف فيه صاحب الحق من غيره بما أن كل واحد يدعي أن الحق له، لكن بوجود النظام يلتزم كل واحد بحقه طبقا لهذا النظام وبهذا يمكن أن تستمر الحياة والتعاون الاجتماعي.ولنتصور عالما خاليا من الإرغام إنه بلا شك ستتأخر فيه رغبات الشخص أو تفشل،ففي عالم الإرغام يحتمل أن يتهرب الطفل الموهوب من الفشل الصادر عن الجهل،ولكنه لن تكون هناك فكرة للفشل في غيابه،وسيزداد الجهل عبر الأجيال« من المحتمل أن أي طفل موهوب سوف يرغب في التهرب من فكرة الفشل التي تكون صادرة عن الجهل.ولكن في عالم يتهرب به الأطفال من الإرغام،سوف لا يكون هناك مناسبة لفكرة الفشل هذه.وكل جيل سيكون نوعا ما أكثر جهلا من أسلافه»[2]،وكمثال على ذلك أنه لا يمكن معرفة جدول الضرب إلا عندما نرغم على ذلك.وعليه يمكن أن نتساءل ألا يمكن أن نستبدل الإرغام بالإقناع؟ إن بناء المجتمع الحضاري يحتاج في الكثير من الأحيان إلى أن نستبدل الإقناع بالإرغام وإلا فلن تكتسب معرفة ولا مهارة،ولا علم ولا صناعة،إن وجود السلطة ضروري للمحافظة على مكتسبات الإنسان وتطوير الحضارة.

إن علاقة المربي بالناشئ ليست علاقة إكراه وإرغام فقط بل إن العلاقة هي علاقة محبة، خاصة بين الوالدين وأبنائهم، فالمحبة الوالدية غريزة لا تحتاج إلى تعلم، لكنه كثيرا ما يفرط الوالدان في التربية، سواء من حيث التساهل أو الشدة، فكلاهما تعتبر خطرا على مستقبل الطفل، فالتربية التي بها نوع من الدلال تكون سيئة حيث لا يعتمد فيها الفرد على نفسه حتى

[1] -Archambeault éveque de joliette,l'autorité sociale,imp de l'action socialeltée ,québec (canada), 1909,p9.
[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص41.

في أكله وشربه لأن هناك من يهتم به ويرعاه، وإن حدث وإن رفضت طلباته في كبره فإن الدنيا ستكون جحيما لا يطاق، ثم إن الاهتمام الزائد بالطفل يعلمه الاحتيال والخداع والمكر ونجد ذلك حتى عند الرضع«إن الرضع أمكر كثيرا مما يظن الكبار،فإذا وجدوا أن البكاء يأتي بنتائج تريحهم فسيبكون، وإذا حدث في المستقبل أن تعودوا التشكي وجلب ذلك عليهم الكراهية بدلا من التدليل شعروا بالدهشة والسخط وبدت الدنيا لهم معرضة جافية»[1]. وإذا لم يتبع المربي طرق صائبة فسيكون الطفل جائرا متسلطا أو مغناجا ضعيفا، ولذلك ينصح رسل المربي أن يقيم الوزن بين الإهمال والتدليل بداية من تربية الرضيع« إذا لجأ إلى العويل لغير سبب محسوس لنتركه لعويله،وإلا فسيتحول بسرعة إلى حاكم بأمره، وينبغي عندما نعنى به ألا نبدي اهتماما زائدا، بل نعمل كل ماهو ضروري من غير إفراط في التعبير عن عطفنا»[2]،وفي هذا يتفق رسل مع روسو في موقفه من تدليل الطفل حيث ذكرنا سابقا أن الطفل الذي يطلب وتلبى طلباته لن يتوقف أبدا عنها وإذا لم توفر له فإنه سيشعر بخيبة أمل، ولذلك يؤكد رسل على انه على الوالدين أن لا يكترثا بما قد يشعر به الطفل من الآلام.وذلك بالاعتماد على قاعدة:« شجع أنواع النشاط الذاتي في الطفل لكن ثبط مطالبه من الغير.وحذار أن يبصر الطفل كم تعمل من أجله و كم من العناء تتحمل.دعه كلما أمكن يتذوق فرح النجاح يحرزه بجهوده الشخصية،لا النجاح يغتصبه بالتحكم في الكبار»[3]،فالاعتماد على النفس يعطي لذة للحياة،ويشعر الفرد بقيمة ما يصنعه ويحترم غيره وما ينتجه.

ومن ناحية ثانية فإن الاهتمام الزائد بالطفل يكبله،حيث يجعله مرتبطا دائما بالراشد، فإنه يفكر بتفكيره ويسلك وفق سلوكه،وتكون النتيجة أن الطفل يسلم بكل ما يأخذه عن الكبار تسليما صادقا بحيث يكون خاضعا خضوعا تاما وكأنه في عبودية فيقول:«ومن السهل أن يصبح الكبير الدائم الاتصال بطفل مستحوذا عليه في حياته استحواذا يجعله من ناحية العقل عبدا له حتى في كبره. والعبودية قد تكون فكرية أو عاطفية أو هما معا،ومن الأمثلة الجيدة للنوع الأول "جون استوارت ميل" الذي لم يكن يستطيع حتى عند الإحراج أن يطوع لنفسه

[1]- في التربية،(م س)،ص67.
[2]- المصدرنفسه،ص68.
[3]- المصدر نفسه،ص69.

التسليم بأن من الممكن أن يكون والده على خطأ»[1]،إن هذا التأثير الخطير على الأبناء سيكون خطرا على مستقبل الحضارة،لأنه من العيوب التربوية إن نلزم جيلا ما بالالتزام بأفكار جيل قد مضى، ونكون بالتالي قد حكمنا على أنفسنا بالتقهقر والجمود، وما علينا إذا أردنا التقدم إلا أن نجنب التربية ذلك.

ثالثا:عقائديا.

تمارس العقيدة سلطة قوية في تأثيرها على الأفراد والجماعات،بل إن سلطتها تكون أكبر من السلطة السياسية،باعتبار أنها تمارس سلطة تربوية وسياسية ودينية،إلا أن العقيدة ليست مرتبطة دائما بالدين وإنما هي الإيمان بفكرة ما دون الشك فيها،فالمسيحية عقيدة عند من يؤمنون بها والماركسية عقيدة عند أنصارها،وقد عرف رسل الإيمان«بأنه اعتقاد راسخ في شيء لا يقوم عليه دليل، فنحن لا نتحدث عن الإيمان عندما يكون هناك دليل...ولا نتحدث عن الإيمان إلا عندما نريد أن تحل العاطفة محل الدليل»[2]،فالإيمان بفكرة ما تجعل منها دائما صحيحة،وأن الأفكار المخالفة لها خاطئة،كما تحاول أن تكون لنفسها سورا من الأنصار يحمونها ويدافعون عنها ضد خصومها،ويؤكد رسل بما أنه لا يمكن الدفاع عن العقيدة بالوسائل العقلية فإن أصحابها يدافعون عنها بواسطة الدعاية والحرب.«فإذا كنت تعتقد أنه من الأهمية القصوى أن يصدق الناس شيئا لا يمكن الدفاع عنه عقليا... وعندما تسيطر أنت على الحكومة تغرس هذا الشيء في عقول الأطفال غير المكتملة عن طريق التعليم، وتحرق أو تحرم الكتب التي تعلم شيئا مناقضا،وستنشئ إذا كنت قويا إلى درجة كافية،قوات مسلحة بقصد الغزو لفرض رأيك حيثما لا تكون مسيطرا على الحكم.وكل ذلك نتيجة حتمية لأي إيمان يعتنقه المرء بشدة»[3].ومن أكبر المعتقدات التي تؤثر على سلوك الإفراد،المعتقدات الدينية،بما تحمله من تعالي وقداسة ذاتية، ويعتبر الاعتقاد الديني قديما قدم الإنسان ذاته، بل إن حياة الإنسان لا يمكن أن تخلو من التأثيرات الدينية،فقد كان المعتقد هو محل الرضا والسرور،والمدح والاستهجان، ويبين رسل أن الاعتقاد الديني قد تناقص عبر التاريخ، حيث كانت العقوبة قديما لا تسلط على صاحب الخطيئة فقط وإنما على كل أفراد العشيرة

[1]- المصدر السابق،ص ص 135-136.
[2]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص191.
[3]- المصدر نفسه،ص ص191-192.

«إن الدين كما هو في العادة مصدر الإحساس بالواجب الاجتماعي، فعندما يسيء شخص ما للآلهة فإن العقاب لا يسلط على الفرد المذنب فقط وإنما على كافة القبيلة،ونتيجة لذلك فإن سلوكه مدعاة للقلق العام»[1]،ومن جهة أخرى فإن قيمة الإنسان لا يمكن تلمسها إلا من خلال الدين،حيث أصبح للإنسان هدف يسعى من اجله،فهو مصدر للخير«ويجب الاعتراف أن الدين هو الذي أعطاهم السمو،فإذا كانت أي أخلاق أحسن من لاشيء، فالدين كان إذا قوة للخير»[2]،وقد كان للدين دورا عظيما في التأثير على مجريات الحياة،ولا يزال يشرف على المؤسسات العامة والمهمة أعظمها مؤسسة الدولة،واخصها المؤسسة التربوية،حيث لا يمكن للمدرسة أن تعلم إلا تلك الديانة التي تؤمن بها السلطة السياسية،و يهتم الآباء بتربية أبنائهم تربية دينية تتفق مع معتقد الدولة حتى وإن لم يكونوا أصحاب دين،«وفي التربية،أكثر من أي مكان أخر،فإن المؤسسات الدينية في الوقت الحاضر،في انجلترا وفي جميع المدارس العامة،وتقريبا جميع المدارس التحضيرية الإنجيلية أو الرومانية الكاثوليكية،وفي بعض الأحيان من قبل الآباء ذوي الأفكار الحرة،فإنهم يرسلون أطفالهم إلى هذه المدارس،فمعظم الناس يفعلون ضد تربيتهم»[3]،وعليه يؤكد رسل أن الدين يلعب دورا أساسيا في تربية الناشئ واستقامته حتى عند أولئك الذين هم ضد الدين،و هنا يقف الفيلسوف التحليلي مع الموقف البراغماتي،ويبين أنه ما دام الدين مفيدا في تقويم سلوك الأفراد فإنه يعتبر نافعا،فيقول:« ليس بإمكاني أخذ وجهة نظر السياسي التي حتى إذا لم يكن هناك إله،فإنه من المرغوب أن يفكر اغلب الناس أن هناك إله،منذ كان الاعتقاد يشجع على سلوك الفضيلة»[4]،ولكن ماهي الوسائل التي تعتمد عليها العقيدة في ذلك؟وماهي مخاطر ذلك؟هناك وسائل عديدة تستطيع بها العقيدة أن تسود،وأن توجد مواطنين صالحين أهمها:

1- الدعاية الدينية:

وتلعب فكرة الاعتقاد الدور الأساسي في بث الكراهية والتعصب فيما بين المذاهب والديانات والشعوب،حيث يبين كل معتقد أنه على حق وأن غيره على الباطل،ولعل ما يغذي

[1] -Russell Bertrand, Education and the Social Order Routlege classic,London and new York, 1stp, 2010, p70.

[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص96.

[3]-Op,cit,p72.

[4]- المصدر الاسبق،ص100.

الحرب وينميها عبر تاريخها هو ما يحمله الناس من معتقدات راسخة في كراهية الأخر، ويصرح قائلا:«إذ أن ما يجعل المذهب فعالا في الحرب هو الجانب السلبي منه،أي كراهيته لمن لا يعتنقونه.وبدون هذه الكراهية لا تفيد المذهبية في القتال،ولكن بمجرد أن يستعمل المذهب كسلاح في الحرب تحتل كراهية من لا يؤمنون به مركز الصدارة. ومن ثم فعندما يتصارع مذهبان يكون الجانب السيئ في كل منهما هو الذي ينمو»[1]،إن الصراع في كل عصر ومصر قائم على هذه الكراهية، ويرى رسل أن الكثيرين يعتقدون أن النصر في الحرب يعود إلى شدة التعصب،أي أنه كلما كان هناك تعصبا أقوى كلما كان النصر أكيد،فالعقيدة المتعصبة التي يحملها كل فرد في فكره، عادة ما تؤدي إلى زيادة سلطان الجماعة التي ينتمي إليها، وكثيرا ما تتغلب دولة مبنية على التعصب على أخرى مؤسسة على العقل، وخير مثال على ذلك اسبرطة وأثينا قديما، والنازية والفاشية حديثا. إلا أن هذا الاعتقاد غير صحيح، وما يؤكد ذلك هو الحرب بين المسيحية والإسلام«وفي المعارك الأولى بين المسيحية والإسلام كان المسيحيون هم المتعصبون والمسلمون هم المنتصرون. وقد اخترعت الدعاية المسيحية قصصا عن التعصب الإسلامي، ولكنها جميعا كاذبة تماما إذا طبقناها على القرون الأولى في الإسلام. فقد تعلم كل مسيحي قصة الخليفة الذي دمر مكتبة الإسكندرية وفي الواقع لقد دمرت هذه المكتبة مرارا وكان أول من دمرها هو"يوليوس قيصر"»[2]. إن هذا الطرح يؤكد على أن رسل مطلع على تاريخ البشرية وأنه غير متعصب لجهة معينة،وذلك نظرا لالتزامه بمنهجه التحليلي الذي يركز على البين ذاتية والتزام الموضوعية،وفي هذا الإطار يبين أن المسلمين منذ بداية عهدهم أظهروا تسامحا مع خصومهم في فتوحاتهم ولذلك سادت دعوتهم،على عكس المسيحيين الذين كانت دعوتهم تقوم على أساس الاضطهاد لغيرهم،ولذلك فقد وجدت لها خصوما أكثر من أنصار فيقول:«وقد تسامح المسلمون الأوائل على نقيض المسيحيين،مع من كانوا يطلقون عليهم"أهل الكتاب"على شريطة أن يدفعوا الجزية.وقد قوبل المسلمون بالترحاب لاتساع أفقهم،وهذا هو ما سهل عليهم فتوحاتهم كثيرا،على عكس المسيحيين الذين لم يقتصر اضطهادهم على

[1]- المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،(م س)،ص193.
[2]- المصدر نفسه،ص193.

الوثنيين بل اضطهدوا بعضهم البعض»[1]،بينما أدى التعصب إلى تدهور إسبانيا من خلال طردها للعرب واليهود منها. إن التسامح الإسلامي الذي كان سائدا في العصور الأولى والذي يشهد به حتى خصومه،مما جعل المضطهدين يفرون إلى الأندلس والعالم الإسلامي في عصرما،قد تغير وأصبح في عصرنا الحالي أكثر تعصبا من المسيحية،وهذا يدل على مدى ابتعاد المسلمين عن المنهج الإسلامي المتسامح حتى مع خصومه. ويؤكد رسل على أنه من الأسباب التي أدت إلى فشل بعض الأنظمة وإلى فقر بعضها وفناء البعض الأخر إنما يعود إلى التعصب وخير دليل يقدمه هو تعصب هتلر ضد اليهود حيث أنه لم يستعن بهم في الأبحاث النووية.كما يؤكد على أن صاحب العقيدة عادة ما يكون إدراكه ضعيفا لا يستند على العقل ولذلك فهو سريع الغضب والثوران عندما يتعرض للمجادلة،ويميل إلى اضطهاد غيره وقمعهم وإرهابهم بكل الوسائل، ولذلك فهو يحجر آراء الآخرين ويصنع منهم قوالب على حسب المقاييس،فينشئ شعبا كما يريد هو أن يكون، وتكون نتيجتها الجمود الفكري والزوال والتخلف الحضاري وتاريخ الحضارة البشرية دليل على ذلك،ابتداء من اسبرطة إلى الكنيسة إلى الماركسية.وقد عبر رسل عن ذلك:« ومن ثم فهو يلجأ إلى الاضطهاد والرقابة وطريقة ضيقة الأفق في التربية باعتبارها ضروريات سياسية.وفي حدود ما ينجح في ذلك يخلق شعبا خجولا لا يعزف عن المغامرة وغير قادر على التقدم. وقد كان هدف الحكام المستبدين دائما خلق مثال هذا الشعب،وقد حظوا بالنجاح عادة،وجلبوا على بلادهم الخراب بنجاحهم»[2]، ويذهب رسل إلى أنه إذا كان الاعتقاد يتطلب إقفال العقل في قبول الفكرة، فإنه كذلك يتطلب إقفاله عندما يكون الإغراء قويا،ويذهب إلى أن العقيدة السليمة هي تلك العقيدة التي تتأسس على الإقناع وليس على الإرغام والتسلط على عقول القاصرين فيقول:«وإذا كنت تعتقد أن عقيدتك تقوم على أساس من العقل فإنك ستؤيدها بالحجة لا بالاضطهاد،ولكن إذا كانت عقيدتك قائمة على الإيمان فستدرك أن المناقشة غير مجدية،ومن ثم تلجأ إلى القوة إما عن طريق الاضطهاد أو بتشويه عقول الصغار وتعجيزها بواسطة ما يسمى تربية،وهذه الطريقة الأخيرة دنيئة بصورة فريدة حيث أنها تستغل عدم قدرة العقول غير النامية على الدفاع عن

[1]- المصدر السابق،ص193.
[2]- المصدر نفسه،ص195.

نفسها»[1]،ولعل هذا ما يؤكد نجاح العقيدة الإسلامية في انتشارها عبر العالم،فقد قامت على الإقناع وعدم الإكراه، بل إن العقل والدليل هو أساسها، فلا إكراه في الدين وقد جاء في قوله **تعالى:**(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2].

2- آثر السلطة الدينية:

يبين رسل أن التربية الدينية حتى وإن كانت تتمتع بصفات ايجابية في التأثير على استقامة الفرد،إلا أن هناك تأثيرات سيئة تمارس عليه من قبل المربين، حيث أن وظيفة التدريس مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسلطة السياسية والدينية،وكثيرا ما يكون المدرس خاضعا للسلطة مطبقا لتعاليمها،ويستثنى أولئك الذين هم متحررين من قبضة السلطة في تدريس الناشئين،ودور المربي الخاضع للسلطة هو إعداد أفراد خاضعين للنظام،دون الاهتمام بفكرهم أو ذكائهم،بل على العكس فإنهم يتعرضون للعقاب إذا سولت لهم أنفسهم بالتأمل والتفكير،ويبين رسل ذلك أن:« ما يحدث عمليا هو أن الناس الذين يميلون لاختيار مهنة التدريس،باشروا في عمر مبكر،في قفل عقولهم ضد الأفكار الخطيرة،وأصبحوا جبناء عاديين...إنهم يقولون للتلميذ،أنه جيد أن يكون جبانا تقليديا،بعد أن يكونوا قد عملوا هذا لفترة كافية من الزمن،فإن موهبتهم تكون معروفة قبل السلطات ويرفعون إلى مراكز السلطة»[3].

كما أنه في ظل السلطة المقدسة لا يمكن تنمية الروح العلمية،إذ العلم يعتمد على الإثبات والبرهان بينما يعتمد الدين على التسليم والإيمان،وتحاط العقيدة حسب رسل بالمحرمات،وتمنع الاجتهاد،فقد كانت الكنيسة تمثل سلطانا قويا على عقول الناس، فحرمت التفكير والاجتهاد،وقد تبين ذلك في تعاليمها"اعتقد ولا تنتقد"،وقد عبر رسل عن ذلك:«من غير الممكن تنمية الروح العلمية في الأحداث طالما أن أي افتراضات تكون معتبرة كمقدسة وليست مفتوحة للسؤال.ومن خلاصة الصفات العلمية أنها تتطلب إثباتا لما يعتقد به،ويتبع الإثبات بدون أي اعتبار للاتجاه الذي توصل إليه، فحالما تكون هناك عقيدة لتدار،فإنه من

[1]- المصدر السابق،ص ص 195- 196.
[2]- سورة البقرة، الآية 256.
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص102.

الضروري إحاطتها بالشعور والمحرمات»[1]. إن هذا الطرح وإن كان يصدق على العقيدة المسيحية،أو أي عقيدة أخرى،فإنه لا يمكن أن يصدق على العقيدة الإسلامية السليمة،فلقد قامت الشريعة الإسلامية على أساس الاجتهاد والتفكير،ولعل من بين أسس مصادر التشريع الإسلامي الاجتهاد،ولقد سأل النبي عليه الصلاة والسلام معاذ يوما«كيف تقضي؟قال:أقضي بما في كتاب الله.قال:فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله .قال:فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال:أجتهد رأيي ولا آلو. فقال رسول الله (ص) الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله»[2]. لكنه بعد انحطاط الحضارة الإسلامية وتخلي المسلمين عن العقيدة السليمة،تغيرت النظرة إلى الاجتهاد والتفكير وأصبحت شبيهة بتلك التي كانت عند المسيحية.

غالبا ما تعتمد العقيدة على الحروب،وكثيرا ما يساند أصحابها الحرب عند حدوثها،وكل مؤمن بها يعتقد أن الحق معه مادام يؤمن أيمانا مطلقا بمبدئه،وكثيرا ما تساند العقيدة النظم القائمة،سواء أكانت ظالمة أو عادلة،بل إن هذه النظم تسعى إلى تبرير وجودها عن طريق الدين فيقول:«إن الأغلبية الكبرى من رؤساء الدين يساندون الحرب عندما تحدث،في حين أنهم في حالة السلم يكونون غالبا مصلحين.ففي مساندة الحرب،يمنحون صلاحيات مطلقة لإدانتهم.إن الله بجانبهم،يقدم المساندة الدينية لقصاص الناس الذين يفكرون أن المجازر العامة غير حكيمة.بينما العبودية قائمة... وغالبا جميع تقاليد الظلم وعدم العدالة تكون مدعومة من قبل دين منظم إلى أن ترغم الحاسة الأخلاقية للمجتمع على تغيير الجبهة»[3]،ومنه لا تخلو أي حرب من دعم ديني،بل إن أصحاب الحروب يبحثون عن المساندة الدينية لتقوية موقفهم ولدعمهم من الشعب، فموقفهم يكون أقوى كلما كان مساندا من الدين، وإن أي نزاع سواء كان قديما أو حديثا عادة ما يكون بسبب التنازع على المصالح وتوسيع النفوذ،ولكنه يحتاج إلى واجهة ليكون مقبولا وهذه الواجهة هي الدين، فالصراع السائد عالميا أو محليا عادة ما يرجع إلى الموقف الديني،وما الفوضى العارمة في العالم العربي والإسلامي منا ببعيد،فكل

[1]- المصدر السابق،ص102.
[2]- أخرجه أبو داود والترمذي والدارمي.
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص ص104-105.

جبهة تبحث عن مشروعية دينية لمحاربة الأخر وإظهاره على أنه الشر الأكبر،وذلك بمخالفته لمبادئ العقيدة،ولهذا وجب إزالته من الوجود.

كثيرا ما تتناقض التعاليم الكنسية، فمن جهة تعلم معتنقيها فضيلة الشجاعة وعدم الخوف من الموت،وفي نفس الوقت يرتكز الإيمان عندها على تخويف الناس من العقاب الأخروي فيقول:«تقدم المسيحية مبررات لعدم الخوف من الموت أو الكون،وفي عملها هذا أثبتت فشلها في تعليم كفاية فضيلة الشجاعة.إن الشوق للإيمان الديني كان بصورة كبيرة حصيلة الخوف»[1]،إن هذه التربية التي تستند على فكرة التخويف تجعل من الشخص جبانا غير قادر على الخوض في مسائل تتعلق بالعقيدة،كما لا يستطيع حتى التطرق إلى المسائل السياسية،فالدين والسياسة والأخلاق تعتبر بالنسبة إليه طبوهات غير قابلة للمناقشة ولا للجدال فيها.هذا من جهة ومن جهة ثانية كثيرا ما ترتبط الأخلاق بالاعتقاد،فإذا كان الاعتقاد قويا كانت الأخلاق سائدة،وإن قل اعتقاد الشخص قلت أخلاقه ويعبر عن ذلك:«عندما يقدم الدين كالمبرر الوحيد للخلق،فإن الشخص الذي يتوقف عن الاعتقاد في الدين،من المحتمل أن يتوقف عن الاعتقاد في الخلق»[2].

وكثيرا ما يعجب الناس بالأشخاص الأذكياء عبر التاريخ بل أنهم يعتبرونهم المثل الأعلى،وكثيرا ما تتعارض رغبة هؤلاء مع الدين،فالدين يميل إلى التسليم بينما هؤلاء يميلون إلى المغامرة والمخاطرة،ويعتبر رسل معظم رجال الدين المسيحيين ليسوا في الغالب أذكياء،بل إن المسيحية كانت تشجع البله لمقاومة الأذكياء،ويؤكد على أن الديانات لم تمتدح الذكاء البتة،فهو يقول:« إن الأفراد الذين نتمسك بهم بإعجاب في يومنا الحاضر هم أشخاص نادرون من الدرجة الأولى بالذكاء، وعندما يكونون،فإنه بسبب بعض الجنون الذي منحوه تعبيرا في لحظة جنونية...أن أغلب الرجال المتدينين ليسوا الأغلب ذكاء، فإن التربية الدينية تمنح شجاعة للأبله ليقاوم سلطة الرجال المتعلمين...وبقدر ما بإمكاني أن أذكر ليست هناك كلمة واحدة في الكتب السماوية في مدح الذكاء»[3]،ويؤكد رسل على أن تاريخ البشرية يبين أن الشعوب التي استندت في تربية أجيالها على الطاعة والخنوع،والوداعة،شبيهة بذلك

[1]- المصدر السابق،ص105.
[2]- المصدر نفسه ،ص107.
[3]- المصدر نفسه،ص107.

المربي الذي اختار تربية الأبقار والأغنام، وبالتالي فإن هذه الشعوب قد ازدهرت وتطورت،بينما الشعوب التي ركزت في تربيتها على تكوين ناشئين يتميزون بالشجاعة والقوة مثل من اختار ترويض الأسد والتمساح فقد أبيدت ولعل خير مثال على ذلك اسبرطة وأثينا.

المبحث الثاني:
الإنسان الفرد والإنسان المواطن

الإنسان الفرد والإنسان المواطن:

أولا:التربية بين الحرية والتماسك الاجتماعي:

تركز جل الأنظمة على فكرة التماسك الاجتماعي،لأنّ المجتمعات القوية هي تلك المجتمعات الأكثر تماسكا،بينما قد زالت من الوجود تلك التي كانت أقل تماسكا،فقد سيطرت على الإنسان القديم بواعث اجتماعية كانت بسبب الخطر الذي يواجهه حيث اضطر إلى التحالف والاندماج مع غيره في شكل حكومة«فقد قامت الحاجة لجهاز ما للوصول إلى القرارات الاجتماعية وهذا الجهاز تطور حتما في مراحل إلى أن أصبح ما يستطيع الإنسان العصري أن يعرفه بالحكومة،وحالما تقوم هناك حكومة،تكون لبعض الناس سلطة أكثر من الآخرين،وتعتمد السلطة التي لديهم على كبر الوحدة الاجتماعية التي يحكمونها»[1]،لكن عادة ما تختلف غاية السلطة مع رغبات الأفراد وفي هذه الحالة يمكن أن نتساءل كيف يمكننا التوفيق بين التماسك من جهة والحرية من جهة ثانية؟

1- بين التعاون والتنافس:

يلعب التعاون الدور الأساسي في عملية التماسك،فهناك دواعي كثيرة تدعو إلى ذلك منها غريزة البقاء، فالإنسان يحتاج إلى التعاون مع غيره للمحافظة على بقائه ووجوده، كما يحتاج إلى الدين والأخلاق لتقويم وتنظيم سلوكه، وتوحيد صفوفه، وتلعب المصلحة الاقتصادية الدور الأساسي،من خلال الإنتاج والتبادل والعمل حيث يقول:«إن الدين والأخلاق،والمصلحة الاقتصادية الذاتية،والسعي للبقاء البيولوجي المحض،كلها تقدم لنا حججا قاطعة في جانب التعاون العالمي الشامل»[2]،ومن الأمور التي ركزت عليها السلطة في تحقيق أغراضها عملية التربية التي تقوم بالدور الفعال في تحقيق ذلك التماسك والتعاون«لكن الوظائف الايجابية للدولة قد اتسعت الآن اتساعا هائلا.فهنالك قبل كل شيء التربية،وهي لا تتضمن اكتساب الثقافة المدرسية وحسب،وإنما تتضمن أيضا غرس ولاء

[1]- السلطة والفرد،(م س)،ص40.
[2]- المصدر نفسه،ص31.

معين وعقائد معينة»[1]،ولقد قامت هذه الحكومات بالإنفاق المادي على المؤسسات التربوية ومن أهم الأهداف التي تسعى إليها:

أ- تحصيل المعرفة:

لقد كان هذا الهدف هو غاية الشعوب منذ وجودها على البسيطة،إلا أنه في فترة ما وتحديدا في أوربا، كانت المعرفة امتيازا لطبقة دون أخرى،ونتيجة لاتصال الغرب بالمسلمين فقد حدث نوع من الانتعاش المعرفي وقد عبر رسل عن ذلك:«لقد كان بصورة رئيسية متصلا مع المغاربة خاصة في صقلية واسبانيا،وهو سبب انتعاش التعليم في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر»[2]،وفي العصور الحديثة أصبحت المعرفة لا تتعلق بالفرد نفسه وإنما أصبحت مطلبا وطنيا ودوليا، وقد قامت المدارس بهذا الدور فتولت تدريس الوطنية، وتوجيه النشء نحو هدف محدد:«فلقد وجدت أن الأولاد والبنات بإمكانهم أن يتحولوا إلى مواطنين أحسن وعمال أكثر كفاءة إذا عرفوا كيف يقرؤون ويكتبون مما إذا كانوا لا يعرفون»[3]. وعليه فإن تكوين الناشئ معرفيا له انعكاسات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي،فعلى الصعيد الاقتصادي وبالرغم مما يكلفه تكوين الفرد إلا أن نتيجته مفيدة من خلال مساهمته في زيادة مجموع الإنتاج«إن الحكومة البريطانية تنفق مبالغ أكثر بكثير على الأبحاث مما كانت قد أنفقت،والسبب هو كون أغلب الموظفين المدنيين عندهم تربية كلاسيكية وهم جهلاء بكل شيء يجب أن يعرفه الرجل الحديث،إن المواطن العادي هو كلفة على الأمة في بداية ونهاية حياته،ولكنه مفيد أثناء سنوات عمله»[4]. ومن خلال نظام توزيع الأمة إلى طبقات، فبوجود طبقات مختلفة، تكون هناك أنواع مختلفة من التربية،حيث تختلف تربية الأغنياء عن تربية الفقراء،وهذا يكون له تأثير على عقلية الأحداث،و يزيد في شدة التنافس بين الطبقات، مما يضمن انجاز العمل من طرف الرجال الأكثر كفاءة.إلا إن فكرة الطبقية والقومية يجب أن تحارب في المجال التربوي حتى وإن كانت لها غاية نبيلة،فهي تمثل شرا سواء في الأمة القوية، أو الضعيفة«إن القومية قاعدة

[1]-السلطة والفرد،(م س)،ص52.
[2]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص192.
[3]- المصدر نفسه،ص193.
[4]- المصدر نفسه،ص195.

فاسدة،ويجب أن لا تستحسن حتى في الأمم التي تحارب من أجل حريتها»[1].أما على المستوى السياسي فتعمل السلطة على تلقين المعارف والتي تتفق وسياستها لتزيد من ولاء مواطنيها،و تصير قوة لا يستهان بها.فهي تغرس في الأطفال نوع من الانطباع الذي يحترم امتيازاتهم،دون أن يهمهم ذكاء الطفل وقدراته،ولوكانت الغاية هي عقل الطفل لما عملت السلطة على توجيه التربية، ويصرح رسل بذلك:« فلو أخذ الأولاد بعين الاعتبار، لما قصدت التربية إلى جعلهم ينتمون إلى هذه الفيئة أو تلك،بل إلى تمكينهم من الاختيار بين الفيئات بشكل عقلاني،وإلى جعلهم قادرين على التفكير الشخصي لا الالتزام بأفكار معلميهم.لو احترمنا حقوق الأولاد،لما كان في إمكاننا استعمال التربية كسلاح سياسي»[2]، فمن يهمه الطفل لابد أن يحترم حقوقه،وهذا ما تقره التربية الحديثة،ويذهب رسل إلى أنه إن كان لابد من غرس بعض المبادئ فيه فإنه يتوجب غرس العادات الفكرية لتساعده على تكوين آراء فكرية مستقلة.

إن تحصيل المعرفة يحتاج إلى وضع مناهج تتناسق مع فكر التلميذ والمعلم، فقلة الخبرة والإكثار من المعارف دون هدف قد تكون نتيجته سيئة بحيث لا يمكن أن يتعلم الطفل أي شيء«إن ميول أولئك الذين يضعون المنهاج بدون أن يكون عندهم خبرة في التدريس،يضعون فيه كثيرا جدا،مع النتيجة أن ولاشيء يعلم تماما»[3].ومن أكثر المشاكل التي يمكن أن تعانيها التربية هي أن يتولى إداريون مهمة التربية، فيهتمون بالإحصاء والتصنيف التي هي عادة صنعة التاجر،فيهتمون بتقديم نسب النجاح والفشل،ونسبة الإناث والذكور،ونسبة الأساتذة والمشرفين على العملية التربوية،وهذا كله يكون على حساب العملية التربوية،التي كان لابد أن تركز على الاهتمام بجانبه العقلي والفكري،إلا أن ذلك حسب رسل يؤدي إلى مشكلة التعليم المتزايد لأنه أصبح من الصعب أن نعرف كل شيء وهذا ما يجعل صاحب المعرفة يفقد الثقة بنفسه، وتتدهور صحته،«إن مشكلة التعليم المتزايد هامة وصعبة.هامة لأن الشخص الماهر الذي حاز على تعليم زائد يفقد اختياره في ثقة النفس والصحة، وبذلك يكون أقل نفعا للمجتمع مما كان يجب أن يكون.وصعبة لأن فوضى المعرفة

[1]- المصدر السابق،ص ص200-201.
[2]- أسس لإعادة البناء الاجتماعي،(م س)،ص118
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،ص168.

السارية تنمو أكبر»[1]. ولتجنب شرور التعليم المتزايد، والوصول إلى تربية إدراكية جيدة فلابد من مراعاة شروط ثلاثة:أولا التقليل من الضغط الشعوري في التحصل على المعرفة،لأن ذلك يسبب التعب الفكري الضار مثله مثل تعب العضلات إلا أن العضلات تعالج بالنوم أما الفكر فيذهب النوم، وثانيا إزالة الإرشاد غير المفيد بمعنى التقليل من المعرفة غير المفيدة التي قلما يستخدمها الإنسان في حياته اليومية،وذلك باستخدام نصل أوكام. وثالثا النسبية في التعليم، حتى تجسد الروح العلمية في فكر المتعلم ويقبل الفكر الأخر.وعليه كيف نوفق بين الحرية والتوجيه؟

ب- الحرية والقيد:

وعليه فإن الطرحين في تربية المواطن أو تربية الفرد،لاتخلو من سلبيات كما لا تفتقد إلى ايجابيات،وعليه يرى رسل أن كل من التربية الصارمة والتربية المتساهلة مضرة بالناشئ فالأولى تجعل منه شخصا موجها غير قادر على مواجهة الحياة إلا ضمن أوامر تصدر إليه،نتعامل معه كما نتعامل مع عجين نشكله كيفما نشاء،لا ننتظر منه الجدة والإبداع، والثانية تجعله مشتت الأفكار وغير منظم ولا يستطيع حتى كيف ينظم وقته، فيتيه بين هذا وذاك،ويبقى ضالا غير مبصر لطريقه فيقول:«إن النظام الصارم مثل نظام الجنود في وقت الحرب،يجعل الإنسان غير قادر على العمل بدون أوامر خارجية،ومن الجهة الثانية،الحرية الكاملة طيلة عهد الطفولة،لا تعلمه ليقاوم دوافع الغريزة الوقتية، فإنه لا يتوصل إلى أهلية الإجماع على أمر واحد، في حين أنه مهتم في شيء أخر،أو لمقاومة الملذات،وسوف يسبب تعبا، يتدخل في العمل التالي.إن تقوية متطلبات الإرادة إذ تكون شيئا ما مزيجا دقيقا من الحرية والنظام، وهي مدمرة بواسطة زيادة أي من كل منها»[2].إن الدعاية التربوية ليس الغاية منها هي الإعداد الثقافي والمعرفي،لأن ذلك يعتبر عملا ثانويا، وإنما الغاية الحقيقية هي إيجاد مواطنين صالحين،موالين لوطنهم،مخلصين ومتفانين في حبه والدفاع عنه متعاونين فيما بينهم.إن التعاون تفرضه الضرورة الاجتماعية لكن دون أن نقلل من أهمية الفرد ولذلك يقول:«إن إدراك المواطن للمجتمع التعاوني يكون إذن أكثر ضرورة عما كان

[1]- المصدر السابق،ص ص168-169.
[2]- المصدر نفسه،ص39.

عليه،ولكنه يبقى هاما لأن يضمن هذا بدون تقليل كبير من حكم الفرد وبداهة الفرد»[1]، فالتعاون الاجتماعي لا يقلل من حرية الفرد وإنما ينظمها.

كما أن إطلاق العنان للحرية الفردية ليس مستحسنا، فالحرية التي قد تنتج مبدعا،قد تنتج كذلك مجرما،ولذلك يرى رسل أن القضية هي قضية مقادير،وهنا يمكن أن نتساءل معه كم من مقدار للحرية يمكن أن يعطى للشخص؟ ولذلك يؤكد رسل على أن القليل من الحرية يسبب الركود والجمود والعبودية والاستبداد،والكثير يسبب الفوضى والتنازع والتناحر،وقد عبر عن ذلك:«إذا لم يمارس المجتمع السيطرة،فإن نفس النوع من المبادرة الفردية التي يمكن أن تنتج مبدعا فذا يمكن أيضا أن تنتج مجرما.إن القضية قضية مقادير،فالقليل جدا من الحرية يسبب الركود والفتور، والكثير جدا منها يسبب الفوضى والاضطراب»[2]،إن رسل الرياضي المولع بالتقدير الكمي للظواهر،يحاول أن يحدد الحرية تحديدا كميا،لأحداث التناغم والتجانس بين الفرد والجماعة،فقد نادى بها في كذا من موقع،حيث يبدو للبعض أنه يدعو إلى إطلاقها في العملية التربوية والسياسية،لكنه يدعو إلى تربية ليس فيها قيدا تاما ولا حرية مطلقة وقد عبر عن ذلك:«وقد ظن الناس أني لابد مناصر للحرية الكاملة في المدارس لكن ذلك الظن كظنهم بأني داع إلى الفوضى خطأ في تصوير وجهة نظري،إذ أني أرى أنه لا غنى لنا عن قدر معين من القسر في تربية النشء،كما أنه لا غنى لنا عن مثل ذلك في الحكم ولو أني أرى إلى جانب ذلك أن في مستطاعنا أن نهتدي إلى طرائق تربوية يكون من شأنها التقليل من ذلك القسر الضروري»[3]. إن اجتماع البشر مع بعضهم البعض،والعيش ضمن السلوك الحضاري،يتطلب من الجميع كبح جماح الغرائز العدوانية،والطباع غير المتحضرة بالرغم ما يحدث من إزعاج حتى نضمن عدم العودة إلى الحياة البربرية:« فإذا كان للبشر أن يعيشوا متقربين بحزم من بعضهم البعض،فيجب أن يكون عندهم تنظيم اجتماعي حريص، وأن يكبحوا غرائزهم العدوانية لبعضهم الأخر.إن صيانة مثل هذا العدد الضخم من السكان كما هو في البلاد المتحضرة حاليا،يكون غير ممكن إذا أطلق حرية العنان للطباع غير

[1]-المصدر السابق ،ص236.
[2]- السلطة والفرد،(م س)،ص62.
[3]- نجيب محمود زكي ،(م س)، ص30.

المتحضرة، وهكذا يكون الناس المتحضرون عندهم إزعاج مؤكد، وتجربة للعودة إلى طرق أكثر بدائية للشعور»[1].

كما أن فكرة إعداد المواطن الصالح قد تكون مطية للطغاة للاستبداد بشعوبهم واستعبادهم وإذلالهم،والقضاء على قدراتهم الفكرية،وقد عبر عن ذلك ابن لمهاجر روسي في أمريكا من خلال سؤاله للفيلسوف"جوزيا رويس"J.Royce"قائلا:«لقد كان الولاء في الماضي من أهم نقاط ضعف الإنسانية،ومن أسباب الكوارث التي أصابتها،فلقد استغل الطغاة الولاء للسيطرة والتحكم في الآخرين،ثم أضاف قائلا: لقد سعدت ببعدنا عن كل صور الولاء وقضاياه،فما نريده لمستقبلنا هو التدريب على الحكم الفردي، نريد الاستقلال والثقافة ولا حاجة لنا بالولاء»[2].ومنه فقد أصبحت المجتمعات الحديثة في حاجة إلى الحرية الفردية وليس إلى ولاء المواطن الصالح. إلا أن الولاء يكون محببا إذا كان خاضعا لهيئة عالمية تذوب فيها المصالح الشخصية.وعليه يذهب رسل إلى أن إطلاق العنان للحرية أو التقييد كلاهما خطر على الفرد وعلى البشرية جمعاء،فعالمًا تشجع فيه السلطة الحمقى، وتبث فيه الوطنية التقاتل والتناحر، ويتفاخر فيه الناس بالطبقية الاجتماعية، لعالم مشحون بالكراهية والتعاسة ،ومحكوم عليه بالفناء والزوال، وإذا أراد المجتمع أن يعيش في سعادة فما عليه إلا أن يوازن بين تربية الفرد والمواطن معا، لكن كيف يتم ذلك؟

يؤكد رسل على أن المجتمع لا يمكنه أن يعيش بدون القانون كما لا يمكنه أن يتقدم إلا بمجهودات المجددين،إلا أن المشكل هو أن القانون يتعارض مع الجديد،ومن الحكمة كما يرى هو أن نوفق بينهما و نهيأ لكل منهما الظهور،ولذلك فهو يقسم الدوافع الانسانية إلى قسمين:

- الدوافع التملكية:فهي تمثل الملك والتملك،وقد يكون هذا الأخير دفاعيا بحيث يحافظ عليه صاحبه ضد اللصوص أو تحصيليا بحيث يبحث على تحصيله من غيره،وفي كلتا الحالتين يبقى العداء ضد الآخرين لأن صاحبه قد يستعمل القوة من أجل الحفاظ

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص217.
[2]- رويس جوزيا،فلسفة الولاء،تر،أحمد الأنصاري،مراجعة حسن حنفي،المجلس الأعلى للثقافة(مصر)،عدد337،ط2002،1، ص59.

على ممتلكاته،ولنتصور مجتمعا كل يستخدم فيه القوة من أجل الدفاع عن نفسه فإنه بلا شك ستسود الفوضى، ويبين رسل ذلك بقوله:«ففي كل ما يختص بالملك واستعمال القوة تنتهي بنا الحرية المطلقة إلى الفوضى والظلم.ليست الحرية للقتل،والسرقة والخداع من حق الأفراد ولو أنها ما زالت من حق الدول العظمى بعضها مع البعض الآخر،وإن كانت تستغل باسم الوطنية. فيجب سواء للأفراد أو الدول آلا يكونوا أحرارا في استعمال القوة كما تتفق وأهواءهم ولا يحق استعمالها إلا في...هيئة القانون»[1].إن إطلاق العنان لهذا الدافع يشكل خطرا على استقرار المجتمع ولذلك لابد أن تكون إرادة الفرد هنا مقيدة بالقانون.

- الدوافع الإبداعية:ويمكن أن نعبر عنها بالفن والعلم،وهنا التعبير عن الرغبة لفرد ما لم يمثل خطرا على غيره،بل بالعكس قد يستفيد منه غيره،وربح أحد الأطراف لا يمثل خطرا على الآخر،فأي ثراء في المعرفة هو ثراء للجميع، ولذلك لا يمكن أن تخضع هذه الرغبة إلى رقابة القانون كما لا يمكن أن نحددها، ويعبر رسل عن ذلك:«يجب أن يتحرر الجانب الإبداعي في كل فرد تحررا مطلقا من القيد العام كي يظل سليما قويا، كما أن وظيفة الدولة تجاه هذا الجانب من حياة الأفراد تنحصر في العمل على إمدادهم بالفرص والمسارب اللازمة»[2].وهذا الدافع لا يجب أن تقيد إرادته بل تعطى له الحرية المطلقة لإبراز قدراته،وإبداعاته الفنية والعلمية والمعرفية.

ومن الأمور الأساسية التي يجب التركيز عليها في التوفيق بين الفردية والجماعية، في ميدان التربية،الاهتمام بتهذيب العقل وتشجيع الفكر واستبدال عادات عقلية بعادات أخرى،حيث يجب استبدال الطاعة والتنظيم،بالاستقلال والميل،واستبدال التهافت القاسي بالعدل في التفكير،ونعوض الاستهزاء بالاحترام وبذل الجهد من أجل الفهم،وبدل الإيمان يحرك الشك البناء،إنه إن سلكنا ذلك فنكون قد عوضنا التسلط بالسلطة،والفوضى بالحرية،والظلم بالعدل ،والهدم بالبناء،وكما ينطبق هذا على الأطفال في ميدان التربية،فكذلك ينطبق على الكبار في ميدان السياسة،وحين ذاك يمكن أن نأمل في مجتمع متحضر وسعيد.

[1]- رسل برتراند،مثل عليا سياسية، تر فؤاد كامل عبد العزيز، الدار القومية للطباعة والنشر(مصر)،د(ط س)،ص ص51-52.
[2]- المصدرنفسه،ص53.

ثانيا:التربية والمبادرة الفردية:

إن الفرد كما بينا سابقا شبيه بتلك الذرة التي تكون العالم،ولذلك فإن المبادرة الفردية تلعب الدور الأساسي في مختلف مراحل التطور البشري عبر تاريخه،فقد اهتمت الأمة اليونانية بالجانب الفردي في الإنسان من خلال الاهتمام بجانبه العقلي فأظهر ذلك للإنسانية عباقرة في الفلسفة،والفن والعلم،لكن هذا كله كان على حساب التماسك الاجتماعي،لأن ذلك قلل من الوحدة الوطنية اليونانية فكانت لقمة سائغة لأعدائها«إن عظمة اليونان في سمو عقل الفرد،كانت كما أرى،مرتبطة ارتباطا وثيقا بعجزهم السياسي،لأن قوة الروح الفردية كانت المنبع لكل من الإبداع الفردي والفشل في حفظ الوحدة الوطنية»[1]،وقد كان الفضل العظيم للرجال العظام في بناء المدنية الحديثة،ففي عصر النهضة تحررت الفردية من ربقة التقاليد الكنسية وتزايد مفهوم الحرية مع تزايد سلطة الدولة،لكنها خاصة بطبقة مجتمع معينة«لقد كان للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر حظ لا بأس به من النجاح في زيادة سلطة الدولة إلى الحد الضروري لحفظ النظام،وترك مقدار كبير من الحرية،لأولئك المواطنين الذين لا ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا»[2]،لكنه مع تزايد سلطة الحكومة،تقلص دور المبادرة الفردية إلا لأولئك الذين بيدهم السلطة،بينما مبادرة الأفراد فإنها شكلية كثيرا ما تتعرض للرفض من السلطات العامة«وهكذا تكتسب سيكولوجية سلبية ميالة على الدوام لعرقلة الأمور.وفي مثل هذا النظام يصير الأقوياء إلى اليأس،أما أولئك الذين كان يمكن أن يصيروا أقوياء في ظروف أكثر ملاءمة فإنهم يميلون لأن يصبحوا مستهترين»[3]،ويرى رسل إن هذا النكوص في النظام سيعود بالبشرية إلى عصور قد خلت،وليس من المستبعد أن تظهر تلك المساوئ القديمة من التعصب والعبودية والتزمت، وهذا ما نعيشه في عالمنا المعاصر من مجاعة وأمراض فتاكة وكراهية فيما بين الناس وانتشار الحروب خاصة عند تلك الشعوب القاصرة.ولذلك يدعو إلى الاهتمام بالفرد أكثر من أي وقت مضى،خاصة الإفراد غير العاديين لأنهم هم أصحاب الفضل في الانتقال من البربرية إلى المدنية فيقول:«لقد اعتمد كل التقدم،من فني وخلقي وعقلي،فعليا على مثل هؤلاء الأفراد،الذين كانوا عاملا حاسما في

[1]-السلطة والفرد،(م س)،ص47.
[2]- المصدر نفسه،ص49.
[3]- المصدر نفسه،ص53.

الانتقال من البربرية إلى المدنية. ولكي تتقدم هيئة اجتماعية ما تحتاج إلى أفراد غير عاديين»[1].

وغالبا ما يختلف الفرد عن باقي المجموعة،فقد يكون الفرد مجرما أو فوضويا لكنه يتمتع بموهبة نادرة،وقد دل تاريخ البشرية على أن الأفراد قد كان لهم الدور الأساسي في تغيير كفة مجرى التاريخ سواء على المستوى السياسي أو العلمي وحتى الديني، وليس أدل على ذلك ما قام به الأفراد من رسومات على الكهوف، فليس من السهل أن يكون كل الناس قد قاموا بذلك وإنما هي وظيفة يقوم بها بعض من يتمتعون ببعض الكفاءات الخاصة،وليس من السهل أن يقود كاهن قبيلة ويتحكم في زمام أمورها إذا لم تكن له مزايا تميزه عن باقي القطيع،وقد عبر رسل عن ذلك:«يبدوا أن أولئك الذي وجدت لديهم مواهب فنية كان يسمح لهم أحيانا أن يتخلفوا في الكهوف ينقشون الصور بينما تذهب بقية العشيرة للصيد.إن الرئيس والكاهن لا بد أن اختيارهما قد بدأ منذ زمن قديم جدا لمزايا خاصة،حقيقة أو مفترضة:فكان رجال الطب يستطيعون ممارسة السحر،وكانت روح القبيلة متجسدة بمعنى ما في شخص الرئيس»[2]،وقد أكد رسل على أن هناك علاقة وطيدة فيما بين الرجال غير العاديين والمجتمع عبر التاريخ يمكن أن نبينها فيما يلي:

1- حقل الفن:

إن للفن دورا أساسيا في التأثير على المجتمع في حربه وسلمه،في اعتقاده وفي حياته اليومية،حيث لا ينكر أحد دور الفنان في التأثير على الشعوب الوثنية التي كانت تعبد الأصنام والتي كان الفنان يقوم بالدور الأساسي في التأثير على المعتقدين لها،وقد كان الشعر سلاحا حادا كثيرا ما يسلط على الأعداء،بل إنه كان يمثل دور الدعاية الإعلامية في أيامنا،بالإضافة إلى مختلف أغراضه،وقد لعبت الموسيقى هي الأخرى دورها الحماسي في تشجيع الجنود في المعارك،إلا أن دور الفنان قد تقلص عما كان عليه إلا في تلك النواحي التي يستفاد منها في الحياة اليومية،وقد عبر عن ذلك:«إننا لازلنا نمجد الفنان،ولكننا نعزله،إننا نظن الفن شيئا

[1]- المصدر السابق،ص62.
[2]- المصدر نفسه،ص63.

منفصلا،وليس جزءا مكملا لحياة المجتمع.إن المهندس المعماري وحده،لأن فنه يخدم غرضا نفعيا،يحفظ وحده بشيء من المنزلة القديمة للفنان»[1]،ويعود سبب هذا التقلص إلى التطور الحضاري من جهة وإلى تلك المعاناة من طرف مجتمعاتهم من جهة ثانية،فلا يمكن أن يجد الفرد الفنان ذاته إلا في مجتمعات تتذوق فنه،وتطلبه وإلا كان محله النفور والاستهزاء،إذن هناك علاقة وطيدة بين الفنان والمجتمع،بحيث لا يستطيع أن يبدع هذا الأخير إلا في بيئة اجتماعية تسمح بذلك،وما انتشار الموسيقى في ألمانيا في فترة ما إلا من خلال وجود هذه البيئة الصالحة لذلك،وقد عبر رسل عن ذلك:«لقد ظهر المؤلفون الموسيقيون الألمان العظام في بيئة اجتماعية كانت تتذوق الموسيقى،كان الشعر والموسيقى والرسم في تلك الأيام جزءا أساسيا من حياة الناس العاديين اليومية»[2]،وتعتبر المبادرة الفردية في المجال الفني أكثر تحررا من غيرها في المجالات الأخرى،ولعلها أكثر تشجيعا بالرغم من بعض العوائق التي تواجهها، فيعبر عم ذلك:«إن الفنانين والكتاب هم وحدهم في هذه الأيام الذين يمكن،حسب ما تتيحه لهم الظروف أحيانا أن يمارسوا كأفراد،لا بالإضافة إلى صفتهم في مجموعة ما،مبادرة ذات خطورة.»[3]،إن الفن أكثر انفلاتا من مراقبة أجهزة القمع الفكري،لأن القلة القليلة قد تفهم مغزاه،كما أنه يعتمد على الرمزية،وقد مارست الحكومات الاستبدادية رقابة مشددة على الكتب وغيرها ولكنها شجعت الفن حتى وإن كان ضد إرادتها،يقول رسل:«لكن مبادرة الكاتب،مع أنها لا تزال موجودة حتى الآن،فهي مهددة من عدة نواحي.فإذا كان إنتاج الكتب بيد الدولة،كما هو الأمر في روسيا،فإن الدولة تستطيع أن تقرر ما الذي يجب أن ينشر منها،وما لم تفوض سلطتها إلى هيئة غير متحيزة على الانطلاق،فإنه يحتمل أن لا يصدر من الكتب إلا ما يرضي الزعماء السياسيين»[4].إن هذا الطرح ينطبق على كل إبداع فكري سواء في مجال الصحافة أو التأليف أو الخطابة،فكل مجهود لا يتطابق ومصالح الهيئة العامة مرفوض ويعرض صاحبه للمساءلة والعقاب.

[1]- المصدر السابق،ص ص64-65.
[2]- المصدر نفسه،ص75.
[3]- المصدر نفسه ،ص118.
[4]- المصدر نفسه،ص118.

2- حقل الدين والأخلاق:

وتلعب الفردية الدور الأساسي في مجال الدين والأخلاق، فلا أحد ينكر ذلك الدور الذي قام به الأنبياء والأخلاقيون عبر التاريخ، من خلال رفضهم للظروف القائمة في عصرهم، ومحاولة تجاوزها من خلال إحداث قطيعة بين ماضيهم وحاضرهم، ومن خلال وضع قوانين لإسعاد البشرية سواء أكانت إلهية أو إنسانية، من استهجان للعادات القبيحة، وزرع المحبة الإنسانية. فالأنبياء والرسل والمصلحين الأخلاقيين قد عانوا الكثير من مجتمعاتهم، فقد عانوا الجوع والفقر والتشريد والتقتيل والتبخيس والازدراء، لكن ذلك لم يحدهم عن غايتهم النبيلة. فلقد غيروا تلك العادات الوحشية من التقاتل والتناحر بين الناس إلى التعاون والمحبة والسلام،وقد عبر رسل عن ذلك:« لقد كان للمبدعين الدينيين والأخلاقيين تأثير هائل في الحياة الإنسانية،ومع أننا يجب أن نعترف أنه لم يكن دائما التأثير الذي هدفوا إليه فقد كان مفيدا جدا على العموم»[1].ويبين رسل أن هذه القيم التي دعا إليها هؤلاء تتسم بالعالمية،تترفع عن تلك الدعوات القبلية أو النعرات الطائفية،إنها تتفق والطبيعة الإنسانية، وتتجاوز الوحشية. كما تترفع عن الأغراض الشخصية،فإن كان هناك خيرا يسود العالم الحاضر فإن الفضل يعود فيه إلى هؤلاء فيقول:«إننا ندين للرواد الأخلاقيين الذين حاولوا لأول مرة أن يجعلوا الأخلاق قضية عالمية وليست قبلية فحسب،ندين لهم باستنكار العبودية وشعورنا بالمسؤولية نحو أسرى الحرب،وبالحد من سلطة الآباء والأزواج وبالاعتراف مهما يكن ضئيلا، بأن الشعوب الخاضعة للحكم يجب أن لا تسخر لمنفعة حاكميها فحسب»[2].فالمصلحين عبر تاريخهم لم يكونوا محل ترحيب من مجتمعاتهم لكنهم هم بدورهم قد احترموا هذه المجتمعات،وعملوا على إسعادها،إلا أنهم في المجتمعات الحديثة هم أكثر تعرضا للأذى والتنكيل في ظل الدول الاستبدادية،وفي ظل التطور العلمي،وقد عبر عن ذلك:«وهذه ظاهرة جديدة في التاريخ الإنساني جاءت بها السيطرة المتزايدة على الأفراد التي هيأها تكنيك الحكم الحديث.إنها ظاهرة خطيرة،وهي توضح إلى أي مدى سيكون نظام الحكم الاستبدادي مدمرا لكل نوع من أنواع التقدم الأخلاقي.فقلما يستطيع الفرد ذو الإمكانيات

[1]- المصدر السابق،ص66.
[2]- المصدر نفسه ،ص67.

الممتازة أن يأمل في أيامنا أن يحقق شأنا عظيما أو تأثيرا اجتماعيا كبيرا كما في الأزمنة السالفة»[1].

3- **حقل العلم**:

وفي ميدان العلم كان الفضل العظيم لأولئك الأفراد الذين خاضوا ثورة ضد الجهل والظلام،وقضوا على الأمراض والمجاعات،وتفننوا في مجال التقنية والآلات،حتى غدت حياتنا كلها من صنع العلم،فلا يمكن لأحدنا أن يستغني عن الكهرباء،ولا عن وسائل الاتصال الحديثة،فاختلفت حياتنا على مما كانت عليه،من حيث السرعة والرفاهية،والقوة خاصة القوة العسكرية،وأصبحت حياتنا مرتبطة ارتباطا مباشرا بالعلم«إن كل ما يميز عصرنا تقريبا من خير وشر عن العصور السابقة هو كله راجع للعلم.فلدينا في حياتنا اليومية الضوء الكهربائي،المذياع،السينما.وفي الصناعة نستخدم الآلات والقوى التي ندين بها للعلم.وبسبب الطاقة الإنتاجية المتزايدة أصبحنا قادرين على تكريس نسبة طاقتنا للحرب والاستعداد لها أكبر كثيرا مما كان ممكنا سابقا»[2]،إلا أن هؤلاء الأفراد لم تكن الطريق مفروشة أمامهم بالورود، فقد تعرضوا كغيرهم من الأفراد البارزين في المجتمعات إلى أنواع التنكيل والتعذيب والتشريد مثلما نبذ "سبينوزا" من طرف العالم لأنه يهوديا،ومن اليهود لأنه ملحدا،والتقتيل والإحراق كما حدث مع "جوردانو برونو" الذي تم حرقه حيا،والنفي مثلما حدث مع ابن رشد،والتمثيل مثل ما قام به الرهبان في التمثيل بالعالمة الرياضية"هيباتيا"*حيث تم تقطيعها بحجة أنها تمارس السحر«لقد كان على العلماء،كغيرهم من المبدعين الآخرين،فبعضهم أبعد وشرد،وبعضهم أحرق،وبعضهم حجزوا في الزنزانات، وآخرون أحرقت كتبهم فقط»[3]،ومن جهة ثانية تم استخدام العلماء من طرف الحكومات الحديثة من أجل السيطرة على الشعوب،ومن أجل الانتصار في الحروب، فأصبح العلماء كمبدعين يستخدمون كوسائل،لتحقيق غايات أفراد معينين وليس من أجل إسعاد البشرية،وقد عبر رسل عن ذلك:« تعتبر كل الحكومات المتحضرة أن العلماء هم أكثر المواطنين فائدة في

[1]- المصدر السابق،ص68.
[2]-المصدر نفسه،ص69.
*- هيباتيا السكندرية(350-415)م أول امرأة في التاريخ يلمع اسمها كعالمة رياضيات، والفلسفة وعلم الفلك،قتلت على أيدي الرهبان بعد اتهامها بالسحر والإلحاد، حيث قاموا بسلخ جلدها وأحرقوها.
[3]- السلطة والفرد،(م س) ،(م س)،ص69.

الحرب الحديثة،شريطة أن يستطاع ترويضهم وإقناعهم أن يضعوا أنفسهم في خدمة حكومة واحدة أكثر مما يضعونها في خدمة الجنس البشري»[1]،إن ما تقوم به الحكومات من استخدام للعلم والعلماء في تحقيق بعض الأغراض الشخصية،يكاد يحدث كراهية لهذا العلم،ويهدد مستقبل الحضارة البشرية فيقول:«إنه لن يكون من المدهش لو ظهرت في هذه الأيام حركة لا علمية عنيفة، كنتيجة لما يتهدد الحياة الإنسانية من القنابل الذرية وما قد ينتج من حرب الجراثيم»[2].

إن هذه النماذج من المبادرة الفردية التي يجب الاهتمام بها وتشجيعها تمثل الجانب الخير في حياة الأفراد،إلا أن هناك الجانب الأخر من الفردية والذي يلعب كذلك دورا أساسيا في التأثير على حياة الأفراد والجماعات والذي يتناقض تماما مع النموذج الأول، وهؤلاء هم القادة السياسيين والعسكريين الذين ظهروا في التاريخ وغيروا من مجراه،من أمثال"جنكيزخان"،و"روبسبيير"،و"هتلر"وغيرهم،ويبين رسل أن هؤلاء الأفراد بالرغم من الشر الذي يحملونه إلا أنه لا يمكن تجاهلهم أو تجاهل دورهم، من خلال ما يحملونه من صفات قوة المبادرة، وسعة الخيال واتساع العقل ولو وجهت هذه الطاقات إلى الجانب الايجابي لا كان لها دور أساسي في نفع البشرية وتطويرها بدل من إفنائها وإذلالها،ويعبر عن ذلك:«كل هؤلاء الرجال،الطيبين منهم والأشرار على السواء،كانت لهم صفة ما كنت أرغب أن أراها تختفي من العالم،صفة القوة والمبادرة الذاتية،صفة استقلال العقل،وصفة سعة الخيال.إن إنسانا يمتلك كل هذه الصفات هو كفء لأن يفعل خيرا كثيرا،أو شرا كبيرا،ولكي لا ينحدر الجنس البشري إلى التبلد،يجب أن يجد مثل هؤلاء الرجال غير العاديين مجالا،ونود لو أنه سيكون لمنفعة الجنس البشري»[3].ويؤكد رسل على أن التأثير الذي أحدثه الأفراد في الأيام الماضية قد أصبح من المستحيل في عالمنا المعاصر إذا لم تكن هناك هيئة تسانده وتؤازره،وقد عبر عن ذلك:«فلقد قام علماء الماضي بأعمالهم منفردين إلى حد كبير،ولكن العلماء اليوم يحتاجون معدات كثيرة غالية جدا ويحتاجون معملا وعددا من المساعدين.وكل هذا يستطاع الحصول عليه برعاية الحكومة،أو كما في أمريكا برعاية رجال

[1]- المصدر السابق،ص69.
[2]- المصدر نفسه،ص70.
[3]- المصدر نفسه،ص73.

أثرياء جدا،وهكذا فرجل العلم لم يعد مستقلا،ولكنه أصبح بالضرورة جزءا من مجموعة مؤسسة كبيرة»[1].وهكذا أصبحت الفردية محدودة في عالم يعتمد على المؤسسات الجماعية ومنه فإن الفرد لا يمكنه أن يمارس حريته في ظل هذه الحكومات التي تفرض قيودها على علمائها ومصلحيها وفنانيها،بل إن أي تجاوز لقراراتها يعرض هذا الفرد إلى المساءلة،والملاحقة من طرف الهيئات الأمنية،إن هذا ينطبق على الدول الاستبدادية والديمقراطية على السواء،وخير شاهد على ذلك ما تعرض له رسل من سجن في بلده بريطانيا عندما عبر عن أرائه بحرية أو ما تعرض له في أمريكا من تنديد بأفكاره التحررية حتى أنه طرد من جامعاتها،إن الحياة الماضية بالرغم من قساوتها،إلا أنها كانت لا تمنع الفرد من المبادرة الفردية،كما كان يعيش نوعا من الحرية،فقد كان إنسان الماضي يقوم بالصيد أو الحرب أو التنزه إذا شاء له ذلك دون أن يجد معارضة من غيره أو يحاسبه القانون على ذلك،أما الإنسان المعاصر،فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بحرية فيقول إنه:«يعيش حياة مختلفة تماما،فهو إن غنى في الشارع فسيظن أنه مخمور،وإذا رقص فإن الشرطي سينهره لعرقلته السير.أما عمله اليومي فهو،إلا إذا كان من ذوي الحظ الممتاز،انهماك بطريقة رتيبة كليا في إنتاج سلعة لا تقدر كقطعة فنية جميلة»[2]،ويذهب رسل إلى أن الحياة السعيدة الخالية من الدمار تحتاج إلى وسائل،أهمها احتفاظ الأفراد بمبادرتهم الذاتية دون أن يكون لها تأثيرا على مجموع السكان،وذلك لا يكون إلا إذا كانت السلطة مرنة مع من هم تحت سلطتها،وقد عبر عن ذلك:«يجب أن نجد وسائل للاحتفاظ بمبادرة الفرد،ليس في الأمور التافهة فحسب،وإنما في الأمور المهمة حقا.لست أعني أننا يجب أن نتلف تلك الأجزاء من النظام الحديث التي يعتمد عليها جوهر وجود عدد كبير من السكان،وإنما اعني أن النظام يجب أن يكون أكثر مرونة،وأكثر تلطيفا بالحكم الذاتي،وأقل وطأة على الروح الإنساني بامتداده اللاشخصي،مما صار إليه بنموه وتمركزه ،والذي لم تعد طرائقنا في التفكير والشعور قادرة على مجاراته»[3].

[1]- المصدر السابق،ص74.
[2]- المصدر نفسه،ص77.
[3]- المصدر نفسه،ص79.

ثالثا: التربية والحكومة العالمية:

إن المتأمل للنظم القائمة التربوية منها والسياسية،تنظر إلى الفرد كوسيلة لتحقيق غاية،فنظرتها إلى المواطن الصالح تجعل أجهزة الدولة كلها مسخرة من أجل الفرد ليكون ترسا في آلة،في حين أن النظرة التحررية إلى الفرد تجعل منه غير قادر على مواجهة المشاكل الحياتية،ويدعو رسل إلى تجاوز النظرتين معا فهو يدعو إلى إعداد المواطن الحر،إلا أن هذا لا يمكن أن يتم في ظل الصراعات الإنسانية وفي ظل الشرور المنتشرة هنا وهناك،وفي ظل الدعوة إلى القومية،والنظرة الدينية الضيقة، والدعاية المغرضة،وما على الإنسانية إذا أرادت أن تعيش في سلام إلا أن توحد جهودها وتقضي على هذه الشرور،وتحاول أن توجد الإنسان الحر العادل المحب للسلام،وهذا لا يكون إلا إذا وحدت الجهود.ونتيجة للصراع والتناحر بين الشعوب يرى رسل أنه لامناص من إنشاء حكومة عالمية،ينطوي تحتها العالم كله،وهذه الحكومة تتمتع بصلاحيات أكبر من تلك الصلاحيات التي تتمتع بها الأمم المتحدة، وفي ظل غياب هذه الحكومة فلن يعرف العالم السلام،ولكن هل فكرة العالمية فكرة جديدة أم أنها متجددة؟ثم كيف تستطيع أن تحل المشكل في نظر برتراند رسل؟

1- فكرة العالمية:

ليست فكرة العالمية جديدة على العالم بل قد دعا إليها بعض الأنبياء والفلاسفة والمصلحين،فالنظرة الرواقية تنظر إلى العالم نظرة شاملة،غير مؤسسة على التفرقة والتمييز،وأن الجنس البشري جميعه من أصل واحد والناس أسرة واحدة يحكمها العقل والأخلاق.ويذهب الرومان وعلى رأسهم "شيشيرون"Cicéron" أن هذا الكون ليس له إلا خالق واحد،ولا يمكن أن يكون له إلا قانونا واحدا،هو القانون الطبيعي الذي يسري على جميع البشر،ولذا وجب أن يكون هذا القانون دستور العالم أجمع، حيث يتميز هذا القانون بأنه صحيح،أبدي،موجود فينا،لا يعترضه قانون أخر،وصالح لكل زمان ومكان،وتمثل الدول الجزئية داخله وحدة كلية تخضع للعقل والعدالة. ويعتبر الفرد فيها مواطنا عالميا لا تقيده حدود،وقد نادى بالمساواة واحترام حقوق الشعوب.كما دعت الديانات السماوية إلى فكرة

العالمية،وأهمها المسيحية والإسلام،فالناس في الدين الإسلامي إخوة،سواسية لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى،فقد كانت دعوته عالمية للناس جمعاء.وقد اهتمت الفلسفة الحديثة بذلك،ومن أهم الفلاسفة الأوربيين الذين سبقوا رسل في ذلك نذكر منهم:"أليجري دانتي" Dante Alighieri" الذي دعا إلى إمبراطورية عالمية وقد عبر عن ذلك:«إذا كانت مصلحة الأسرة الواحدة، تقتضي وجود رياسة مسيطرة، تتولى فض المنازعات بين أفرادها، فإن الشعوب أجدى بأن تكون لها مثل هذه الرياسات المسيطرة،ويتمثل ذلك في الحكومة العالمية»[1]،ويدعو" كروتشه"Cruce"إلى إنشاء اتحاد عالمي مفتوح للشعوب والأمم مبني على نشر السلام،والأخوة والتسامح الديني وتشجيع التجارة، وتيسير تبادل السلع،كما اقترح إنشاء مؤتمر دائم بين سفراء الدول كافة،أما"ليبنتز"فقد دعا إلى نشر السلام عن طريق الثقافة والعلوم، ويعتبر"إيمانويل كانط" السلام هو نهاية صراع قوتي الخير والشر،ويركز على تكوين نظام جمهوري يعتمد على التمثيل النيابي الديمقراطي،وهو يقترح تنظيم الأمم في هيئة دولية تحافظ على السلام،وتأكيد السلام الدائم،أما"جريمي بنتام"J. bentham"فيدعو إلى السلام العالمي من خلال فكرته الاقتصادية والمؤسسة على المنفعة وتحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس وفق مقاييس.لكن ماهي الخطوات المهمة لتحقيق العالمية عند رسل؟

2- قبول الآخر:

لا يمكن أن يخلو أي نظام سياسي أو تربوي من غرس إيديولوجية معينة في النشء بواسطة عملية التربية،فهذه الأخيرة وسيلة من وسائل تنفيذ سياسة معينة،إذ أن التربية الوطنية تعلم الأولاد بأن يكونوا مواطنين صالحين مخلصين لمجتمعهم، ويعملوا حسب توجهات حكوماتهم،يعلمون تاريخا كاذبا وسياسة كاذبة،يعلمون أن الآخر شر لابد من محاربته وطمسه،فالتاريخ يظهر مناقب السلطة القائمة،وحسناتها،ويظهر غيرها في صورة ظلامية ومشينة،وبذلك فهو يزرع النعرة القومية في نفوس الناشئين وقد عبر رسل عن ذلك:« يدرس التاريخ في كل دولة بشكل يعظم تلك الدولة.يعلم الأولاد كي يعتقدوا بأن دولتهم كانت دائما على حق وتقريبا منتصرة دائما،وأنها قد أنتجت كل الرجال العظام تقريبا،وأنها

[1]- نقلا عن نجاح محسن، الحكومة العالمية عند برتراند رسل، دار الفتح للإعلام العربي(مصر)،ط2003،1،ص30.

تتفوق في كل النواحي الأخرى على كل الدول الأخرى.ولما كانت هذه المعتقدات مشبعة بالمدح فإن قبولها يتم بسهولة وبالكاد تستطيع أن تزحزحها المعرفة المتأخرة من براثن الغريزة»[1]. ويضرب لنا مثالا على ذلك حول معركة"وترلو"حيث يختلف تدريس حقيقتها في كل من فرنسا وانجلترا وألمانيا،فيتصور التلميذ الانجليزي أن الألمان بالكاد لعبوا أي دور بينما يتصور التلميذ الألماني أن"ولينغتون"قد هزم قبل أن ينقذه"بلوخر"، ويعبر رسل عن ذلك:«لو درست الحقائق بشكل مطابق للوقائع في كلتا الدولتين لما وجد التكبر القومي دعما كبيرا ولما كان أي من الدولتين ليشعر بحتمية النصر في حال نشوب الحرب»[2]،إن هذه النزعة في تزييف التاريخ تثير العصبية وتغذي القومية، وتزرع الأفكار غير الصحيحة،وبالتالي فهي تمثل خطرا على مستقبل النشء«إن القومية الأشد خطرا في وقتنا الحاضر هي أخطر بكثير من السكر أو تعاطي المخدرات أو سوء الأمانة تجاريا أو أي شيء أخر سواه، حيث يكون سلوك التربية العادية موجها»[3].

وبهذا الأسلوب يتناقص السلام وتزداد الحروب،وتفسد ذهنية الناشئ، بحيث أنه يربى على عقيدة وفكرة صحيحة دوما لا تقبل الأفكار الأخرى،إن التربية العالمية هي تلك التربية التي تحاول أن تقضي على هذه الشرور المتفشية في المجتمعات الحاضرة،فالتربية إذا أريد لها أن تقضي على الكراهية بين الشعوب والعقائد المختلفة وأن توحد البشر على سياسة واحدة محددة،و أن تدرس تاريخا واحدا ليس فيه كراهية ولا كذب،فإنه لابد أن تكون تربية عالمية ويتجلى ذلك في قوله:«بإمكان التربية بسهولة إذا اختار الناس،أن تنتج شعور وحدة للعنصر البشري وأهمية التعاون الدولي.فضمن جيل حيث تكون حواجز التعرفة التي نجعل بها أنفسنا فقراء،يمكن أن تخفض والقوة العسكرية التي بها نهدد أنفسنا بالموت يمكن أن تزول،والكراهية التي نقطع بها أنوفنا يمكن استبدالها بالإرادة الحسنة.إن العنصرية التي هي سائدة حاليا في كل مكان هي بصورة رئيسية حصيلة المدارس،ويجب أن تأتي على نهايتها،وأن تسود التربية روح مختلفة»[4].ويبين رسل أن ذلك لا يتم إلا إذا كانت التربية

[1]- أسس لإعادة البناء الاجتماعي،(م س)،ص122.
[2]- المصدر نفسه،ص ص122-123.
[3]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص132.
[4]- المصدرنفسه،ص136.

ومؤسساتها خاضعة لهيئة عامة عالمية،تقوم بوضع برامج حيادية خالية من بث الكراهية والعنصرية بين الشعوب،تدعو إلى المحبة والسلام،أي أن البرامج لابد أن تتميز بالخاصة العلمية والمتمثلة في الموضوعية التي هي ميزة من ميزات الفلسفة التحليلية،وإذا كانت التربية موضوعية خالية من الاعتبارات الذاتية فإنها تكون أقرب إلى العالمية شبيهة بتلك المعادلات الرياضية،وقد بين ذلك:«إذا رغبنا في إنشاء علاقات حسنة بين الدول وجب أن تكون إحدى أولى خطواتنا إخضاع كل تعليم للتاريخ إلى هيئة عالمية منتدبة يفترض فيها أن تحضر كتابا مدرسيا حياديا وبعيدا عن التحيز الوطني يدرس في كل مكان»[1]،وكما أكد رسل على عالمية التربية فإنه كذلك يؤكد على عالمية الدين والعقيدة، فإذا كان الدين في يد سلطة ما،أو لها موقف مخالف منه،فإن التربية ستكون مؤيدة لعقيدتها تدافع عنها بكل ما أعطيت من وسائل القوة،وترفض وتتعصب ضد كل عقيدة مخالفة لها،فيقول:«عندما تكون الدولة متطرفة في علمانيتها كما هي الحال في فرنسا،تصبح مدارس الدولة متطرفة في تعصبها مثل المدارس التي تديرها الكنيسة(قد أخبرت بأن كلمة الله يجب أن لا يرد ذكرها في أي مدرسة ابتدائية في فرنسا).النتيجة في كلتا الحالتين واحدة: كبت البحث الحر،وفي مسألة من أهم المسائل في الدنيا يصدم الولد بعقيدة متصلبة أو بصمت متحجر»[2].ولا يتم هذا كله إلا إذا كانت هناك تربية ومربين جادين لتحقيق ذلك، ويجب أن يتجنبوا تصنع الوسائل التي تحول الناشئين إلى أعداء لمواطنيهم أو لغيرهم،كما يجب أن يشجع الشباب على التفكير وقبول وجهات النظر المختلفة،و لا يجب إرغام الأطفال على مذهب معين ولا سياسة ولا دين واحد،وإنما يجب أن تترك الحرية لهم ليختاروا بشرط أن تكون لهم القدرة على المعرفة،وبهذا الشكل نستطيع أن نبث روح التعاون والتعايش بين الشعوب وأن نمرن الأطفال على الحكم الديمقراطي الذي يقبل الآخر ولا يرفضه تماما فيقول:«إن الشيوعية يجب أن تناقش في المذياع أيام الاثنين المتعاقبة من قبل السفير السوفياتي والسيد ونستون تشرشل،وأولاد المدارس يجب أن يرغموا على الإصغاء،وبعد أن يستمر النقاش ثلاثة أشهر تجري كل مدرسة انتخابات حرة.وفي أيام الثلاثاء تناقش الهند بين غاندي والحاكم العام،

[1]-أسس لإعادة البناء الاجتماعي،(م س)،ص123.
[2]- المصدر نفسه،ص124.

وأيام الأربعاء المسيحية فيما بين ستالين ورئيس أساقفة كنتربري»[1]. إن هذه الدعاية من جانب واحد لا تهدف إلى التفرقة أو بث روح الخلاف وإنما تهدف إلى المساواة وتكافؤ الفرص فيما بين الأفكار المختلفة، حيث لا يمكن أن يقبل الناس إلا تلك الأفكار التي تثبت عقليا وواقعيا،وبهذا الشكل نعلم الناس التفكير الحر واستخدام العقل والبرهان في ظل سياسة قبول الأخر الذي هو ضروري لاستمرار الحياة.

3- الوقاية من الحروب:

إن ما يميز الشعوب عبر تاريخها هو ميلها إلى الحرب التي هي حسب برتراند رسل:«اشتباك بين مجموعتين من الناس تحاول كل جهة منها أن تقتل أو تشوه أكبر عدد ممكن من الجهة الأخرى رغبة في تحقيق بغيتها،والبغية المنشودة هي على العموم إما سلطة أو ثروة»[2]،فالمنتصر فيها يتلذذ بسلطته على الآخرين،أو بتعذيب غيره،فالصراع القائم بين الشعوب وخاصة بين ألمانيا وانجلترا أساسه التكبر القومي والحسد،فألمانيا تنظر إلى انجلترا المتكبرة بأنها تعطل نموها فهي تقول على لسان رسل:«أنت يا انجلترا المتفتحة والهرمة تعطلين نموي بأكمله،وأغصانك الملوثة تمنع الشمس من تدفئتي والمطر من انتعاشي.فيجب أن تقلم أغصانك المتطاولة،وقامتك المتناسقة يجب أن تحطم،حتى أستطيع أن أنمو بحرية وحتى تنبت حيويتي دون أن تعيقها كتلك الهشة»[3]،إن هذه الدعوة إلى الكراهية والحسد فيما بين الشعوب هو ما يزيد من التنافس واشتعال الحروب.هذا بالإضافة إلى أن الناس يجدون متعة في الحرب لأنها تعبر عن تلك الغرائز العدوانية فيهم،فقد قال:«لقد كانت هذه الظاهرة من بين الظواهر التي صدمتني في 1914 عندما بدأت الحرب الأولى،كان كافة أصدقائي الداعين إلى السلام يظنون المكائد الشريرة التي تديرها الحكومات هي التي تفرض الحروب على الناس فرضا،غير أنني تجولت في شوارع لندن وأخذت أتطلع في وجوه الناس،فوجدت أنهم جميعا أسعد بكثير مما كانوا قبل نشوب الحرب»[4].ويرى أن الشعب السويدي بالرغم من انتشار ظاهرة الانتحار عندهم والتي يرجعها رسل إلى غياب الوازع الديني الذي يكبح

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص219.
[2]- أسس لإعادة البناء الاجتماعي،ص65.
[3]- المصدر نفسه،ص70.
[4]- رسل برتراند، محاورات برتراند رسل، تر،محمد عبد الله الشفقي،من مختارات البرنامج الثقافي لأذاعة الجمهورية العربية المتحدة،ص23.

الجماح،وليس إلى الغريزة العدوانية إلا أنهم أكثر الناس سعادة في غياب الحروب،فهم لم يشتركوا في الحرب منذ1814. ويعبر عن ذلك:«أعتقد أن السويديين يستمتعون بحياتهم استمتاعا تاما،ولم ألمح ما يدل على أنهم يحسون بخيبة أمل لأنهم لم يشتركوا في حرب»[1]،لكن ماهي طرق معالجة الحروب والوقاية منها؟

يذهب رسل إلى أن تجنب الحروب يحتاج منا إلى وجود إرادة تقضي على تلك النوازع الشريرة الموجودة فينا،فبعضها يمكن حلها بواسطة التربية والبعض الأخر يحتاج منا إلى قرارات سياسية شجاعة،فما يمكن أن تقوم به التربية هو توجيه الغرائز التي تؤدي إلى الكراهية والبغض والتي تمتع به الناس عبر تاريخهم نحو نشاطات سلمية كتشجيع المغامرة،والألعاب الرياضية،والقضاء على الخرافات وقد عبر عن ذلك:«إن الغرائز التي كانت تحرك منذ عهد بعيد نشاطات الصيد والحرب لدى أسلافنا المتوحشين تتطلب الآن مخرجا،فهي ستتحول إلى كراهية وضغينة مؤذية،إن لم تستطع أن تجد لها مخرجا أفضل من ذلك.ولكن هناك مخارج غير شريرة لهذه الغرائز بالذات،فالحرب يمكن أن نستبدلها بالمنافسة والألعاب الرياضية. ويمكن أن نستبدل الصيد بمتعة المغامرة والاكتشاف والخلق»[2]،وقد أثبت علم النفس الحديث أن في الإنسان رغبات يستطيع أن يعبر عنها دون أن يجد معارضة من العالم الخارجي، لكن هناك مكبوتات أخرى لا يمكن أن يعبر عنها بصراحة فتظهر في شكل نشاطات عدوانية سواء عند الصغير أو حتى الكبير،وهذا ما أكدته مدرسة التحليل النفسي،ولمعالجة ذلك لابد من أن نجد طرق لتفريغ هذه النزوات بطرق سلمية وأفضلها هي الألعاب الرياضية لأنها تفرغ تلك الشحنات من العنف عند ممارستها،والواقع يدل على أن الرياضيين أقل الناس عداوة وعنفا من غيرهم،وهذا الذي أكده رسل المحلل لطبيعة النفس البشرية.

أما ما يمكن أن تقوم به السلطة هو حل القوات المسلحة في كل مكان،وإنشاء محكمة عدل دولية،والقضاء على كافة التعريفات،وحرية التنقل،وقد عبر عن ذلك:«لقد كانت هناك أزمة عندما كانت المنافسة في شكل حرب مفيدة للمنتصر.تلك الأزمنة مضت.وواضح الآن لكل

[1]- المصدر السابق،ص 24.
[2]- السلطة والفرد،(م س)،ص148.

شخص مفكر أن كل أمة ستكون أسعد إذا حلت جميع القوات المسلحة في كل مكان،وتساوت جميع الخلافات مابين الأمم بواسطة محكمة عدل دولية،وتكون كافة التعريفات قد أزيلت،وبإمكان جميع الناس الانتقال بحرية من بلد لأخر»[1]،إن الاهتمام بالتجهيزات العسكرية في ظل الدولة العالمية أمر غير ضروري،لأنه لا حاجة للدول القومية من تدريب الجيوش على الحروب ما دام هناك جيش عالمي واحد يحمي ويحافظ على كافة سكان العالم،ويحل الخلافات بين الدول:«فإن تعليم الوطنية العسكرية سوف لا يخدم بعدها أي هدف،كما سيضمحل حالا لدرجة يصبح عديم الضرر،وسوف لا يكون هناك أي حاجة لدورات تدريب الضباط أو للخدمة العسكرية الإجبارية...إن إقامة سلطة دولية قوية،تفرض حلولها في الخلافات ما بين الدول المتنازعة ستكون أحسن من وجهة النظر التربوية كما من أي وجهة نظر أخرى»[2]،وبهذا الشكل نجنب الدول القومية من معاقبة بعضها البعض، ونجنبهم الكراهية،ونقودهم إلى السلام،مادام هناك جيش واحد،يحمي الكل ومادام هناك محكمة دولية نلتجئ إليها في حل خلافاتنا،لأنه:«لا يمكن ضمان السلم لغاية ما يتوقف عقاب ألمانيا بعد دحرها في الحرب،وأن هذا لن يحدث لغاية ما تتوقف فرنسا عن احتلال أوروبا...إن جميع هذه القضايا الكبيرة سوف يكون عليها أن تحل قبل أن يكون هناك أي أمل جدي للمحافظة على السلم بواسطة إيجاد سلطة دولية»[3]. إن هذا الطرح لدى رسل يتطابق مع نظام العولمة المعاصر الذي يدعو إلى القضاء على الحواجز الفكرية والاقتصادية والسياسية وحتى الدينية،ولعله يعتبر من أهم المنظرين لهذا النظام العالمي الذي الغاية منه ليس الهيمنة وإنما تحقيق السلام العالمي.ولعل إنشاء الاتحاد الأوربي، والمنظمة العالمية للتجارة يعتبر تجسيدا لأفكار هؤلاء الفلاسفة.

ومن العوامل المساعدة على الوقاية من الحروب هو إزالة الخرافات،ويبين رسل أن الاعتقاد الخرافي هو ذلك الاعتقاد التقليدي الذي يتمسك به النظام التربوي والسياسي،ويعمل على احترامه وتقديسه،وعادة ما تكون هذه العادات التقليدية حسية،وتشجع السلطة ذلك لبسط سيطرتها على مواطنيها،ويظهر ذلك في قوله:«أحدد اعتقادا خرافيا إذا كانت قاعدته الوحيدة

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص237.
[2]- المصدر نفسه ،ص ص226-227.
[3]- المصدر نفسه،ص228.

تقليدية أو حسية.فعندما يعتبر الناس تمسك مثل هذه الاعتقادات هاما،فإنهم يوجدون أنظمة للتربية تشتمل على احترام لحكمة أجدادنا،وعادة لتقرير المشاكل خلافا للظروف المعقولة.فمن بيدهم زمام السلطة حتما،يرغب أغلبهم مواضيعهم لتكون حسية أكثر مما تكون معقولة،طالما أن هذا يجعلها أسهل لجل أولئك الذين هم ضحايا نظام اجتماعي جائر قانعين بنصيبهم»[1]. ففي أثناء الحروب يولد الاعتقاد الحماس للشعوب، ويدفعهم للحرب بغبطة وسرور، ويمنعهم في البحث عن الأسباب الحقيقية التي من أجلها قامت هذه الحرب أو تلك. فإذا قام نظام ما فإنه سوف يدجج نفسه بمجموعة من الخرافات المقدسة والأفكار الوهمية، التي ترقى في بعض الأحيان إلى ممارسة العنف حيث يقول:« إن الشيوعية الروسية لها تماما جهازها من الإيمان اللاهوتي وقدسيتها وتاريخها المقدس. فإذا بعد قرن من الكفاح هدى المذهب الروسي العالم، فإنه في فترات يكون قد أوجد العديد من الخرافات وتوصل إلى عنف عقائدي عظيم، وعندما يحل الوقت،فإن الإنسان الذي سوف يغامر ليقول أن ماركس ولينين لم يكونا أعظم الرجال الذين عاشوا لتاريخه، فمن المحتمل أن يعاقب بشدة...إن الحزب الشيوعي يمكن أن يحتل مركزا مشابها لمركز الكنيسة في العصور المظلمة»[2].ويبين رسل أن سلطة الحكومة على عقائد الناس قد أصبح لها تأثيرا كبيرا على قيام الدول، سواء بواسطة الإقناع أو الإكراه فيقول:« ومما يؤسف له، أنها كانت موضوعة بشكل يوحي إلى الناس بالرغبة الحارة لقتل بعضها بعضا،بدرجة تردع تماما على وجه التقريب حافز المحافظة على الذات،ولا أحد ينكر أمام البرهان،أن من السهل على من يضطلع بالسلطة العسكرية أن ينتج شعبا من المجانين المتعصبين ومن السهل أيضا إنتاج شعب حكيم وعاقل،ولكن كثيرا من الحكومات لا ترغب في ذلك ،لأن من شأن هؤلاء الناس أن يفشلوا في الإعجاب في الساسة الذين يقومون على رأس هذه الحكومات»[3].

[1]- التربية والنظام الاجتماعي،(م س)،ص ص228-229.
[2]- المصدرنفسه،ص229.
[3]- برتراند رسل، بحوث غير مألوفة،(م س)،ص101.

المبحث الثالث:

نقد وتقييم

نقد وتقييم:

إن الباحث في فكر برتراند رسل وبالرغم مما يجد فيه من متعة وتشويق في تصفح كتبه وآرائه،إلا أنه لا أحد يزعم أن بإمكانه أن يلم بكل ما أنتجه أو قصده، وذلك نظرا لعدة أسباب،منها أن رسل صاحب تجربة حياتية قاربت القرن من الزمن،ومنه تعدد مجالات كتاباته،وتنوع مقالاته،وممارسته السياسية ومشاركته في بعض المنظمات العالمية،وإطلاعه على شعوب العالم وثقافتها من خلال زيارته إياها وإطلاعه على ما فيها من مزايا وسيئات،ووقوفه على أنظمتها وتحليلها ونقدها،هذا بالإضافة إلى إحاطته بعلوم عصره،وإبداعه فيها خاصة في مجال المنطق و الرياضيات، كما يتمتع بثقافة غزيرة،من خلال معرفته بتاريخ العالم،والعقائد الدينية،إننا بلا شك أمام رجل يصعب التعامل معه من خلال تشعب معارفه،وتنوعها،فهل نتعامل معه كرجل أرستقراطي ليبرالي أم اشتراكي؟ وهو الذي رفض الأولى ونقد الثانية،هل هو رجل حرب أم سلام؟ وهو الذي وقف مع بريطانيا والعالم في حربها ضد النازية في الحرب العالمية الثانية،وانتقد بريطانيا في حربها ضد القيصر في الحرب العالمية الأولى،وكان داعية للسلام ومناضلا من أجله وبسببه تعرض للإيذاء في كذا من مرة.هل نتعامل معه كرجل تربية أم أخلاق أم سياسة؟وهل هو مدافعا عن الحرية أم هو مقيدا لها؟ وهو الذي نظر للتربية ومارسها من خلال تأسيسه لمدرسة "بيكون هيل" على أساس الحرية ثم رفضها،وهو الذي دافع عن القيم الأخلاقية وانتقدها على أساس أنه يجب إعطاء مقدار من الحرية في الاعتقاد الأخلاقي،وهو الذي مارس السياسة في ظل الأرستقراطية والاشتراكية ثم انتقدها.هذه مشكلتنا في التعامل مع هذا الرجل الرياضي المنطقي وفيلسوف العلم،والباحث في ميدان علم النفس الحديث وعلم الاجتماع،ويصعب علينا تحديد موقفه الواضح من القضايا المطروحة،إلا أنه يمكن أن نقول في كلمة مختصرة أن رسل يمثل كل هذا.

إن هذا الطرح هو ما دعا البعض الناقم والناقد بوصفه بالمتناقض،وقد كتب" كينز"* في مذكراته يصف رسل:«كان برتي بصفة خاصة صاحب رأيين متناقضين بصورة

*- جون مينارد كينز(John maynard Keynes)،1883-1946، اقتصادي إنجليزي وهو أحد جماعة"البلومزبري" وزميل لرسل، في كمبردج، اشترك في مؤتمر السلام العالمي بعد الحرب العالمية الأولى، من أهم كتبه الآثار الاقتصادية للسلام.

مضحكة،فقد كان من رأيه،أن شؤون الإنسان تجري في واقع الأمر على نهج غير عاقل إلى أبعد الحدود في حين أن علاج هذا يسير للغاية،طالما أنه يسير بها على هدى من العقل»[1]،ويذهب "آلان وود" مدافعا عن رسل، بأن رأي "كينز"يجانب الصواب،لأن أفكار رسل بينت أن الناس ليسوا عقلانيين خاصة في زمن الحروب، هذا ما أدى إلى تغير أسلوب تفكيره:«إن الصواب يجانب كثير من أفكاره السابقة، وأن الناس ليسوا عقلانيين بقدر ما كان يعتقد،الأمر الذي حذا به إلى تغيير أسلوب تفكيره، وطريقة حياته تغييرا جذريا،ولكن الحرب لم تكن تعني "لكينز" ما عاناه رسل من امتحان في الفكر والشعور»[2]، فالحرب حسب "آلان وود" كانت تعني "لكينز" الحصول على مغانم ولم يكن يعنيه هَمُ الإنسانية،ولاشك أنه يعطينا انطباعا خاطئا عن رسل.ويبين "آلان وود" أن العلاقة التي كانت تجمعهما يشوبها نوع من العداء،حيث يذهب "كينز"إلى أن رسل خاطئ عندما يظن أن الناس العاديين يتسمون بقدر زائد من العقلانية،في حين يعتبر رسل أن "كينز" ذو نظرة ميكيافلية من خلال تميزه بالذكاء العقلي الحاد واحتقاره للناس العاديين وأنه يصعب مجادلته ومناقشته لأنه يملك أمضى وأوضح عقل وقد عبر عن ذلك:«فقد كانت محاجاته المدمرة التي تفني ما تقابله في طريقها من اعتراضات تنطلق منه بنفس السرعة التي ينطلق بها لسان الأفعى. وفي كل مرة تجادلت معه فيها،كنت أضطرب أشد الاضطراب وأحس أنني أحمل حياتي بين كتفي.ومن النادر أني خرجت من المناقشة دون أن أشعر بشيء من غفلتي وغباوتي»[3].ويبين"آلان وود"أن هذه الفكرة لا تتفق مع انطباع"ليوناردو ولف" الذي يشيد بتفوق رسل على "كينز" وما يؤكد ذلك هو محاضرة رسل الشهيرة حول فلسفة "برغسون" التي ألقاها في جامعة كمبردج،والتي عرضها بأسلوب ساخر ممزوج بالنكت، وأستمتع بها الناس وأعجبوا بها أيما إعجاب، وقد كان لها الفضل في نجاحه في المحافل العامة.

إن اتهامات الخصوم لرسل بالتناقض من خلال أفكاره،كمعارضته للحرب العالمية الأولى وتأييده للثانية،إنما ينم إما عن كراهية لهذا الرجل،أو عدم فهم سياق كلامه. فرسل ليس مذهبيا ولا صاحب مبدأ ثابت يدافع عنه في كل مرة وإنما هو صاحب فكر منطقي عقلي لا

[1]- وود آلان،برتراند رسل سيرة حياته،(م س)،ص119.
[2]-المرجع نفسه،ص119.
[3]- المرجع نفسه،ص ص 110-111.

يقبل من القضايا إلا تلك التي يستطيع العقل البرهنة على صحتها،فهو قد يقبل بالرأي أو يرفضه على أساس ما يقدمه من أدلة،كما أنه صاحب منهج تحليلي علمي لا يقبل إلا تلك القضايا التي يمكن التحقق من وجودها عمليا،إنه يحاول أن يجعل الدراسات الإنسانية شبيهة بالعلوم الرياضية والمنطقية،حيث تتميز باليقين والدقة والاطراد،وعدم التناقض،إنه يحلل القضايا ويفتتها ثم يسلط عليها نصل أوكام فلا يترك منها إلا تلك القضايا الصالحة لإسعاد البشرية،فهو حين دافع عن الاشتراكية وانتقد الرأسمالية،إنما كان يدافع عن تلك الأفكار التي تحتويها الاشتراكية، من عدالة والقضاء على الطبقية والمساواة،وما تحتويه الرأسمالية من شرور وطبقية، وحينما رفض الاشتراكية بعدما زار روسيا انتقدها على أساس ممارسة السلطة السيئة للبلاشفة،من خلال تجويع شعبهم وإذلاله وتقييد حرية الفكر والمعتقد،وحينما دافع عن الرأسمالية نظرا لما فيها من مبادئ من حرية الفكر والرأي والديمقراطية، وعندما رفضها كان على أساس ما فيها من استبداد وظلم في المجال الاقتصادي والسياسي وقد عبر رمسيس عوض عن ذلك:« لقد كان رسل يعطف على الليبرالية على المستوى الفكري الذي يقترن بحرية الفكر وانطلاقه أما الليبرالية الرأسمالية بمدلولها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي فلا تحظى منه بغير البغضاء والكراهية»[1].إن هذا الأسلوب المتغير في كتاباته هو ما جعل البعض يصفه بأوصاف لا تليق برجل السلام،فقد وصفه راديو موسكو بأنه:«ذلك الذئب المتفلسف الذي يخفي تحت بدلة سهرته الأنيقة غرائز الوحش،ويبدو أن الحقد والقتل وافتراس الناس بعضهم لبعض هي المبادئ الخلقية الأساسية التي ينادي بها هذا الوحش الذي يرتدي مسوح الفيلسوف»[2]،كما وصف بأوصاف عديدة فعلى سبيل المثال فقد وصفته صحيفة الكونونفورم بأنه:«مفكر بريطاني ينادي بمعتقدات آكلة لحوم البشر»[3]،وقد انتقده "جولدشتين"وهو محامي إحدى السيدات من بروكلين التي رفعت قضية ضده بحجة عداوته للدين،يصف فلسفته:«إن رسل مغالط سفسطائي،وهو يقدم محاجات زائفة تستند إلى الخداع والأساليب الماكرة والملتوية ومجرد المغالطات.وإن كل مبادئه المزعومة التي يسميها فلسفة ليست سوى أساليب رخيصة مبتذلة مبهرجة بالية تتسم بالسحر والشعوذة وأحاييل تهدف إلى

[1]- عوض رمسيس، برتراند المفكر السياسي،(م س)،ص229.
[2]- وود آلان،برتراند رسل سيرة حياته،(م س)،ص 266.
[3]- المرجع والمكان نفسه.

خداع الناس وتضليلهم»[1]،ومعظم الانتقادات التي قدمت إلى رسل كانت بسبب مواقفه الأخلاقية وممارسته الفعلية لها، فهو من أنصار حرية الجنس،وما كتبه لا يعبر عن ممارسته الأخلاقية التي وصفت بالدونية والحيوانية وهو يعترف بذلك أن سبب الزنا كثيرا ما يعود إلى قوانين البلد، ويذهب "آلان وود"في التعبير عن هذا الموقف:« ولكني أظن أن موقف رسل يتضمن شيئا أكبر من هذا النوع من التناقض اللفظي،لقد كنت أشعر دائما شعورا أكيدا أن رسل لا يؤمن مطلقا، في قرارة نفسه،بفلسفته الأخلاقية الرسمية التي عبر عنها في كتاباته،الأمر الذي أفضى إلى وجود تناقض داخلي،كان يدركه أحيانا دون أن يتمكن من أن يجد له حلا على الإطلاق»[2].

إن رسل صاحب مبدأ الشك لم يترك شيئا إلا وقضى عليه،وبذلك يكون قد نصب لنفسه أعداء أكثر من أنصار،فهو بالرغم ما يعطيه للدين من قيمة نفعية إلا أنه يرفضه بشدة،فهو يقول:«فإني شخصيا أعترض على سائر الديانات المعروفة، وأملي أن تندثر سائر أنواع الإيمان الديني.وإني لا أعتقد إذا وزنا الأمور،أن العقيدة الدينية قوة تعمل من أجل الخير و وبالرغم من أني على استعداد للاعتراف بأن للدين بعض الآثار الحسنة في أزمنة وأماكن معينة،فإني أعتبره شيئا ينتمي إلى طفولة العقل البشري،كما ينتمي إلى مرحلة متخلفة من التطور يجب أن نتجاوزها الآن»[3]،إن هذا المبدأ قائم في الأساس على نظرته الوضعية التي ترفض كل ما هو ميتافيزيقي،إلا أن نظرته المنطقية للدين تختلف عن هذا الطرح فهو يعتبر الدين دالة قضية ،مثله مثل القضايا الميتافيزيقية،التي لا يمكن البرهنة على صدقها أو كذبها.ولا يتوقف شك رسل عند حدود الدين فقط وإنما يتجاوزه إلى السياسة والأخلاق فيقول:«لابد لنا من معالجة مشاكل الدين والسياسة والأخلاق بمنهج الشك الذي هو سمة الفكر العلمي الأصيل»[4]،إلا أن رسل في رفضه للدين يستند على تلك التربية الأرستقراطية التي تلقاها في صغره والمستمدة من التعاليم الكنسية، وهو في هذا يسقطها على كل دين بالرغم من معرفته لتعاليم الديانات الأخرى،وبالرغم من أن أسرته تتعدد دياناتها واتجاهاتها،وهو

[1]- المرجعالسابق،ص250.
[2]- المرجع نفسه،ص122.
[3]- برتراند رسل المفكر السياسي،(م س)،ص218.
[4]- المرجع نفسه،ص221.

يعتبر الدين الإسلامي كما بينا سابقا أكثر تسامحا من غيره،ولذلك فحقيقة الدين جاءت لدعوة الناس للتفكر والتدبر والبحث والتعمير والتسامح وليست لإغفال عقول الناس وهذا ما يؤكده القرآن الكريم،الذي تجاوزت آياته في ذكر العقل الخمسين آية،وما مصادر التشريع الإسلامي كالقياس والاجتهاد إلا دليلا على حرية الفكر والاختلاف والروح النسبية.ولعل رسل الموضوعي لم يكن منصفا في هذا الأمر.

وعليه فإن الدارس لرسل يجده يمثل خليطا من الأفكار،فهو صاحب خلفية هيغلية من خلال ميله إلى الرأي والرأي المعارض،كما أن له خلفية أنجلوسكسونية فهو الفيلسوف التجريبي الذي يحلل الفكرة إلى عناصرها الجزئية ويستنتج منها أفكارا أخرى تتميز بالوضوح والبداهة طبقا لمنهجه التحليلي،وله خلفية اشتراكية تظهر كثيرا في كتاباته من خلال مدحه لبعض الأفكار الشيوعية والتي بيناها في البحث، كما أنه لم يستطع أن يتخلص من بقايا الارستقراطية والليبرالية،والتي دعا فيها إلى تبني الدولة العالمية بالأسلوب الليبرالي الأمريكي«يبدو أن أفضل أمل من المحتمل، أن يتحقق هو أن تقوم مجموعة واحدة-أحسب أنها أمريكا- بانتزاع النصر على غيرها، الأمر الذي يؤدي إلى قيام منظمة دولية تقف أمريكا على رأسها كدولة رأسمالية بينما تقوم الدول الأخرى بدور البروليتاريا،وإذا أمكن خلق منظمة دولية، مهما بلغ اضطهادها وجورها، فإنه سيصبح من الممكن مرة أخرى العودة إلى تحقيق التقدم المنظم»[1]،ولعل ذلك يعد تكهنا لنظرة الفيلسوف الثاقبة في بروز العولمة المعاصرة بالأسلوب الأمريكي،إلا أنه يصعب في بعض الأحيان أن نفهمه فهو فيما ذكرنا يمدح أمريكا ويمدح دبلوماسيتها وأحقيتها في قيادة العالم ،وهو في شطر أخر عند ما زار الصين ينتقدها ويصفها بصفات سيئة وقد بين آلان وود ذلك: «ومما زاد من إساءة فهمه أنه شخصيا لم يكن دائما يحرص على الاحتفاظ بالفرق بين هاتين الحالتين المتناقضتين واضحا، كما أنه لم يقتصر دائما في إبداء آرائه على تخصصه كفيلسوف»[2].

أما عن أسلوب كتاباته وقيمتها،فهي تتميز بالدقة والبساطة،إلا أن معظم كتبه ليست ذات نسق واحد بل عبارة عن فصول متفرقة،لكنها تمهد لبعضها البعض،ثم هو يطرح المشكلة

[1]- آلان وود،(م س)،ص187.
[2]- المرجع نفسه ،ص121.

ويبحث عن جذورها ويبين ما فيها من ميزات،وأحيانا يعرض الرأي المخالف ثم يقدم الحل مثلما هو مطروح في الإشكالية محل المناقشة،ثم إن حل رسل للمشكلات في كتبه السياسية والتربوية والأخلاقية يكاد يكون واحدا وهو يتمثل في تأسيس الحكومة العالمية، بالإضافة إلى أنه يكرر أفكاره في معظم كتبه،وقد عبر وود عن ذلك:«إن رسل صاحب أسلوب جميل تستحق بعض فقراته أن تجد لها مكانا في آية مختارات من النثر الإنجليزي،ولكن كتبه أقرب ما تكون إلى مجموعة من الفصول غير المترابطة دون أن تسهم في خلق عمل متكامل،هذا بالطبع كان نتيجة طبيعية لأسلوبه التحليلي والتفصيلي في معالجة أية مشكلة»[1]،ونحن نتفق مع "وود" في ذلك إلا في قضية أنها لا تشكل عملا متكاملا،فالدارس لكتبه يلاحظ أنها عبارة عن مجموعة من المقالات المتفرقة إلا أنه في نهاية المقال يقربنا من المفهوم الذي سيتناوله في المقال الذي يليه سواء بالتساؤل أو الاستنتاج.ثم إن كتاباته تتميز بالهدم والبناء حتى وصفه "ليتون ستراتشي"*:«إن طريقته في تمزيق كل شيء رائعة حقا- ابتداء من الحكومات والأديان والقوانين والملكية حتى الذوق السليم نفسه - كما تتهاوى قطع الخشب في لعبة القناني الخشبية. إنها لمنظر بديع. وبالرغم من هذا فإن آراءه البناءة رائعة للغاية، فهو يعيد تركيب جميع الأجزاء المتهاوية ويقيم بناء راسخا متينا مضيئا أمام العقول.إني لا أعتقد أن هناك على الأرض في وقتنا هذا إنسانا مروعا مثله»[2].

يبدو أن رسل يواجه صراعا نفسيا بينه وبين ذاته،بين تلك التربية المتزمتة التي تشربها في صغره،وبين تلك الأفكار التحررية التي يؤمن بها، فهو يمجد الدين على أساس أن له قيمة في إصلاح الناس،وهذا نابع من تربيته البيوريتانية المتشددة،ومن نظرته البراغماتية،ومن جهة ثانية يرفضه لأنه يسبب الركود والجمود،وهذا يعود إلى تلك الأفكار التحررية التي أوحى بها إليه "جون استوارت مل".وكذا في كل موقف سواء أكان سياسيا أو تربويا أو أخلاقيا،إلا أن رفضه أو قبوله مؤسس دائما على البراهين،فهو ليس صاحب مذهب متعصب بل هو صاحب فكر منطقي لا يقبل من الأفكار إلا تلك التي يستطيع أن يثبتها بالعقل والبرهان،وعليه فعندما يدعو إلى تربية المواطن الصالح و الفرد الحر في آن واحد، فإنه يدعو إلى الاهتمام بالإنسان

[1]-المرجع السابق،ص257.
*- ليتون ستراتتشي(1832-1980) ناقد بريطاني، وأحد أعضاء جماعة البلومزبري.
[2]- المرجع نفسه،ص131.

كإنسان صاحب عقل وفكر لا يجوز تحديد حريته من جهة ،ومن جهة ثانية الاهتمام به كفرد في المجموعة له ما لها وعليه ما عليها، وهنا يجب أن يخضع لقوانينها.

إن فلسفة التحليل عند رسل،تقضي أنه من واجبها أن لا تظل حبيسة مشكلات ميتافيزيقية،غير قابلة للتحليل ولا للتجربة،وما عليها إذا أريد لها أن تكون مفيدة إلا أن تبتعد عن الغموض والتناقض،وتتصف بالصفات العلمية،من دقة واطراد ويقين، بحيث تركز على التحليل اللغوي،وتفتت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا،وتركز على البين ذاتية التي تقود إلى الموضوعية.إن هذا المنهج التحليلي هو ما يحاول رسل أن يطبقه على مشكلة الدراسة،والذي يبين فيه أنه لا توجد ظاهرة مستقلة عن الأخرى،فالسياسة مرتبطة بالتربية وبالأخلاق والدين، ولكي نبني حضارة قادرة على إسعاد البشرية،فما علينا إلا أن نطبق منهج التحليل ونركز على نصل أوكام في تجريد التربية والسياسة والعقيدة من كل ما لحقها من مغالطات مبنية على المصلحة الذاتية لنظام ما،وليست مصلحة الفرد ذاته،وما علينا إذا أردنا أن نكوّن فردا حرا ومواطنا صالحا إلا أن نهتم بجانبه العقلي ونخلصه من المفاهيم المغلوطة.فالتربية هي أساس النظام الاجتماعي،وعلينا أن نعطيها عناية فائقة أكثر من غيرها،ولا يكون ذلك إلا في ظل الحكومة العالمية التي توحد فيها الخطط والأهداف.

إلا أن هذا المنهج التحليلي الذي يمارسه رسل حتى وإن كان له فوائد جمة، إلا أن نظرته العالمية لتوحيد المنهاج التربوي والنظام السياسي والاقتصادي والعسكري تعتبر نظرة مثالية،يصعب تحقيقها على أرض الواقع في ظل اختلاف الآراء والمذاهب،فهي نظرة منطقية رياضية يمكن تجسيدها في مجال المعادلات الرياضية،لكنه يصعب تجسيدها في عالم يختلف بالجملة في عقيدته،وسياسته وأفكاره وتاريخه،وحتى حضارته.فإذا كان المسلمون الذين هم أصحاب دين واحد،يعبدون ربا واحدا،ويتبعون نبيا واحدا،ويسجدون لقبلة واحدة،ويقدسون كتابا واحدا وهو القرآن الكريم،متفرقين ومتحاربين،فما بالك بعالم يختلف لغة ودينا،وفكرا وسياسة وأهدافا، ومنه فإن نظرة رسل تمثل يوتوبيا يصعب تحقيقها،إلا أن الحضارة المستقبلية تتطلب إعادة النظر في واقعنا التربوي والسياسي والأخلاقي،وما علينا

إذا أردنا أن نعيش في سلام وأمن وسعادة إلا أن نتعايش في ظل نظام شامل مبني على المساواة والعدل والحرية،وعدم تجاهل الآخر.نظام لا يفرق بين القوي والضعيف، يساوي بين الحقوق والواجبات، مبني على العدالة في التوزيع والقصاص،نظام يحب الخير والسلام والأمن لجميع الناس.

إنه بالرغم مما يقال عن رسل إلا أن لا أحد ينكر الدور الأساسي الذي قام به في تغيير مفهوم بعض القيم الثابتة سواء العلمية منها أو الإنسانية، فهو قد أحدث ثورة في مجال العلوم والرياضيات،واستطاع أن يرفع المنطق من تلك النظرة الكلاسيكية له إلى أن أصبح يمثل لغة العصر،لغة البرمجيات الآلية، كما حمل هموم عصره بتناوله للقضايا الإنسانية الحساسة وعلى رأسها مسألة التربية والسياسة،فهو بالرغم مما طرحه من أسئلة أكثر من الإجابات التي قدمها وهذه مهمة الفيلسوف، إلا أنه وقف على الداء الذي تعاني منه الشعوب في كل العصور، وهو كيف نستطيع أن نقضي على الشرور المتفشية فينا ؟ ثم كيف يمكننا أن نعيش في سلام؟ إن الحل في ذلك بلا شك عند رسل يتمركز في العملية التربوية، تلك العملية الخالية من التوجيه الخاطئ والقسري،المبنية على النظام والإدراك السليم، وعليه فإن رسل يمثل بحق فيلسوف القرن العشرين بدون منازع.

خـــاتمـــــة

خاتمة:

إن المرء ليسعد وهو يتجول في عمق فلسفة برتراند رسل،من خلال تلك الرحلة المشوقة التي يقودنا فيها إلى أعماق التاريخ،باحثا عن ما أنتجه الإنسان من فكر وعمل،حاملا معه معول الهدم وأدوات البناء،غير مبال بالقيود التي تفرضها القيم والنظم المتعددة.ومما يستنتج ونحن بصدد هذا العمل،أن رسل رجل التربية والسياسة والأخلاق لا يقل أهمية عن رسل الرياضي والمنطقي الذي يتناول قضايا عصره كالحرية والعدالة والمساواة، تناولا تحليليا، مما يعبر عن مدى حبه للإنسانية وتقدير وظيفته كإنسان له دور في هذا الوجود.

وعليه فإن المشكلة الأساسية التي طرحت،تبين أن هناك علاقة وطيدة فيما بين آليات النظام الاجتماعي،وأهم آلياته التربية والسلطة.وقد اهتم رسل بالتربية ليس كفيلسوف منظّر فقط وإنما كوالد يحمل هموم أولاده،ومجتمعه في ظل هذه السلطات التي تحاول أن تحتويه،وعليه فهناك علاقة وطيدة فيما بين السلطة والتربية،فالسلطة تربية للمواطن على نمط معين من السلوك من جهة،كما تمارس التربية سلطتها على الناشئين من جهة ثانية.وبما أن كل نظام يسعى إلى إرساء قواعد بقائه واستمراره، فإنه يحيط نفسه بنوع من الحماية، من خلال غرس بعض القيم والمبادئ في النشء عن طريق التربية، بحيث يؤكد على تربية المواطن الصالح. وقد بين التاريخ أن فكرة المواطن الصالح ليست دائما ذات فائدة، فقد تتجرع السلطة مرارة ذلك، كما قد تتذوق حلاوته،فقد يسعد النظام ويقوى من خلال طاعة المواطن العمياء،والولاء التام مثل روسيا السوفياتية،وقد يتعرض هذا النظام إلى الثورة والانقلاب عليه من طرف هذا المواطن الذي أرغم وأكره منذ الصغر على إتباع تعاليم معينة،دون السماح بالمبادرات الفردية وللحريات الشخصية،وذلك مثل ما يحدث في الدول الاستبدادية التي فقدت سيادتها على شعوبها، حيث تسود الفوضى والاستبداد.

إن تربية المواطن الصالح لا تهتم بعقلية الناشئ أو بسعادته،وإنما الذي يهمها منه هو أن يكون متعاونا وموواليا للسلطة،ومدافعا عنها،إن هذا الضغط والإكراه يقتل القدرة على الابتكار،والتاريخ يشهد على أن الإصلاح لم يتم إلا على أيدي مصلحين لم يخضعوا للنظم القائمة.وفي المقابل فإن الطرح الذي يهدف إلى إيجاد فرد متحرر من كل القيم شبيه بالطرح

الأول،فقد يؤدي إلى الفوضى وطغيان البعض على البعض الآخر، وهذا ما يؤكد غياب القانون،وعليه كيف تكون التربية؟

يصرح رسل أن التربية السليمة هي التي تجنبنا الشرور وتدفعنا إلى الخيرات،تلك التربية التي تسعى إلى إيجاد مواطن يتمتع بالحرية،ولكن ضمن ضوابط قانونية، فهي مؤسسة سياسية تهدف إلى بناء الفرد بناء ايجابيا،وهي شرط أساسي لبناء المدنية وهذا لا يتحقق إلا ب:

أولا:الاهتمام بالفرد من الناحية العقلية وذلك يكون:

- بتحصيل المعرفة،بحيث يجب أن تكون صادقة نتجنب فيها الكذب التاريخي والسياسي والتربوي، والأخلاقي.
- تشجيعه على المبادرة الفردية والمهارة الفنية حتى ننمي فيه طاقاته وقدراته، ويكون ذا فائدة لمجتمعه.
- تدريبه على المحاجة والاستدلال، بحيث لا يقبل إلا تلك الأفكار التي يكون قادرا على إثباتها أو البرهنة عليها.

أما من الناحية الخلقية فيجب تدريبه على:

- الحياد من خلال عدم التعصب للأفكار سواء في قبولها أو رفضها.وضبط النفس وعدم التسرع في إصدار الأحكام لأن ذلك من صفات المعرفة العامية، ثم الإقبال على الحياة والاستمتاع بها.
- عدم المبالغة في الحرية الفردية حتى نجنبه شرور السيادة والاستعلاء، لأن مجتمع الصغار الذي لا يتدخل فيه الكبار يستبد فيه القوي بالضعيف استبدادا أشد وحشية من أي تسلط في محيط البالغين.

ثانيا من الناحية الاجتماعية فلابد من تدريبه على:

- احترام الآخر وقبوله وعدم طمسه أو تجاهله، سواء سياسيا عن طريق الاستعلاء بالقوة العسكرية،أو اجتماعيا من خلال النظرة القومية التي تتعالى فيها الشعوب عن بعضها البعض.
- بث روح التعاون بين أفراد المجتمع وذلك من خلال التركيز على التوافق الداخلي أي بين ذكاء الفرد وعاطفته وإرادته،وخارجيا من خلال التوفيق بين إرادته وإرادة غيره،والتركيز على الرغبات المتفقتي الإمكان والتي يمكن تحقيقها معا دون أن تتعارض وتجنب الرغبات المختلفة لأنها تسبب الصراع.

إن هذه الشروط قد تقضي على أنانية الفرد وطغيان الجماعة، وتمهد لإنشاء حضارة إنسانية عالمية تجمع ما بين تربية المواطن وتربية الفرد وهذا لا يكون إلا في ظل دولة عالمية قائمة على النظام والعدالة، ولا يكون ذلك إلا وفق شروط:

- بث روح الولاء للدولة العالمية حتى وإن كان يحد من حرية الفرد، وذلك عن طريق التربية والدعاية الخالية من التعصب للقومية أو للاعتقاد بل يكون من أجل روح الجماعة ككل،الواحد يعمل من أجل الكل كما أن الكل يعمل من أجله،وذلك بتوحيد المناهج التربوية الخالية من الكراهية والتعصب، والمؤسسة على الديمقراطية وحرية التفكير.
- الوقاية من الحروب، وذلك من خلال التقليل من التسلح وإنشاء محكمة عدل تفصل فيما بين الدول المتخاصمة ومن خلال إنشاء جيش واحد، وإزالة الخرافات المسلطة على عقول النشء والتي كثيرا ما تكون سببا في التعصب والتقاتل.

وعليه نخلص مع رسل إلى أن العلاقة بين السلطة والتربية علاقة شرطية تلازمية،حيث أن المشروط يتبع الشرط ويلازمه،فإذا كانت السلطة سليمة وقوية، نتج بالضرورة عنها تربية سليمة وقوية،وإذا كانت السلطة ضعيفة، متدهورة فإنه بلا شك تنتج عنها تربية ضعيفة مشوشة،والعكس صحيح بالنسبة للتربية. وعليه يؤكد رسل أن تربية الفرد تكون أسمى من تربية المواطن من الناحية التربوية، لكن تربية المواطن تكون أفضل من الناحية السياسية،فغاية التربية أن تقوم بإشباع جوانب الإنسان الثلاثة: العقل، الوجدان، والإرادة،

بحيث أن الفرد لا يمكنه أن يعيش وحده ومنه لا مناص من تحديد إرادته بالتربية، حتى لا يطغى بها على غيره،فليس هناك حدود لقدرة العقل الإنساني، ولا لعواطفه ووجدانه،إلا أنه لا يمكن إطلاق العنان لإرادته.وبالتالي فالتربية السليمة هي تلك التي توازن بين حرية الفرد وخضوعه للنظام، وبين تلك التربية التي تهدف إلى تنمية الشخصية تنمية طبيعية والتي تكفل أمن الجماعة وتلك التي توفق بين حاجة الفرد، وحاجة الجماعة،ولا يكون ذلك إلا في ظل حكومة عالمية.

إن هذا النموذج من الفلسفة الغربية الانجلوسكسونية يعد بالفعل، بنية أساسية في تشييد الحضارة الإنسانية،بشرط أن يحترم ويقتدى به،وإن مجتمع يوجد فيه مثل هؤلاء الرجال الذين يحملون هم البشرية،ويناضلون من أجل السلام والحرية ويدافعون عن قيمة الإنسان العقلية، من خلال الأسس التربوية السليمة لمجتمع محكوم عليه بالتقدم والتطور.ولعل عالمنا العربي يعتبر من هذا النموذج، ويحاول النهوض من السبات الطويل، ويشق لنفسه الطريق اتجاه الحضارة، والتي لا تكون في ظل إهمال الأجيال الحاضرة.

ملحق الأعلام

ملحق الأعلام:

أبو سفيان: هو صخر بن حرب الأموي القرشي الكناني، (560-662)م، أحد أشراف العرب وساداتهم في الجاهلية وصدر الإسلام ولد في مكة قبل عام الفيل بعشر سنين، وأسلم يوم فتح مكة.

ابن منظور:(1232-1311)م،(630-711)هـ،هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقى أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلّفاته معجم لسان العرب .

ابن رشد:"Averroés"(1126-1198) هو أبو الوليد محمد بن أحمد، فيلسوف، طبيب ، فقيه ، قاض فلكي، وفيزيائي أندلسي، من أهم شراح كتب أرسطو وصاحب النظرة التوفيقية بين الدين والفلسفة.

ابن خلدون عبد الرحمن:"Ibn khaldoun(1332-1406)م، هو عبد الرحمن بن خلدون مؤرخ و فيلسوف وسياسي عربي، وهو مؤسس علم العمران.

أجاتا: "Agatha.Russell "(1853-1933) م،عمة برتراند رسل ومحررة مذكرات والدتها.

أديث فنيش:"Edith Finich Russell" (1900-1978)م، الزوجة الرابعة لبرتراند رسل.

أوكام وليم:"William of okham"(1287-1347)م، فيلسوف إنجليزي عاش في العصر المدرسي في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وقد كان لاهوتيا يهتم بوجود الله وصفاته. له فكرة فلسفية تسمى شفرة أوكام والتي توضح أن أبسط السبل لحل المشكلة هو الحل الصحيح لها.

أوغسطس:"Augustus"(36ق م-14م)الإمبراطور الأول لروما وابن جوليوس سيزار .

الأكويني توما:"Thomas Aquinas"(1225-1274)م،قس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، وفيلسوف ولاهوتي.

الجرنون:"AlgernonStanley "(1843-1928)م، أحد أخوال برتراند رسل.

أليجري دانتي:"Dante Alighieri"(1265-1321)م،شاعر وكاتب ورجل سياسة ايطالي،من أهم أعماله، الكوميديا الإلهية، ويسمى أبو اللغة الايطالية.

أليس بيرسال سميث:"Alys Pearsall Smith"(1867-1951)م،الزوجة الأولى لبرتراند رسل أمريكية الأصل.

استوارت ميل جون:"John Stuart Mill"(1806-1873)م، فيلسوف ومنطقي واقتصادي بريطاني، صاحب كتاب الحرية ومناصر لها.

أفلاطون: "Platon" (427-347)ق م، فيلسوف يوناني ومؤسس لأكاديمية أثينا اهتم بالفلسفة الفن،الأدب،السياسة والتعليم ،يعرف بنظرية المثل.

أرسطو: "Aristoteles" (384-322) ق م، فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، اهتم بالفيزياء والميتافيزيقيا والشعروالمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان .

أرشمبولت:"Joseph Alfred Archambeault"(1859-1913)م، قس كاثوليكي ومربي كندي.

آرثر كيث:"Sir Arthur Keith"(1866-1955)م،عالم تشريح وانتربولوجيا اسكتلندي، اهتم بدراسة حفريات الإنسان الأول وأثرها في تطور البشرية،أهم كتبه أثار الإنسان، مقالات في التطور البشري.

باتريشيا سبنس:" Patricia.p.s "(1910-2004)م،تسمى ارغوري هيلين سبنس،وهي الزوجة الثالثة لرسل التقت به عام 1930،عندما كان عمرها عشرون سنة وبعد تخرجها من جامعة أكسفورد،تزوجت برسل عام 1936 وأنجبت معه ولدا واحدا أصبح مؤرخا بارزا، وأنفصلت عن رسل عام1949.

بورديو بيير:"Pierre. Bourdieu"(1930-2002)م،عالم اجتماع فرنسي وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع .

بدوي أحمد زكي: مفكر إسلامي معاصر، من أبرز ما ميز حياته التسامح والدعوة إلى الحوار والاندماج الإسلامي في المجتمعات الأوربية.

بيانو جيوسيبي:"Giuseppe Peano"(1858-1932)،عالم رياضيات إيطالي،اشتهر ببديهيات بيانو (مبرهنة الوجود لبيانو)،أثر في برتراند رسل،تحصل على عدة جوائز.

بينكيفيتش:"Albert Pinkevitch"(1884-1939)م،رئيس جامعة الولاية الثانية لموسكو مربي له كتاب"عن التربية الجديدة في الجمهورية السوفياتية" 1928.

بلوخر كبهارد لبرخت فون:"Gebhard Leberecht Von Blucher" (1742-1819)م، قائد عسكري من بروسيا ساعد على هزيمة نابليون في معركة وترلو.

بنتام جريمي:":Jeremy bentham"(1747-1832)م،عالم قانون وفيلسوف ومصلح اجتماعي انجليزي، يقول بالمنفعة ومؤيد للحرية الفردية.

برادلي فرنسيس:"F.Bradley "(1846-1924)م، فيلسوف مثالي انجليزي،اهتم بالميتافزيقا والأخلاق والمنطق.

بروتاغوراس"Protagoras "(410-485)ق.م، فيلسوف يوناني سفسطائي.

جوردانو برونو:"Giordano.B"(1548-1600)،فيلسوف ايطالي،وضع فرضية أن نظام الشمس هو واحد من مجموعة نظم تغطي الكون في صورة نجوم،حكم عليه بالهرطقة والحرق من طرف الكنيسة الكاثوليكية.

جنكيزخان:"Gengis Khan"(1162-1227)م،قائد عسكري ومؤسس الإمبراطورية المغولية ارتكب مجازر كبيرة في حق المسلمين.

هوازن: قبيلة من قبائل قيس غيلان المضرية.يقيم معظم أفراد قبائل هوازن اليوم في المغرب العربي بعد التغريبة الهلالية في القرن الخامس الهجري.

دورا بلاك:" Dora Black.R" (1894-1986) م، كاتبة بريطانية وهي الزوجة الثانية لرسل التقته عام1916 زارت معه روسياعام1920،وأنجبت له ولدا،وقد أسسا معا مدرسة خاصة تسمى"بيكون هيل".

ديوي جون:"John Dewey"(1859-1952)م، فيلسوف أمريكي براغماتي،اختص في البيداغوجيا والتربية الحديثة،وصاحب المذهب الآداتي.

ديورانت ول:"Will Durant"(1885-1981)م، فيلسوف،مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه.

ديمقريطس:" Democritus" (460-370)ق م فيلسوف يوناني وصاحب المذهب الذري.

دينكن ميتشيل: "Duncan Mitchell"أستاذ علم الاجتماع في جامعة اكستر الانجليزية.

هوايتهد ألفرد نورث:"A.N.Whitehead"(1861-1947)م،فيلسوف ومنطقي ورياضي بريطاني،صديق لرسل ،ألف معه كتاب مبادئ الرياضيات"Principia Mathematica".

هيباتيا السكندرية:"Hypatia of Alexandria"(350-415)م أول امرأة في التاريخ يلمع اسمها كعالمة رياضيات، والفلسفة وعلم الفلك،قتلت على أيدي الرهبان بعد اتهامها بالسحر والإلحاد، حيث قاموا بسلخ جلدها وحرقها.

هيرقليطس"Heraclitus"(535-475) ق م، فيلسوف يوناني قال بالتغير الدائم والحركة.

هيغل فريدريك: "G. W.Friedrich Hegel"(1770-1831)م،فيلسوف ألماني. يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

هنري ستانلي:" Henry Stanley " (1827-1903)م،خال رسل ومؤرخ إنجليزي ترجم أول رحلة حول العالم لمجلان، وفي 1862 اعتنق الإسلام ولقب "عبد الرحمن"

هتلر:"Adolf Hitler"(1889-1945)م،سياسي ألماني نازي و زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف بالحزب النازي.تولى حكم ألمانيا في الفترة ما بين عامي 1933و1945حيث شغل منصب مستشار الدولة في الفترة ما بين عامي 1933و1945، والفوهررفي الفترة ما بين عامي 1934و1945 .

وات جيمس:"James watt"(1736-1819) م ،عالم انجليزي اهتم بالطاقة ومن اختراعاته قاعدة التمدد، ترس الشمس والكوكب، المحرك المزدوج، الحركة المتوازنة.

وهبه مراد:ولد سنة 1926 أستاذ الفلسفة في جامعة عين شمس وعضو في مجموعة من الأكاديميات والمنظمات الدولية المرموقة كما أنه مؤسس ورئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير.

وطفةعلي أسعد : باحث عربي في الفلسفة والتربية، له مؤلفات كثيرة في ميدان التربية وعلومها.أهمها بنية السلطة وإشكالية التسلط في الوطن العربي.

ويب بياتريس:"Beatrice webb" (1858-1943)م،عالمة اجتماع واقتصادية انجليزية، وهي زوجة سيدني ويب،أسسا معا مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والسياسية،ذات اتجاه فابياني(المنظمة الاشتراكية الانجليزية).

ويب سيدني:"Sidney James Webb"(1859-1947)م،اقتصادي ومناضل اشتراكي بريطاني وعضو المنظمة الفابيانية.

ولينغتون:"Wellington"(1769-1852)م،واسمه الحقيقي آرثر ويلزلي"A. Wellesley" ، قائد عسكري وسياسي بريطاني تغلب على نابليون في معركة واترلو سنة1815،وقد تولى رئاسة الوزارة البريطانية مرتين.

زكريا فؤاد:(1927-2010)م،أكاديمي وأستاذ جامعي مصري متخصص في الفلسفة .

ييجر فرنر:"Werner.Jaeger"(1888-1961)م،فيلسوف ألماني اهتم بالدراسات الأرسطية.

كانط إمانويل:"Immanuel kant"(1724-1804)م،فيلسوف ألماني و من أعظم فلاسفة القرن الثامن عشروصاحب أهم كتابين نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي.

كونفشيوس:"Confucius"(551-479) ق م،هو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي.وكان كونفوشيوس محافظاً في نظرته إلى الحياة فهو يرى بأن العصر الذهبي للإنسانية كان وراءها، أي كان في الماضي.

كينز جون مينارد: "John maynard Keynes"(1883-1946)م، اقتصادي إنجليزي وهو أحد جماعة"البلومزبري" وزميل لرسل، في كمبردج، اشترك في مؤتمر السلام العالمي بعد الحرب العالمية الأولى، من أهم كتبه الآثار الاقتصادية للسلام.

كيت أمبرلي:"Katharine Louisa Russell"(1844-1874)م،تسمى كيت حقوقية ومحامية ووالدة برتراند رسل.

كروميول أوليفير:"Oliver cromwell"(1599-1658)م،قائد عسكري وسياسي إنجليزي، اعتبره نقاده أحد القادة الديكتاتوريين، يُعرف بأنه هزم الملكيين في الحرب الأهلية الإنجليزية

لالاند أندري :" André Lalande "(1867-1963)م،فيلسوف فرنسي صاحب أهم موسوعة فلسفية.

ليبنتز غوتفريد فيلهيلم:"Gottfried Wilhelm Leibniz "(1646-1716)م،فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات ودبلوماسي ألماني.أسس علم التفاضل و التكامل الرياضي. أحد أكبر منتجي الآلات الحاسبة الميكانيكية.

ليولف:"Edward Lyulph.Stanley"(1839-1925)م،خال برتراند رسل وصاحب كتاب تربيتنا الوطنية1899.

لينين فلادمير:Vladimir.I.Lénine (1870-1924)م،ثوري ومنظر سياسي، وأول رئيس للاتحاد السوفياتي، من أهم كتبه المادية والبيروقراطية،الدولة والثورة.

ماكتاجرت:"J.M.E.Mctaggart"(1866-1925)م،أحد مناصري الفلسفة المثالية البريطانية المتأثرة بالفلسفة الهيغلية.

ماريتان جاك:"Jacques Maritain"(1882-1973)،فيلسوف فرنسي كاثوليكي معاصر.ولد في باريس لأسرة بروتستانتية،يعتبر من أشهر عارضي التومائية المحدثة، وفي السنوات الأخيرة من حياته درّس في جامعة برنستون في الولايات المتحدةحيث توفي فيها.

ماركس كارل:"Karl Marx" (1818-1883)م،مؤرخ وفيلسوف واقتصادي وعالم اجتماع ألماني يعرف بنظريته المادية التاريخية،وأحد أنصار الحركة العمالية العالمية ومنظر للثورة.

مدكور إبراهيم:(1902-1996)م،عالم لغة ومختص بالفلسفة وأستاذ جامعي مصري ومصلح اجتماعي وسياسي. رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام 1974م.

مور جورج ادوارد:" George Edward Moor "(1873-1958)م،فيلسوف بريطاني أثر في كثير من الفلاسفة البريطانيين المعاصرين. دافع عن نظريات الفِطرة السليمة وشجع على دراسة اللغة العادية كأداة للفلسفة.

مونتجمري برنارد:"Montgomery Bernard"(1887-1976)م،قائد عسكري بريطاني،قاد قوات الحلفاء إلى الانتصار، خاصة في معركة النورماندي لمواجهة القوات النازية.

ميالاريه غاستون:"Mialaret Gaston "(1818-...) بيداغوجي فرنسي أسهم في إنشاء علوم التربية في الجامعة1967.

منتسوري ماريا:"Maria Montessori"(1870-1952)م،مربية وفيلسوفة وطبيبة وعالمة ايطالية،اهتمت بالأطفال المعاقين باعتبارها أول طبيبة ايطالية،أسست مدرسة للمعاقين اسمتها"أورتو فرينكا" ونجحت نجاحا أدى بها إلى الاعتقاد بأن هناك أخطاء كبيرة في طرق وأساليب التربية المتبعة في تعليم العاديين من الأطفال، وقد توصلت إلى أن التربية الذاتية هي القاعدة الأساسية في طرق التدريس، وقد رشحت لجائزة نوبل للسلام ثلاث مرات. من أهم مؤلفاتها من الطفولة إلى المراهقة،المرشد في تعليم الصغار، التعليم من أجل السلام.

نابليون بونابارت:"Napoléon Bonaparte"(1769 -1821)م،قائد عسكري و سياسي و إمبراطور فرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر.

سارتر جان بول:"J.J. Rousseau"(1712-1778)م،هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي فرنسي.ذو نزعة وجودية،من مؤلفاته العقد الاجتماعي،أميل.

سبينوزا باروخ:"Baruch Spinoza "(1632-1677)م،فيلسوف هولندي من أصل يهودي، صانع العدسات الطبية،أهم مؤلفاته"رسالة في اللاهوت والسياسة" وكتاب"الأخلاق".

سقراط:" Socrates"(470- 400)ق.م،فيلسوف يوناني،يعرف من خلال محاورات أفلاطون يتميز بمنهجه السقراطي التوليدي الذي يتميز بالسخرية السقراطية .

ستالين:هوجوزيف فيساريونوفيتش ستالين"Joseph Vissarionovitch Staline" (1878-1953)م،القائد الثاني للاتحاد السوفياتي،عرف بقسوته،نقل المجتمع من الزراعة إلى الصناعة.

ستراتتشي ليتون: (1832-1980)م،ناقد بريطاني،وأحد أعضاء جماعة البلومزبري.

سترنر ماكس:" stirnerMax"(1806-1856)،هو يوهان كاسبر شميتد " JohannKaspar Schmidt "المعروف بماكس سترنر،فيلسوف ألماني أحد أباء الفلسفة العدمية والوجودية، وما بعد الحداثة واللاسلطوية.

فوكو ميشال:" Michel Foucault "(1926-1984)م،فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنيوية ودرس وحلل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون"،وعالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون. ابتكر مصطلح "أركيولوجية المعرفة"

فورفوريوس:"porphyry of type"(233-305)م،أحد المؤسسين للأفلاطونية المحدثة، وإليه يرجع فضل شرح بعض من فلسفة أرسطو.

فولتير: "François Marie Arouet(Voltaire)"(1694-1778)م،هو فرنسوا ماري أرويه الملقب بفولتير،كاتب،فيلسوف،ناقد،ومسرحي فرنسي،يعتبر من أهم الساخري من الكتاب المقدس من خلال كتاباته والتي أهمها كانديد"Candide"،وزاديغ"Zadig".

فيورباخ لودفيغ أندرياس:"Ludwing Andreas Feurbach"(1804-1872)م،فيلسوف ألماني، وممثل الهيغلية اليسارية.

فيكتور باش:"Victor Bash"(1863-1944)،فيلسوف الأكاديمية الفرنسية،ومؤسس رابطة حقوق الإنسان من أصل يهودي.

فيثاغورس:"Pythagore"(570-495)ق م،عالم رياضيات يوناني. يُعرف بمعادلته الشهيرة وقد بيّن أن شد سلك بين ملزمتين أو إرخاءه يبدّل النغمة الموسيقية التي يبعثها عندما يُنقر عليه في فترات منتظمة.

فرويد سيغموند:"Sigmund Freud"(1856-1939)م،اسمه الحقيقي سيغموند شلومو فرويد من أصل يهودي، طبيب أعصاب نمساوي ومؤسس علم النفس التحليلي.

فرنكو فرانسيسكو:"Francisco Franco "ديكتاتور عسكري تولى رئاسة اسبانيامنذ1936 حتى وفاته1975،وصل إلى السلطة بعد الحرب الأهلية الاسبانية1936-1939، حيث قام بانقلاب ضد الجبهة الشعبية الذي كانت اسبانيا تحت حكمه، بمساعدة من هتلر وموسيليني.

فتجنشتين لودفيغ: "Ludwig.Joseph Johan Wittgenstein"(1889-1951)م، فيلسوف نمساوي، تتلمذ على يد برتراند رسل وجورج مور،اهتم بالمنطق والفلسفة التحليلية واللغوية، وفلسفة الرياضيات، وصاحب كتاب رسالة منطقية فلسفية، وبحوث فلسفية.

صليبا جميل: (1902 - 1976)كاتب و فيلسوف عربي.

راشيل رسل:"Rachel.R"(1868-1874)أخت برتراند رسل،توفيت مع أمها بعد إصابتهما بمرض الدفتيريا.

روبسبيير:"Maximilien de Robespierre"(1758-1794)م،محامي فرنسي وزعيم سياسي وأحد أكبر الطغاة والسفاحين في التاريخ.

روللو:"Francis Albert Rollo russell"(1849-1914)م،عم رسل،والابن الثالث لجون رسل وهو خبير في الإرصاد الجوي.

شيانج كاي شيك:"Chiang Kai-chek"(1887-1975)م،قائد سياسي وعسكري صينى تولى رئاسة حزب الكومنتانج الوطني بعد وفاة "صن يات صن"عام 1925 وقاد الحكومة الوطنية لجمهورية الصين من عام 1928 لعام 1975، عارضه الشيوعيون بقيادة "ماوتسي تونغ"، واختطفوه أثناء زيارته لمدينة زيان وكان من شروط إطلاق سراحه تشكيل جبهة موحدة معهم ضد اليابانيين، تلقى مساعدات من الولايات المتحدة الأمريكية في حربه ضد اليابان.

شيشيرون:"Marcus Tullius Cicéron"(106-43) ق م ،خطيب وفيلسوف روماني.

تيلور ادوارد بارنت:"Edward Burnet tylor"(1832-1917)م،انتروبولوجي إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الانتروبولوجيا وتطور الاهتمام بذلك العلم.

تروتسكي ليون:"L.Trotsky"(1879-1940)م،إسمه الحقيقي ليف دافيدوفيتش برونشتاين، ثوري ماركسي وسياسي روسي،أهم كتبه الثورة الدائمة،دفاعا عن الثورة الروسية،دروسا من كومونة باريس.

تشومسكي أفرام نعوم:"Noam Avram Chomsky"(1928-...)م،أستاذ لسانيات وفيلسوف تحليلي أمريكي،مؤرخ،ناقد وناشط سياسي،صاحب نظرية النحو التوليدي،وأشهر ناقد للسياسة الخارجية الأمريكية.

تشرشل:هو ونستون ليونارد سبنسر تشرشل"Winston churchill"(1874-1965)م،رئيس وزراء بريطانيا، وأحد أبرز القادة السياسين، نال جائزة نوبل للأدب عام1953.

غاندي:"Mohandas karamchand Gandhi"(1869-1948)،محامي وسياسي هندي يعرف بالمهاتما غاندي أي الروح العظيمة،ويعتبره الهنود أب الهنود.

غوته يوهان فولفغانغ فون "Johan wolfgang von Goethe"(1749-1832)م،أشهر أدباء ألمانيا، وكان له بالغ الأثر في الحياة الشعرية والأدبية والفلسفية.

الغزّالي أبو حامد:(105-1111)م،أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في التاريخ، ومجدّدعلوم الدين الإسلامي في القرن الخامس الهجري، لقب" حجّة الإسلام" كان فقيهاً وأصولياً و فيلسوفاً، صوفي الطريقة، شافعي الفقه ، سني المذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة، وقد عرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الحديث الشريف

المصادر بالعربية:

رسل برتراند:

1. أسس لإعادة البناء الاجتماعي،تر،إبراهيم يوسف النجار،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت(لبنان)،ط1987،1.
2. بحوث غير مألوفة،ترجمة سمير عبده،دار التكوين للتأليف والطباعة والنشر، دمشق (سوريا)،دط،2009.
3. حكمة الغرب،تر،فؤاد زكريا،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ج1،العدد1983،62.
4. حكمة الغرب،تر،فؤاد زكريا،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، ج2،العدد1983،72.
5. ما وراء المعنى والحقيقة،ترجمة محمد قدري عمارة، مراجعة إلهامي جلال عمارة، المجلس الأعلى للثقافة(مصر)العدد947، ط2005،1.
6. المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة،ترجمة عبد الكريم أحمد،مراجعة حسن محمود،مكتبة الانجلومصرية القاهرة(مصر)،د(ط س).
7. محاورات برتراند رسل،تر،محمد عبد الله الشفقي،من مختارات البرنامج الثقافي لإذاعة الجمهورية العربية المتحدة،د(ط س).
8. سيرتي الذاتية،،ترجمة عبد الله عبد الحافظ وشفيق مجلى وفائز اسكندر وآمين العيوطي،مراجعة شوقي السكري، دار المعارف (مصر)،ج1،دط،1970.

9. السلطة والفرد،ترجمة شاهر الحمود،دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت (لبنان)،ط1، 1961.

10. في مدح الكسل ومقالات أخرى،ترجمة رمسيس عوض، المركز القومي للترجمة القاهرة(مصر)،ط2، 2009.

11. في التربية،ترجمة سمير عبده،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (لبنان) ،د(ط س).

12. تاريخ الفلسفة الغربية،تر،محمد فتحي الشنيطي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج3،دط،1977.

13. التربية والنظام الاجتماعي،ترجمة،سميرعبده،دار مكتبة الحياة بيروت (لبنان) ،ط2،دس.

المصادر باللغة الأجنبية:

1-Russell Bertrand, Education and the Social Order Routlege classic , London and new York,1stp,2010.

2- Russell Bertrand, History of western philosophy, George Allen and unwinLTD,GB,ed2,1947.

3- Russell Bertrand, Power Anew Social analysis,Routlege classic Landon and newyork,2004.

قائمة المراجع بالعربية:

1. ابن خلدون عبد الرحمن ،المقدمة،مراجعة عبد الباري محمد الطاهر،تحقيق أحمد جاد،مؤسسة قصر البخاري للنشر والتوزيع،الجزائر،د(ط س).
2. أبو المجد عبد الجليل،مفهوم المواطنة في الفكر العربي الإسلامي،أفريقيا الشرق (المغرب)،دط،2010.
3. إمام عبد الفتاح إمام،الطاغية،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،العدد183،ط2، 1996.
4. بدوي عبد الرحمن،فلسفة القانون والسياسة عند هيغل،المؤسسة العربية للدراسات،بيروت،ط1996،1.
5. بورديو بيير،الرمز والسلطة،تر،عبد السلام بنعبد العالي،دار توبقال للنشر المغرب،ط3،سنة2007.
6. الجيوشي فاطمة،فلسفة التربية،المطبعة الجديدة،دمشق (سوريا)، دط،1989.
7. الديدي عبد الفتاح وعصام الدين هلال،التربية عند هيغل،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،ط1993،1.
8. ديورانت ول،قصة الفلسفة،تر،فتح الله المشعشع،مكتبة المعارف بيروت (لبنان)، ط1988،6.
9. ديلو ستيفن ، التفكير السياسي والمجتمع المدني، تر،ربيع وهبة،د ط،2000.
10. هيغل فريدريك،العقل في التاريخ،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت(لبنان)،ط2007،3.

11. وود آلان ،برتراند رسل سيرة حياته،ترجمة رمسيس عوض،المجلس الأعلى للثقافة،دط،1998.

12. زكريا فؤاد،جمهورية أفلاطون،الهيئة المصرية العامة للكتاب،دط ،1985.

13. الحازمي خالد بن حامد ،أصول التربية الإسلامية،عالم الكتب السعودية،ط1، 2000.

14. الطيب مولود زايد،علم الاجتماع السياسي،منشورات السابع من أبريل ليبيا،ط1،2007.

15. كامل فؤاد ،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر،دار الجيل بيروت (لبنان) ،ط1، 1993.

16. الكحلاني حسن،الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر،مكتبة مدبولي،القاهرة (مصر)،ط1، 2004.

17. مهران محمد،فلسفة برتراند رسل، دار المعارف مصر، ط1، 1976.

18. محسن نجاح ،الحكومة العالمية عند برتراند رسل،دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة (مصر)،ط2003،1.

19. مرحبا محمد عبد الرحمن ،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط1983،3.

20. مرسي محمد منير،تاريخ التربية في الشرق والغرب،عالم الكتب القاهرة،دط،1992.

21. نجيب محمود زكي،نوابغ الفكر الغربي"برتراند رسل"،دار المعارف القاهرة (مصر)،ط2،دس.

22. عبد الدايم عبد الله،التربية عبر التاريخ،دار العلم للملايين بيروت(لبنان)،ط5، 1984.

23. عبود عبد الغني ،الأيديولوجيا والتربية،دار الفكر العربي،ط3، 1980.

24. رايلي كافين ،الغرب والعالم،تر،عبد الوهاب محمد المسيري، مراجعة فؤاد زكريا،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد90، 1985.

25. رويس جوزيا ،فلسفة الولاء،تر،أحمد الأنصاري،مراجعة حسن حنفي المجلس الأعلى للثقافة(مصر)عدد337،ط1، 2002.

26. روسو جان جاك ،إميل،ترجمة نظمي لوقا،الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة(مصر)،د(ط س).

27. رشوان حسين عبد الحميد أحمد،القيادة دراسة في علم الاجتماع النفسي والإداري والتنظيمي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية (مصر)،دط،2010.

28. الشيباني عمر محمد التومي،تطور النظريات والأفكار التربوية،دار الثقافة بيروت،ط1975،2.

29. توشار جان وآخرون،تاريخ الفكر السياسي،تر،علي مقلد،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت(لبنان)،ط2، 1983.

30. التل سعيد وآخرون،المرجع في مبادئ التربية،مراجعة موسى جبريل دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان (الأردن)ط1، 1993.

31. الخولي مونى طريف،فلسفة العلم في القرن العشرين،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، عدد 264، 2000.

المراجع باللغة الأجنبية:

Archambeault éveque de joliette,l'autorité sociale,imp de l'action socialeltée,québec(canada),1909

الموسوعات والمعاجم باللغة العربية:

1. ابن منظور ابن الفضل جمال الدين بن مكرم،لسان العرب،دار صادر بيروت، المجلد1و7،د(ط س).
2. بدوي أحمد زكي ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،مكتبة لبنان بيروت،ط2، 1982.
3. بدوي عبد الرحمن،موسوعة الفلسفة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت(لبنان)،ج1و2،ط1، 1984.
4. دينكن ميتشيل،معجم علم الاجتماع، دار الطليعة بيروت (لبنان)،ط1، 1981.
5. دغيم سميح،موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية للفكر العربي، مكتبة لبنان ثائرون، لبنان،ط1، 2000.
6. وهبة مراد،المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،ط5، 2007.
7. لالاند أندريه ،موسوعة لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية،ترجمة أحمد خليل،دار عويدات للنشر والطباعة بيروت، المجلد1و2،ط1، 2008.
8. مدكور إبراهيم،المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة (مصر)،دط،1983.

9. الصالح مصلح،الشامل في قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية،دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض(السعودية)،ط1، 1999.

10. صليبا جميل،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني بيروت،ج1و2، دط،1982.

المعاجم والموسوعات باللغة الأجنبية:

1. Fouquet Emmanuel et Héloise neefs, dictionnaire Hachette encyclopédique,Direction Christian Travers,imp en France clerc s.a-st-amand,1997.

2. Lannone A.paplo,dictionary of world philosophy,routledge taylor and francis group,1stp,2001.

3. Robert paul,Petit robert1,Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française,Dirigée par A.Rey et J.Rey-Debove,Société Du Nouveau Littré,1979.

المجلات والدوريات:

علي أسعد وطفة ،مجلة الفكر السياسي،المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات دمشق(سوريا)،العدد1998،3.

المواقع الالكترونية:

1. www.Tim Madigan ;Russell and Dewey on Education similarities and differences,docs.lib.purdue.edu

2. www.fr.wikipedia.org/wiki/paideia.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير..... ب

مقدمة ..... د

الفصل الأول: السلطة والتربية المفهوم والعلاقة 12

المبحث الأول: شبكة المفاهيم 13

أولا: مفهوم السلطة..... 14

ثانيا: مفهوم التربية..... 23

المبحث الثاني: بين المواطنة والفردية..... 29

أولا : مفهوم الفرد..... 30

ثانيا: مفهوم المواطن..... 34

ثالثا: علاقة السلطة بالتربية..... 37

المبحث الثالث: الجذور التاريخية والفكرية "لبرتراند رسل"..... 41

أولا:رسل وبيئته الأسرية..... 42

ثانيا:رسل وقضايا عصره..... 45

ثالثا: فلسفة رسل ومنهجه الفكري..... 53

الفصل الثاني: تاريخية علاقة السلطة بالتربية..... 59

المبحث الأول: التربية والمواطن الصالح..... 60

أولا: عند اليونانيين(أفلاطون)..... 62

ثانيا: عند المسيحيين(توما الأكويني)..... 67

ثالثا: عند المسلمين(ابن خلدون)..... 71

رابعا:في العصر الحديث(هيغل)..... 75

خامسا:عند الماركسية (كارل ماركس)..... 81

المبحث الثاني: التربية والفرد الحر..... 87

أولا: عند السفسطائيين(بروتاغوراس)..... 88

ثانيا: عند الطبيعيين(جان جاك روسو)..... 90

ثالثا:عند البراغماتيين(جون ديوي)..... 98

المبحث الثالث: موقف رسل من النظم السياسية والتربوية..... 102

أولا:موقف رسل من النظريات الفلسفية والنظم السياسية..... 103

ثانيا :موقف رسل من النظريات التربوية..... 118

الفصل الثالث: جدلية العلاقة بين السلطة والتربية عند رسل..... 129

المبحث الأول: الفردية والمواطنة ما بين الحرية والتسلط..... 129

أولا: سياسيا..... 132

ثانيا: تربويا..... 141

ثالثا: عقائديا:..... 153

المبحث الثاني: الإنسان الفرد والإنسان المواطن..... 161

أولا: التربية بين الحرية والتماسك الاجتماعي..... 162

ثانيا: التربية والمبادرة الفردية..... 169

ثالثا: التربية والحكومة العالمية..... 176

المبحث الثالث: نقد وتقييم..... 184

خاتمة..... 193

ملحق الأعلام..... 198

قائمة المصادر والمراجع..... 208

فهرس الموضوعات..... 216